

٦٠ الكتاب

لثقافة الإنسانية والتقدم



شامل

المدد

المستون

بسان - ١٩٨٥

- المطلوب جبهة للتصدي على اسس كفاحية .
- النسر الامبريالي الامريكي يحوم فوق القارة الافريقية " سياسة ريفان الخارجية تهدد استقلالنا "
- الشبيبة في العالم المعاصر : التعليم ... العمل .. الحياة
- المرأة العاملة في خضم الصراع الفلسطيني .
- التحدي لكي ننطلق .
- اهي دعوة للادب الرائق ... ام هروب من محاسبة الضمير ؟
- حول دعوة منظمة " بين " للقاء الكتاب من اجل السلام .
- الكتابة المحايدة في مجموعة " المعطف القديم " لصبحي الشحروري
- التقدم الثقافي والاشتراكية .
- اغاني الخفيض او خض السقا

الجدور التاريخية والطبقية
لنهج الانحراف اليميني الفلسطيني



AL-KATEB
 For human culture
 and progress
 Editor -
 Asa'd Al-Asa'd
 Tel. 856931
 P.O. Box 20489
 Jerusalem

صاحب المصنف - المراسل
 أسعد الأسعد
 القدس

الكاتب
 للثقافة الإنسانية والقدم

مدير التحرير

أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

مستشار التحرير

الناشر: الكاتب

بالدولار أو ما يعادل من دولار

١٥ دولار
 ٣٠ دولار
 ٤٠ دولار
 ٥٠ دولار
 ٦٠ دولار
 ٧٠ دولار
 ٨٠ دولار
 ٩٠ دولار
 ١٠٠ دولار

المؤلفات

المكتبة

بلدان أخرى

بشارة الصالحى

جميل النجار

عادل الزاغة

محمّد البطاوي

السودان

صفحة من كتاب

الرسائل:

الكاتب - ص ٢٠٤٨٩ - القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

ترتيب المراسل بعد الدخول في الخدمة

للاستشارة والمساعدة

- ٩٤ سامي كيلاني
- المكتبة
"المعطف القديم" لمصحي
الشعروري
محمد صبح
١٠٥ مأساة شاكر وشكرية في مسرحية
"عندما يبعث الموتى"
لقضاء
- ٨٩ لقاء مع الشاعر السوداني المناضل
د. جيلي عبد الرحمن
روبرتو فيرنانديس ريتامار
- التقدم الثقافي والاشتراكية...
٧٨ صنوان
تسراث
- ١٠٠ عمر العطاونة
- اغاني الخضيض او... خض السقا
وثائق
- ٨٨ النص الرسمي للاتفاق الاردني
الفلسطيني
قصة
- ١١٣ محمد خليل عليان
- الى ان يعود
شعر
- ١١٠ عطالله قطوش
- الرحيل عن الرحيل
شهريات
- ١٢١ محمد البطراوي
- رسائل وردود
١٢٤ اصدقاء ثقافية
- ٤ ت. سيفونا سونكي
ترجمة: س. يرغوثي
- النسر الامبريالي الامريكي يحوم
فوق القارة الافريقية سياسة
ريغان الخارجية تهدد استقلالنا
٢٩ دراسات وابحاث
- ٦٠ ميرسلاف شتيبان
- الشبيبة في العالم المعاصر:
التعليم... العمل... الحياة
مداخلات
- ٧٠ المرأة العاملة في خضم الصراع
الوطني الفلسطيني
خالد عبد الرحمن
- التحدى
د. غسان ياسين
- لكسي نطالوق
- اعد الاسعد
- اهي دعوة للادب الرائق... ام
هروب من محاسبة الضمير؟
حول دعوة منظمة "بين" للقاء
الكتاب من اجل السلام
- ١٦
٤٦
٥٢
٥٦

كلمتنا

بالاعلان عن اتفاقية حسين - عرفات ومبادرة الرئيس مبارك وما تلاها وما سبقها من حجيج الى واشنطن ، وترويض للقياد اليمينية الفلسطينية ، تكون الهجمة الامبريالية في المنطقة قد ارتقت الى مرحلة جديدة ضمن استراتيجيتها لتصفية منجزات نضال الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته الوطنية .

في ظل هذا الوضع ، فاننا ننظر بتقدير عميق لجهود الرئيس البشير الجنوبي على ناصر محمد ، من اجل اعادة احياة جبهة ، الصمود والتصدى . واننا نرى انه بات من الضروري احياء هذه الجبهة على الساحة كفاحية تضمن فعالية تصديها لكافة المؤامرات التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني وقضيته خاصة ، وضد الشعوب العربية عامة .

ولتحقيق هذا الهدف الكبير ، لا بد لهذه الجبهة من ان تستنهض قوى الجماهير الشعبية العريضة ، وطلائعها الثورية ، في البلدان العربية ، وتستقطبها لتكون معها وبها سدا منيعا امام الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية العربية ، وسيلا واحدا جبارا يجرف المؤامرات والمتآمرين .



المطلوب ..

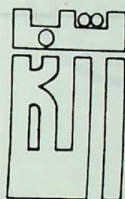
جبهة التصدي على أسس كفاحية

وفي اعتقادنا بان على هذه الجبهة ان تضع في مقدمة اهدافها النضال من اجل اسقاط اتفاقية حسين - عرفات ، لتمهد بذلك الطريق امام اعادة الوحدة الى م.ت.ف. على قاعدة اتفاقية عدن - الجزائر . وان تناضل بحزم ضد كافة مخططات الامبريالية في المنطقة، والنصدي لكل محاولاتها لبسط نفوذها على المنطقة برمتها ، واعتماد مفرات قمة فاس في النضال من اجل حق العودة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

ان توطيد التحالف ، وبمبدأية مع قوى التحرر في العالم وخاصة مع الاتحاد السوفياتي وكل دول المنظومة الاشتراكية ، وكافة قوى الثورة العالمية، هو المعيار الاساسي لجديّة هذه الجبهة وصدقها في تنفيذ مهامها التي من اجلها شكّلت .

الكاتب

في الجذور التاريخية والطبقية لنهم الانحراف اليميني الفلسطيني



بقلم : تيسير العاروري - جامعة بيرزيت

تقديم

=====

الاسرائيلية والاميركية، تلخي بشكل سافر كافة
الاهداف الاستراتيجية الرئيسية لنضال الشعب
الفلسطيني وهي بالتحديد حقه في الاستقلال
الوطني وتقرير مصيره بنفسه واقامة دولته
الوطنية المستقلة وتأمين حق اللاجئين
الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وحق
لقرارات هيئة الامم المتحدة. وذلك باعتماد
الاتفاقية المذكورة لمبدأ " مقايضة الارض
بالسلام " على اساس قرار مجلس الامن
رقم ٢٤٢ .

تواجه قضية الشعب الفلسطيني في
هذه المرحلة، ظروفًا ومخاطر قد تكون اصعب
واخطر وادق ما واجهتهم ت.ف. منذ نشأتها
، وحتى الان . وذلك لاعتبارات متعددة
الجوانب، منها ما يتعلق باهداف وابعاد
التسوية الاستسلامية المقترحة، ومنها ما يتعلق
بموازين القوى السياسية في المنطقة وطبيعة
القوى المشاركة فيها ، ومنها اخيرا ما يتعلق
بوضع الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها .

فاتفاقية عمان المعروفة باتفاقية حسين -
عرفات وآلية تنفيذها . مبادرة الرئيس المصري
مبارك ، وان كانت ولا تزال في طور التعديل
والتدقيق باتجاه ما يتلائم والشروط

كما ان خطة التسوية الاستسلامية
المقترحة جاءت تتويجا لجهود كبيرة وطويلة
بذلتها ومهدت لها الامبريالية والصهيونية،
بمشاركة الرجعية العربية وتواطؤ بعض اجنحة
اليمن الفلسطيني ومن خلال هجوم امبريالي

لخدمة غرض امتصاص النعمة الجماهيرية داخل
اوساط حركة فتح وخارجها على هذه الاتفاقية
واصحابها ومن صادق عليها وباركها، قد منح
الاتفاقية، ومنح الملك حسين والرئيس مبارك
وتحركهما مصادقية وتأثيرا وبليلة وتردد لدى
اوساط واسعة من الجماهير الفلسطينية ما كانت
لتحدث مطلقا . وكانت ستجد موقف الصد
الموحد الواضح لولا كون عرفات احد اطراف
اللعبة . وهكذا وبألسخريه القدر، فان هيبه
م . ت . ف . ، ومصادقيتها وهيبه رئيس اللجنة
التنفيذية ل . م . ت . ف . ، ومصادقيته، قد
سخرت لتضليل جماهير م . ت . ف . ولمصلحة
المتآمرين على قضية الشعب الفلسطيني
واعداؤه .

ثم ان ما يجعل المؤامرة الحالية على
هذه الدرجة من الخطورة ايضا هو وضع الحركة
الوطنية الفلسطينية نفسها ، اى ما تعانیه من
ازمات وتمزق وصراعات حادة، هددت ولا
تزال وحدة م . ت . ف . ، ووحدانيتها وحتى
وجودها للخطر . وعلى الرغم من ان هذه
الحالة ليست وليدة السنة او السنتين
الاخيرتين فقط . ولا ما مرفيها من احداث فقط
ولا ما واجهته هذه الحركة خلالهما من
صعوبات فقط وان كانت كل هذه قد سارعت في
تأزيم الوضع واعطته دفعة قوية باتجاه ما وصل
اليه ، وانما يجب النظر اليها كعملية كانت
تفعل فعلها . وتنمو وتتفاقم منذ فترة طويلة،
قد تمتد الى مرحلة تأسيس م . ت . ف . نفسها
، وذلك لتوفر مناخ وظروف وديناميكية خاصة
ملائمة .

في كل الاحوال ويغض النظر عن كافة

للمرصد مواقع "حركة التحرر الوطني العربية"،
التي في احراز نتائج ملموسة يمكن تحديد
مادام بمقارنة بسيطة بين حال اوضاع المنطقة
الآن وما كانت عليه حتى بداية حكم السادات
اي ان الجهود المحمومة لتمرير " التسوية"
نتم في ظل خلل اكيد في موازين القوى على
نطاق المنطقة لمصلحة اعداء الشعوب العربية
والشعب الفلسطيني (لا نقصد بذلك تجاهل
الانتصارات التي تحققت على ساحة المواجهة
في لسان بدءا بالانسحاب غير الطوعي
للواء المتعددة الجنسية مرورا بالغاء اتفاقية
١٧ ايار وحتى انتصارات الجنوب اللبناني
الباسل، ولكننا لا نرى انها كافية لتغيير صورة
ميزان القوى في المنطقة) . ثمان حقيقة
شراكة طرف فلسطيني رئيسي، حركة فتح ومن
يسير في ذيلها . في تحرك محور القاهرة -
غان نحو الحل الامريكي الاستسلامي يعطي
لهذا التحرك ابعادا جديدة ويجعل المؤامرة
الحالية اند خطورة من كافة ما واجهته قضية
الشعب الفلسطيني من مؤامرات منذ اكثر من
تشرين من الزمان .

ان حقيقة كون عرفات احد طرفي اتفاقية
ثمان، وكون قيادة حركة فتح قد وافقت فعليا
على هذه الاتفاقية (بغض النظر عن
التعديلات الخجولة وغير الجوهرية التي
انجزتها اللجنة المركزية لحركة فتح ورفضتها
الاردن، وما لبثت هذه اللجنة المركزية ان
سبت او تناسلت الموضوع، وبغض النظر عن
تصريحات بعض قادة فتح، مثل صلاح خلف
والاثر القدومي التي لم تذهب ابعد من
مجرد نقد للاتفاقية مما يرجح الاعتقاد السائد
بان مثل هذه التصريحات والمواقف هي

الاجتهادات تبقى حقيقة حالة التمزق والصراعات والأزمة، حقيقة لا مجال لنفيها. وعليه فإن الحركة الوطنية الفلسطينية في وضعها هذا بالذات عليها ان تواجه المواجهة الواقعية، ان تفصحها وتعريها، ان تعبي الجماهير وتساعدوا وتدفعها للنهوض ضدها وأن تناضل بكل السبل والوسائل الممكنة من اجل اسقاطها مستفيدة من كل امكانيات دعم الحلفاء في ذلك على الصعيدين العربي والدولي.

ان النضال ضد المواجهة في مثل هذا الوضع القائم، هو ولا شك اصعب بعشرات المرات، ان لم يكن اكثر، من النضال ضدها فيما لو كانت الحركة الوطنية الفلسطينية موحدة قوية لا تعاني من حالات تأزم وتمزق وصراع خطرة.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وضع المسألة :

=====

ان الاسئلة الكبيرة التي تدور في مخيلة وعلى السن الغالبية الساحقة من ابناء شعبنا في هذه الايام هي ولا شك لا تخرج من حيث الاساس في مضمونها عن الاسئلة التالية : كيف يمكن فهم ما يجري ؟ ما الذي دفع عرفات للعمل المشترك مع الملك حسين وتوقيع اتفاقية معه مثل اتفاقية عمان، وهو لا شك يعرف الموقف الثابت للنظام الهاشمي في عداائه وتأمره على الشعب الفلسطيني وقضيته منذ اكثر من ستة عقود وحتى يومنا هذا ؟ وهل زالت الاسباب العميقة للتناقض بين النظام الاردني والحركة الفلسطينية، وهي

التي قادت في حينه الى مجازر ايلول وجرش وعجلون ٧٠ - ١٩٧١ ؟ وهل اصبح النظام الاردني ونظام مبارك - المتزعم بدقة بكاتب ديفيد حليفين ل م . ت . ف . ، وما الاساس الموضوعي لهكذا تحالف ؟ هل ما تقوم به القيادة الرسمية ل م . ت . ف . هو من قبيل التكتيك والمناورة الضرورية، كما يدعي البعض ام انه اكثر من ذلك وخطر ؟ وهل تتي هذه القيادة ابعاد ما اقدمت عليه ؟ وبالتالي هل اقدمت على ما اقدمت عليه بناءً على موقد مسبق ، بناءً على خطة، ولتحقيق اهداف جرى تحديدها ؟ واذا كان كذلك ، فطرحنا من تخدم هذه الخطة، واهداف من التي يراد تحقيقها ؟ مصالح واهداف اية طبقات واية شرائح اجتماعية يراد خدمتها وتلبيتها ؟ وهل هناك تناقض بين هذه المصالح والاهداف، والمصلحة العامة العليا للشعب الفلسطيني في الاستقلال الوطني وحق العودة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ؟ ، وبالتالي هل تجري التضحية بالمصلحة العليا وبالاهداف الاستراتيجية لنضال الشعب الفلسطيني على مذبح المصالح الانانية الضيقة لطبقة معينة او لشريحة من طبقة ؟ .

هذه نماذج للأسئلة المتداولة الآن في الوسط الفلسطيني، ولا نستبعد ايضا ان تكون هي او ما يشابهها مطروحة في الاوساط العربية والدولية المعنية والمهتمة بمتابعة ما يجري على ساحة العمل السياسي الفلسطيني . ولكي يتسنى لنا الوصول الى اجوبة، او مفاتيح ومداخل لاجوبة على هذه الاسئلة او على بعضها . دون وقوع في الاسقاط او

أجهزة الدولة الأردنية خلال هزيمتها إبان عدوان حزيران ١٩٦٧، فقد اضطرت السلطة الأردنية لإعادة بناء الكثير من أجهزتها من جديد. وبشكل خاص الجيش والأمن العام. وإلى جانب ذلك كانت تنمو وبسرعة كبيرة، ولضعف السلطة الرسمية فضل في ذلك، حركة المقاومة الفلسطينية بأجهزتها المختلفة، التي كانت عن حق تبني سلطة ثانية، شعبية، بكل ما تحمله كلمة سلطة من معنى. وهكذا تواجدت على أرض الأردن خلال سنتي ٦٩ / ١٩٧٠ بشكل خاص سلطانان، رسمية وشعبية، التناقض بينهما تناحري بالضرورة. وبالتالي غير قابل للحل إلا بقضاء واحدة منها على الأخرى. أي بانتفاء أحدها. إن هذه الحقيقة أصبحت ساطعة الوضوح منذ مطلع عام ١٩٧٠، وتجلت بشكل صارخ إبان أزمي شباط وحزيران من ذلك العام. وفي كلتا الأزمتين بان رجحان كفة السلطة الشعبية التي كانت تسيطر على الوضع سيطرة شبه تامة، ضد السلطة الرسمية التي كانت تتراجع. وفي كلتا الحالتين، كانت تنتهي الإزمة بعد اجتماع ثنائي بين الملك حسين وياسر عرفات يصدر عنه اتفاق يقضي مضمونه بعودة كل طرف إلى مواقعه السابقة قبل الإزمة. وكان شيئاً لم يكن

الاحكام المسبقة، وللبقاء ضمن دائرة نهج البحث والتفكير العلميين، نجد من الضروري البحث عن الجذور التاريخية والطبقية والاقتصادية لسياسة الاوساط المتنفذة في القيادة الرسمية لـ م.ت.ف.، بشكل عام وحركة فتح بشكل خاص، والتي يصدر عنها القرار السياسي (ليس بالضرورة ان تكون مانعته)، تلك الاوساط المسؤولة رسمياً عما وصلت اليه السياسة الرسمية لـ م.ت.ف.، في الوقت الحالي.

في الجذور التاريخية

لما كان المجال لا يتسع في مثل هذه المقالة للقيام بعملية رصد تاريخية مستفيضة لسيرة م.ت.ف.، منذ تولي حركة فتح زبائنها وحتى الآن، فاننا سنستعير عن ذلك تتبع المسار الرئيسي لها لتتوقف فقط عند بعض المنعطقات والاحداث الهامة ذات الدلالة لهذه الدراسة، وسنعمد معياراً سياسياً دقيقاً لقياس المواقف السياسية وحقيقة اتجاه مسار التحول السياسي يعتمد القاعدة التي تقول بأن:

سرفة الموقف السياسي الحقيقي لأجهزة أو فصيل أو حزب، أو مجموعة سياسية لا يمكن تحديدها إلا بتحديد موقفها من القضية المركزية في الصراع السياسي القائم في تلك المرحلة.

٢ - لقد اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في شهر نيسان ١٩٧٥ بعد مجزرة عين الرمانة، هذه الحرب التي بدأ الاستعداد لخوضها حزب الكتائب وحزب الوطنيين الأحرار (الشمعونيون)، وغيرهم من العملاء وبمساعدة خارجية مكشوفة، قبل ذلك بعدة سنوات، ومع ذلك فإن حركة فتح لم تشترك في القتال

١ - خلال أعوام ٦٨ / ١٩٧٠، وبنتيجة تدمير السنية الهيكلية للجيش الأردني والكثير من

" وطرحت علينا هذه المجازر (مجازر ضبية والكرنتينا - الكاتب) حيارا خطيرا . فنحن لا نريد من جهة أولى ان نتدخل بصورة واسعة في النزاع طبقا للقرار الذي اتخذناه في مطلع الحرب الاهلية والقاضي بالا نزلق الى الشرك المنصوب لنا . غير انه كان من الصعب علينا من الجهة الثانية الازد على التحديات التي تلقينا احزاب اليس المسيحي في وجهنا . فقد كان من شأن الهجمة الدموية انها وجهت ضربة مبنوية شديدة الى الفدائيين ، والى الفلسطينيين والمسلمين اللبنانيين الذين بدأوا يستنكرون سلبيتنا . فكان لا بد لنا من استعادة المبادرة (ص ٢٧١ - ٢٧٢) .

وهذا ما لم يتم ، حيث ان الوقت كان قد فات على امكانية استعادة المبادرة . وجاء تدخل القوات السورية في مطلع حزيران من نفس العام ليضع حدا لمثل هذه الامال .

٣ - بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد في اليلول ١٩٧٨ ، وهي التي تتنكر لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ، كان من الطبيعي والبدهي ان تسارع قيادة م.ت.ف. ، بصفتها فائدة الشعب الفلسطيني ، وقائدة ممثلة الشرعي الوحيد ، ان تسارع للاعلان عن موقفها الصريح من الاتفاقية وان تقود حملة النضال ضدها . ولكن شيئا من هذا القبيل لم يحصل . بل ان رئيس اللجنة التنفيذية لم يقم بدعوتها للانعقاد ، وماطل وسوف لمدة طويلة ؟ واكثر من ذلك ، عندما سارع الحركة الوطنية في المناطق المحتلة ، بدعوة

القائم الا في شهر كانون الثاني من العام التالي ١٩٧٦ وذلك بعد بدء الحصار الصارم على تل الزعتر ، وتدمير مخيم ضبية وذبح اهله ، وبعد ان " مسحت احياء الكرنتينا عن وجه الارض بواسطة جرارات وقتل اهلهام ومثل بهم بوحشية " .

وهذا ما يقوله صلاح خلف في كل ذلك :
" ... فمنذ عام ١٩٧٠ ، اي بعد محزنة "اللول الاسود" في الاردن ، لاحظنا ان الكتائبيين بدأوا يمدون مخيماتهم العسكرية ويطورون وينمون ميليشياتهم . كما تم ارسال شباب من الكتائب ومن حزب الوطنيين الاحرار ليتدربوا في الاردن والمانيا الغربية ... وبدأت الاسلحة تتدفق (عليهم - الكاتب) بكميات متزايدة ابدأ منذ مطلع عام ١٩٧٣ .
وقد دعاني امين الجميل ، الابن البكر لرعيم الكتائب مرتين عام ١٩٧٣ لزيارة مخيم تدريب تابع لحزبه حيث امكنني ان الاحظ حجم ميليشياته وكفاءتها

وقد ادركنا في تلك الفترة (نيسان ٧٥ الكاتب) عيب الاعتقاد بصدق كلام احزاب اليمين المسيحي واقوالها حول عدم اعترافها بالمبادرة الى النزاع المسلح . ولولا هذا لما كنا انتظرنا بدايات الحرب الاهلية لتدرب ميليشيات فصائل اليسار ومسلحيها . والواقع هو اننا ظللنا حتى محزنة عين الرمانة في شهر نيسان ١٩٧٥ ، نكفي بمساعدة سكان المناطق الحدودية في جنوب لبنان على تنظيم انفسهم ليقاوموا هجمات الجيش الاسرائيلي ... " (صلاح خلف ، فلسطيني بلا هوية ، ص ٢٦٤) ثم يضيف صلاح خلف قائلا :

حساب علاقتها بالجماهير مصدر قوتها الحقيقي ؟ لنستمع الى ما كتبه ابو اباد بهذا الخصوص :

" . . . غالبا ما كنا نعتقد ازاء طرف من ظروف النزاع في بلد عربي ما ، ان من الخير لنا ان نحافظ على علاقتنا مع النظام القائم على حساب علاقاتنا بالجماهير الراضة له ، مزدربين بذلك المبدأ الذي كان ينبغي له ان يقود خطانا ، عنيت ، المبدأ القائل ان المصدر الحقيقي لقوتنا انما يكمن في التعاطفات الشعبية التي تثيرها باكثر مما يكمن في الدعم الذي تولينا اياه الحكومات على مصص . . . " (المصدر السابق ، ص ٢٢٦)

وهذا ما يشير الى ان الرجل الثاني في فتح ، كما يوصف عادة ، كان يعي هذه الحقيقة على الاقل منذ عام ١٩٧٨ ، سنة صدور كتابه ، ومنذ ذلك الوقت مرت سبع سنوات عجاف . فهل اقدم صلاح خلف ورفاقه على تغيير هذا النهج القاتل لحركة مثل حركتنا الفلسطينية ؟ ام تراهم قد انزلقوا في منحدره اكثر واكثر ؟ وهم فعلا كذلك . اذن لماذا ؟ اليس في هذا دليل على وجود قوى ، هي في موقع الحسم لدى تحديد نهج العلاقة بالانظمة والجماهير العربية ، ومصلاحتها في العلاقة بالانظمة لا بالجماهير ؟ !

ان هذا يقدم لنا المدخل الصحيح لفهم جوهر موقف قيادة م.ت.ف. بعد الخروج من بيروت .

لقد واجهت هذه القيادة احد خيارين الخيار الاول : ان تستند الى الهيئة والمصادقية العظيمة التي اكتسبتها بسبب

الجماهير لاعلان غضبها ورفضها للاتفاقية ، من خلال مختلف الفعاليات ، وبشكل خاص المهرجانات التمثيلية لمختلف المؤسسات الجماهيرية والوطنية آنذاك ، (مهرجان جميع النقابات ثم مهرجان جامعة بيرزيت وجامعة بيت لحم فجامعة النجاح) فوجئت بان هناك تعليقات للبعض من الخارج مصدرها قيادة فتح ، ومن عرفات شخصا تطلب " التراث " و " عدم التسرع " في رفض الاتفاقية وما الى ذلك . وقد ادت هذه التعليقات الى شيء من البلبلة والتردد عند بعض رموز الحركة الوطنية من جهة وتلقفها واستخدمتها رموز الاستسلام امثال فريج والشوا وغيرهم . ولكن زخم الحركة الوطنية ما لبث ان جرف في طريقه كل ذلك ، ليعلن على الملأ ، صوت المناطق المحتلة هادرا موحدا برفض كأي ديفيد وكل افرازاته النتنة .

١- ان قيادة م.ت.ف. بصفتها قيادة لحركة تحررية ثورية ، ولدى تحديد تحالفاتها لاتفاقاتها على المستوى العربي والدولي فمن الضروري والبدهي ان تكون وبشكل قاطع لا لسياسة ، في صف الجماهير العربية ، في صف حركة التحرر العربية . وان تكون على المستوى الدولي في صف الحركة الثورية العالمية . صحيح ان هناك خصوصية لوضع الحركة الفلسطينية ، بفعل ان جزءا اساسيا منها لا يعيش على ارضه وانما على اراضي دول عربية معزولة ، وهذا يفرض شكلا من العلاقة بالانظمة الثورية . ولكن هل راعت قيادة م.ت.ف. ، السبيل الرئيسي عند تحديد علاقاتها بالانظمة والجماهير العربية ان لا تكون علاقاتها بالانظمة ، وفي اي حال من الاحوال ، على

الصمود البطولي في بيروت، في أعين الجماهير العربية، لتشن هجوما لا هوادة فيه على الموقف المتخاذل الذي وقفته الانظمة العربية (باستثناء جمهورية اليمن الديمقراطية التي قدمت ما تستطيعه وفق امكاناتها المتواضعة) ابان حرب لبنان وحصار بيروت، وتقدم بذلك خدمة جُلِّي لا تقدر بثمن الى حركة التحرر العربية في نضالها ضد الرجعية العربية والامبريالية. وهذا الخيار يعني بالضرورة القطيعة مع الرجعية العربية وانظمتها والتخلي عن العديد من الاطر والمؤسسات التي اقامتها م.ت.ف.، ويتطلب وجودها ' طريق النضال العلني ورضى الممولين، والعودة الى النضال الثوري والتواجد والعمل السري، على الاقل في الدول الرجعية وغيرها ممن لن يسمح بنضال علني بعد هذا الموقف .

والخيار الثاني : وهو ما اختارته قياد م.ت.ف.، رغم كل المرارة التي كانت تعتورها بفعل موقف الصمت العربي، ويقينها بان الكثيرين كانوا سعداء لما جرى، بل وكانوا يأملون بما هو اسوأ. خيار السكوت على جريمة الصمت والتخاذل العربي، والانتقال الى تونس وغيرها والاستمرار بالنهج السابق : العلنية، والمحافظة على المؤسسات وما يتطلبه من مساهمة للانظمة، و"عناق وتقبيل لحى".

وها نحن نجد فائدة مرة اخرى، في الاقتباس من ابي اياد حيث يقول :

"... لنقل بصراحة، ان دخول فتح عام ١٩٦٨ الى منظمة التحرير الفلسطينية قد افسد عليها طابعها الثوري. اذ ان اكثر ما كنا نخشاه

حينذاك وما كان يشير تحفظاتنا قد حدث : فحركتنا غلبت عليها الميروقراطية. وخسرت من النضالية ما ربحته في " الاحترام " (يشير الى احترام الحكام العرب لهم - الكاتب) : فقد بتنا نتذوق التفاوض مع الحكومات ورجال السلطة وتأخذ آراءهم وتمنياتهم بعين الاعتبار . ثم اننا احلينا بين انفسنا وبين الانزلاق في تعرجات العلاقة العربية مشغلين، طائعين او كارهين، بالسياسة، بالمعنى السئ للكلمة. ولخشيتنا من ان يتهمنا الدبلوماسيون المحترفون، الحسنة النوايا الى هذا الحد، ذاك، "بالارهابية" و "التطرف" و "المغارة" فاننا كنا نسرع لنثبت، باى ثمن كان، "اعتدالنا" و " مرونتنا" و " روحية التوفيق والمصالحة" لدينا، ناسين ان ذلك لا يحتل من حيث المبدأ، مرتبة الاولوية في دعوتنا ورسالتنا " (نفس المصدر صص ٣٢٦ - ٣٢٧)

بالطبع لا يمكننا ان نوافق مع ابي اياد بان السبب كان في الدخول الى م.ت.ف.، فالقضية ليست في الاطار وانما في النهج، فجبهة التحرير الجزائرية، وجبهة تحرير فيتنام وغيرها كانت بمثابة منظمة تحرير جزائرية وفيتنامية، ولكنها لم تنهج هذا النهج .

ولو وافقنا مع ابي اياد بان م.ت.ف. قبل دخول فتح اليها عام ١٩٦٨ كانت تنهج مثل هذا النهج، لماذا لم تغير قيادة فتح، التي اصبحت هي القيادة الفعلية لم.ت.ف.، هذا النهج وتغرس بدلا عنه نهجا ثوريا، وبذلك تحافظ على " طابعها الثوري" وتطبع شركاءها في م.ت.ف. بالطابع الثوري ؟.

عناصر ايجابية في مشروع الرئيس ريفان". وظل الامر معلقا حتى انعقاد الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر التي رفضت من مجمل قراراتها المشروع، وان كان ايضا بنص ملتبس ضعيف .

أى انه ومنذ لحظة الاعلان عن مشروع ريفان، كانت هناك قوى متفردة في م.ت.ف. لا تريد ان تغلق الباب امامه. وبالتالي كانت، ولا تزال، تدفع باتجاه الاقتراب منه، وقبوله على خطوات ومراحل، جرعة جرعة .

بهذا الاتجاه، وعلى هذه الخلفية، تم فتح الحوار مع الاردن للتوصل الى اتفاق حول مشروع الكونغرس، الذي اضرت اللجنة المركزية لفتح لافائه في آخر لحظة. ولنفس الغرض جرى تنشيط عمل اللجنة المشتركة الفلسطينية - الاردنية، وتوسيع صلاحياتها . ثم كانت زيارة عرفات للرئيس مبارك المرتبط بكامب ديفيد بعد خروجه من طرابلس، حيث كانت اشارة صريحة الى توجيهه نحو القوى العربية الرجعية والى انه قد قرر الاعتماد عليها والانسجام مع نهجها وسياساتها وتكريس القطيعة مع سوريا وباقي فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية .

ولدى قيام النظام الاردني باحياء البرلمان بما في ذلك تعيين " نواب " مندوبين عن الضفة الغربية، وما تعنيه هذه الخطوة من انتهاك لقرارات قمة الرباط التي اعتبرت ان م.ت.ف. هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، اكتفت القيادة اليمينية لحركة فتح باعتبار هذه الخطوة مجرد

مرة اخرى نجد من المفيد التذكير بان ما اقتضاه من ابي اياد قد كتبه عام ١٩٧٨ ، (بعد الولوج الى الاردن والحرب الاهلية اللبنانية وبعد كامب ديفيد) . ومع ذلك وبعد ان غطت آخر ورقة تين تستر عورة الرجعية العربية بعد حصار بيروت والخروج منها لم يتم التخلي عن النهج الذي يدينه ابو اياد ويخطئه . بل جرى تكريسه اكثر واكثر كما رأينا خلال السنتين الماضيتين بشكل خاص .

الموقف من مشروع ريفان والحلول الامريكية: لقد تقدم ريفان بمشروعه على خلفية الاجتياح الاسرائيلي لمساحات واسعة من لبنان وحصار بيروت، واعتقادا منه بان اسرائيل نجحت في تدمير البنية الاساسية ل م.ت.ف. ، وقد حلت ساعة تركيعها واستلامها ، حيث كان في مضمونه نسخة منقحة من الجزء الخاص بالقضية الفلسطينية في اتفاقيات كامب ديفيد، اكثر دقة ووضوحا وتحديدا. انكر بدون مواربة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ورفض فكرة اقامة دولة فلسطينية مستقلة، وطالب م.ت.ف. بالتوقف عن ممارسة العمل المسلح ضد اسرائيل والاعتراف بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، اما الحل فيكون من خلال الاردن، اى بالعاق الضفة الغربية وقطاع غزة بالاردن . مدعى النقاط الاساسية للمشروع .

بالرغم من كل هذا الوضوح، الا ان قيادة حركة فتح، امتنعت عن الاعلان صراحة عن رفضها، بل واكثر من ذلك، اعلن الكثيرون من رموز اليمين الفلسطيني، ومنهم من يشغل مراكز مرموقة في م.ت.ف.، بان " هناك

" اجراء اردني داخلي " . ولعل الملك حسين اراد ان يزيل اى ليس لمعنى خطوته هذه في وقت لاحق عندما ترأس اجتماعا مشتركا ، بثه التلفزيون الاردني ، لنواب الضفة الغربية في البرلمان الاردني مع عددمشابه من اعضاء المجلس الوطني المشاركين في اجتماع عمان وخلال ايام الاجتماع .

وانسجاما مع هذا التوجه نحو مشروع ريفان ، فقد رفضت قيادة حركة فتح بالرغم من كل الضغوط التي مارستها اطراف التحالف الديمقراطي عليها ، ان تشجب او تستنكر او حتى ترفض خطوة الملك حسين باعادة

العلاقات بين النظامين الاردني والمصرى ، رغم كل ما تعنيه من مناصرة لنهج كامب ديفيد واستعدادا للعمل على اساس هذا النهج في الركن وراء الحلول الاميركية المطروحة .

ويزداد الامر وضوحا عندما نذكر بان قيادة فتح ، من جهتها ، لم تقطع علاقاتها بنظام كامب ديفيد في مصر ولا حتى ليوم واحد . فجمال الصوراني ظل على رأس مكتبه المفتوح في القاهرة طوال الوقت ، قائما بدور "ضابط ارتباط" وقناة مفتوحة على النظام المصرى ، ابان عهد السادات وخليفته مبارك . وكخطوة اخرى لتدعيم موقف مصر مبارك وكامب ديفيد على المسرح العربي والدولي ولاخراجها من عزلتها التي فرضتها عليها قمة بغداد ، قاد ياسر عرفات بنجاح الحملة من اجل اعادة مصر الى عضوية المؤتمر الاسلامي .

وانسياقا مع هذه الهزولة ، اصرت قيادة فتح على عقد المجلس الوطني في عمان

بدعوة انفرادية منها ، رغم كل ما تحمله هذه الخطوة من مخاطر على اهداف نضال الشعب الفلسطيني وعلى انجازات هذا النضال وعلى م . ت . ف . نفسها ، وما تقدمه من خدمة عظيمة للنظام الاردني ولكافة اعداء الشعب الفلسطيني .

وقد استمع الاجتماع الى خطاب الملك حسين ، الذى تضمن مبادرته التي استقى عناصرها من مشروع ريفان ، " وفد اردني - فلسطيني مشترك لاجراء المفاوضات لتحقيق مبدأ مقايضة الارض بالسلم على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ " . ليس هذا هو صلب مشروع ريفان ؟

ولم يرفض الاجتماع مبادرة الملك ، واحالها الى اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن الاجتماع . وهذه بدورها بدأت الحوار مع المسئولين الاردنيين للتوصل الى اتفاق بشأن المبادرة . ولما بدا ان الحوار قد واجهته بعض العقبات ، جسم الامر ياسر عرفات بنفسه بان وقع اتفاقية عمان المعروفة باتفاقية حسين - عرفات : وكانت بمثابة الفقرة الكبرى باتجاه مشروع ريفان بعد كل ما سبقها من خطوات متباعدة قصيرة وخجولة على نفس الطريق .

وقد وافق عرفات بموجبها على مبدأ مقايضة الارض بالسلم على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وبذلك تخلى عن الهدف الاستراتيجي لنضال الشعب الفلسطيني ، الاستقلال الوطني واقامة الدولة الفلسطينية ، ووافق على وفد اردني - فلسطيني مشترك لاجراء المفاوضات ، وبذلك تخلى عن حق

م.ت.ف. في وحدانية التمثيل .

القبول " بالخيار الاردني " على اساس القرار ٢٤٢٠ - من اعتبار " ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد المؤدى الى تحرير فلسطين " الى القبول " بوفد اردنى - فلسطيني مشترك يحاور الامركان تمهيدا لمفاوضة الاسرائيليين " .

ان قوة الدفع لتغيير المواقف او البرامج السياسية يجب البحث عنها خلف المصالح السياسية للطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية، هذه المصالح التي تمثل الواجهة الامامية لجسم له بعد ثالث هو المصالح الاقتصادية، لهذه الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية التي هي في حالة حركة وتغير دائمة ومطلقة، وما السكون والثبات في حياتها الا حالة نسبية، وهذا التغير في وضع الطبقات المطلق والنسبي، يؤدى بالضرورة الى تغير ملائم في مصالحها الاقتصادية وبالتالي في اهدافها وبرامجها السياسية وبشكل ملائم ايضا . ولذلك علينا ان نبحث في المتغيرات والمستجدات التي طرأت على وضع الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية التي تمثلها القيادة المتنفذة في م.ت.ف. اي قيادة حركة فتح خلال العقد ونصف الاخيرين .

لقد تشكلت قيادة حركة فتح عند تأسيسها من موظفين كانوا يعملون في دول الخليج، الكويت وقطر بشكل خاص، كمهندسين ومدرسين واداريين (x) ... الخ ومن مثل

وأخيرا ، ولكن ليس آخرًا جاءت مبادرة مبارك، لتفترج طريقا لتنفيذ اتفاقية حسين - عرفات وهذه ايضا اعلن عرفات "بانه لم يرفضها " . ولكن مبارك وفريقه نسوا حقيقة هامة. السادات كان يملك ورقة مصر، اخراج مصر من ساحة المعركة بكل ما لها من ثقل سياسي وعسكري وغيرها . مقابل هذه الورقة "حمل" على اتفاقية كامب ديفيد . فما هي الورقة التي يملكها مبارك وحسين وعرفات . يجب ان يزوها - بالمقارنة مع ورقة السادات - ليرفوا ما الذى ستقدمه لهم امريكا واسرائيل مقابلها .

الاساس الطبقي للانحراف اليميني

=====

ان المسار العام المتجه نحو اليمين بشكل ماثر للقيادة المتنفذة في م.ت.ف. وفق كل ما ذكرناه اعلاه، يشير الى ان هناك قوة دائنة داخلية، محركا داخليا، يستمد طاقة حركته من مصدر قوة متنام باستمرار . فكيف لنا ان نحدد تلك القوة وهذا المصدر ؟ هذه القوة التي دفعت بهذه القيادة من موقع النقاء الشورى المنقطع الى موقع التفريط اليميني المهيمن . من مطلب " التحرير الشامل واقامة الدولة الديمقراطية على كامل فلسطين " الى

باسر عرفات - مهندس في وزارة الاشغال العامة (الكويت) . فاروق القدومي - مدير دائرة في وزارة الصحة العامة (الكويت) . صلاح خلف و خليل الوزير معلمان في مدرسة ثانوية (لكويت) خالد الحسن وعبد المحسن القطان - من كبار اداريي الدولة (الكويت) . ابو يوسف النجار وكمال غدوان وابو مازن - موظفين في قطر ز ترا سوا منظمة اخرى اندمجت في فتح عام ١٩٦١

هذه الشريعة الاجتماعية التي تتكون اساسا من البرجوازية الصغيرة والانتلجنسيا تم تشكيل المجلس الوطني الاول في اغلبيته .

ان شعار التحرير الكامل كان يتناسب وطموحات هذه الشريعة الاجتماعية التي تعاني من الشعور بالغربة والحنين الى وطنها وقناعتها العميقة بان العودة الى وطنها الخاص بها هو شرط ضروري لتحقيق طموحاتها وامانيها وفيه فقط الفرص والامكانيات الحقيقية لتقدمها ، خاصة وانها تعيش في هذه الدول تحت كابوس الفصل من العمل والطرده والتفسير .

غير ان تطورات هامة قد حدثت منذ ذلك الوقت على وضع هذه الشريعة الاجتماعية وادت الى المسلك الحالي لقيادة فتح واهم هذه المتغيرات ، على صعيد العامل الذاتي ، هو ما طرأ على وضعها الطبقي ابان " الحفبة النفطية " ومرحلة " السيولة المالية " العظيمة في هذه الدول . " فقد تحول الكثيرون من ابناءها ، من اولئك المهندسين والموظفين الشبان الذين لا يجدون امامهم فرصا للتقدم في ديار الغربة وحتى للاستقرار الى مقاولين كبار ، او تجار يحملون جنسية البلد الذي يقيمون فيه ، ويرتبطون بمصالح اقتصادية ضخمة على مستوى ذلك البلد وامتدادا الى البنوك والشركات الاجنبية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة . وغدت بالتالي اعتباراتهم السياسية هي اعتبارات الطبقة التي ينتمون اليها في بلاد الشتات " .

وهكذا شهدت الحقبة الماضية ، عملية تفاضل سريعة في اوساط البرجوازية الصغيرة

والمتوسطة الفلسطينية المقيمة اساسا في الدول النفطية ، والتي كانت ولا تزال تشكل جزءا مكونا رئيسيا من القاعدة الاجتماعية لحركة فتح ، وبرزت منها شريحة أثرت ثراء كبيرا بحيث اصبحت هذه الشريحة ذات ارتباطات وثيقة بالرأسمال العالمي والشركات الاحتكارية الكبرى والشركات متعددة الجنسية ، وازدادت بالتالي مرتبطة بالضرورة بالمصالح السياسية التي تخدم هذه الارتباطات ، " ولما كان ابناء هذه الشريحة يتبعون بحكم المصلحة ، مصالح الطبقة التي ينتمون اليها فانهم بالتالي يتبنون اعتباراتها السياسية ومواقفها حتى فيما يتعلق بقصصهم الوطنية الاساسية " .

زد على ذلك بان هذه الشريحة ، بفعل قوتها المالية والاقتصادية وبناكملها واندماجها في نفس الفئة الطبقية ، الفئة العليا من البرجوازية الوطنية في ذلك البلد ، اصبحت من جهة غير مهتدة في وجودها كالسابق ، وبالتالي زال الاساس المادي الاقتصادي ، لطموحاتها وامانيها السابقة بضرورة تحقيق وطن خاص بها ، ومن جهة ثانية زادت امكانياتها في التأثير على قيادتها السياسية وفي تحديد المسار السياسي لم . ت . ف . بشكل عام ولحركة فتح بشكل خاص .

وبشكل مواز ، كما تشير حقائق الحياة اولا وبعض الدراسات والاستطلاعات والاحصائيات ثانيا . فان هذه الشريحة قد زادت بشكل كبير ملفت للانتباه ، بعد وابلان الحرب الاهلية اللبنانية ، وبشكل خاص في اواخر السبعينات واول الثمانينات ، من استثمارات ، بالدرجة

غزة التي تربطها بالاردن استثمارات مشتركة ومصالح اقتصادية اخرى

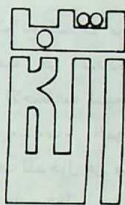
ان هذه الشرائح الثلاث من البرجوازية الوطنية الفلسطينية، في اعتقادنا ، تشكل مجتمعة القاعدة الاجتماعية لهيج الانحراف اليميني في م.ت.ف. الممهول نحو الاستسلام والمستعد للدخول في مساومات مع الامبريالية حول حل يتخلل فيه عن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وحق العودة ، وهو ما يتجلى في اتفاقية حسين - عرفات .

الاولى العقارية ، في الاردن (x) . وفي هذا دلالة بالغة على احد مصادر الدفع الرئيسية باتجاه تقارب م.ت.ف. مع الاردن وفتح الحوار معه حول الكونفدرالية الذى تتطور فيما بعد الى ما نراه حاليا من عناق بين النظام الاردني واليمين الفلسطيني .

ان هذه الشريحة الاجتماعية التي تشكل الفئة العليا من البرجوازية الوطنية الفلسطينية تتحالف مع البرجوازية البيروقراطية الكبيرة في اجهزة م.ت.ف. ، ومع البرجوازية الفلسطينية الكبيرة في الضفة الغربية وقطاع

في لقاء شخصي للكاتب مع اثنين من مدراء البنوك الكبيرة في عمان عام ١٩٨٠ ، اجمعا على القول بأنه وفق ما لديهم من معلومات ، يبلغ حجم رؤوس الاموال التي تهاجر وتستقر في الاردن ، (وفي غالبيتها العظمى لاصحاب فلسطينيين اربعين مليون دينار اردني شهريا) وان هذه الهجرة بلغت هذه الوتائر منذ عام ١٩٧٩ . وان كانت قد بدأت ، ولكن بوتائر اقل ، قبل ذلك بكثير .

التحرير



بقلم : خالد عبد الرحمن - غزة

الاب الشرعي للمستقبل . ودراسة الماضي تحتملها الحاجة لفهم الحاضر وضرورات استقراء المستقبل . وتلعب معرفة قوانين التاريخ وادراك حتمياتها دورا بارزا في التمايز الايديولوجي بين مختلف الطبقات، ففي حين تنكر المدرسة المثالية للتاريخ وجود اية قوانين منظمة لعملية التطور التاريخي، تؤكد المادية التاريخية استنادا الى العلم وجود هذه القوانين والمقولات وحتميتها . وكما تختلف النظرة الى الماضي، تختلف كذلك النظرة الى الحاضر والمستقبل، وتنكر المثالية التاريخية اية امكانية لاستقراء المستقبل استنادا الى الحاضر، في حين تؤكد المادية التاريخية ليس فقط امكانية استقراء المستقبل استنادا الى الحاضر، بل ومعرفة اتجاه التطور التاريخي، بل

ليس هذا اجترارا لامجاد ايام مضت، فحين توضع الاحداث في مساق التاريخ، تتحول الى سلسلة لا تنقطع، وتعكس في حقيقتها تطورا للقوى الاجتماعية في هذا البلد او ذاك، وتراكم الاحداث يشكل في نهاية الامر، المعالم الرئيسية للتطور التاريخي للمجتمع البشري على مر العصور . ورغم ان بعض الاحداث ذات الدلالة التاريخية المؤثرة قد تبدو عشوائية في ظاهرها، إلا ان النظرة العلمية لتاريخ المجتمع البشري تثبت ان التحولات التاريخية الحاسمة ليست احداثا عشوائية، بل هي حلقات في سلسلة التطور التاريخي الذي يستند الى قوانين ومقولات اثبتتها علم الديالكتيك، فالماضي والحاضر يرتبطان بروابط عضوية وثيقة، وكما ان الحاضر هو الاب الشرعي للماضي، فان الحاضر هو

٢٨ فبراير ١٩٥٥، والانتفاضة التي تبعتها .
تمثل تحد سافر لحكم عبد الناصر الذي قاد
الثورة في مصر رافعا شعار تحرير فلسطين،

والقضاء على الفساد واعادة الكرامة للجندى
المصرى الذى دفعت به خيانة قاداته وتآمرهم
نحو الهزيمة ، لكن الهزيمة لم تتوقف ،
وتلقى الجيش المصرى اللطمة تلو اللطمة
وبدا التملط واضحا في صفوفه، خاصة بعد
انتفاضة قطاع غزة . وكان على عبد الناصر ان
يجد طريقا للخروج من الهزيمة ، وتوالت
الاحداث فالاجابة على رفض الولايات المتحدة
وبريطانيا اعادة تسليح الجيش المصرى ، كانت
لجوء عبد الناصر الى طلب السلاح من الدول
الاشتراكية ، وردا على الاعتداءات الاسرائيلية
المتكررة ، شكلت مصر مجموعات من الفدائيين
الفلسطينيين ، للعمل في عمق الاراضي
الاسرائيلية ، وفي مواجهة سياسة الاحلاف
العسكرية العدوانية التي حاولت الامبريالية
فرضها على المنطقة العربية ، برز عبد الناصر
باعتباره واحدا من القادة العمالقة لحركة
عدم الانحياز والحياد الايجابي التي ولدت
في مؤتمر باندونج ، وامام محاولة عزل مصر
عن الشعوب العربية وقفت مصر على رأس حركة
التحرر الوطني العربية المعادية للامبريالية ،

ومدت يدها اليها تساندها وتشد ازرها ، وحين
لجأت الولايات المتحدة الى سحب عرضها
لتمويل السد العالي لمحاولة وقف التنمية في
مصر ، امتت مصر قناة السويس ، رمز الوجود
الاستعماري بها ، وقبلت عرض الاتحاد
السوفييتي لتمويل بناء السد العالي .

ولم تكن الامبريالية قد تعودت بعد على
تلقي الصفعات في هذه المنطقة من العالم

وبذلك حتمية التطور بموجب قوانين
وقولات يحددها التاريخ باعتباره
علمه قواعده المادية .

ان افكار ممثلي النظرة المثالية للتاريخ
اخضية انهيار الرأسمالية والانتقال الى
الاشتراكية لم يؤد الى توقف العمل بقوانين
التطور التاريخي، بل واصبح الانتقال من
الرأسمالية الى الاشتراكية هو سمة عصرنا
الرئيسية ، كما ان انكار حتمية انحسار الاستعمار
لم يمنع تحرر الشعوب المستعمرة ، فتحرر
الشعب هو امر حتمي تفرضه قوانين التاريخ
الموضوعية .

لم يكد يمض عشرون شهرا على اللقاء
الخير في انتفاضة ١٩٥٥ . حتى كانت عيون
الجماهير وقلوبها تبحث من جديد عن فارس
الكل ، ذلك الفارس الذى يقتحم الرصاص
عند العارى ، ويقودها الى طريق النجاة
والضوء ، الى جانب الرهبة والخوف مما هو
أت . كانت قلوب الجماهير تنضح بالمرارة ،
لنفس عشرين شهرا وقادة الانتفاضة يقبعون في
زوايا وزاوين السجون المصرية ، لكن الأمل ظل
يلا ، قلوب الجماهير التي آمنت ان اقتلاع
خنزير حزب الانتفاضة كان امرا مستحيلا .
وبلغت انتفاضة الجماهير التي قادها الحزب
السوي الفلسطيني في قطاع غزة هي الشرارة
التي اضلت نيران الثورة الوطنية التحررية
في مختلف ارجاء العالم العربي ، وكانت مصر
في القلعة الاولى التي تتحول الى منارة تضيء
في كل مكان ، فقد كانت الاعتداءات
الاسرائيلية المتكررة ، وبصورة خاصة احداث

على التصدى لقيادة العمل من اجل الوطن، وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة ابنا شرعيا لعصبة التحرر الوطني الفلسطيني وظلت نضالاتها مصدر الهام له، فقد استطاعت العصبة، وهي الحزب الوطني التقدمي الماركسي، ان تشق طريقها ونثبت وجودها الفاعل في ساحة العمل الوطني بسرعة فائقة، وعبرت بحق عن مصالح واماني الشعب الفلسطيني بأسره، رغم انها كانت تستند الى قوى طبقية منظمة ومحددة ممثلة في مؤتمر العمال العرب، الممثل الرئيسي للطبقة العاملة الفلسطينية، وجمعيات العمال الفلسطينيين في حيفا وغيرها من المدن الفلسطينية، ونادت العصبة في بداية الامر باقامة دولة ديموقراطية ذات مضمون اجتماعي نقدي وتوجه اشتراكي كحل للقضية الفلسطينية، الا انها اضطرت في نهاية الامر الى القبول بقرار التقسيم رغم ادراكها للغبين الذي يلحق بالشعب العربي الفلسطيني، فقد ادركت عمية التحرر ان الظروف المحيطة بالقضية الفلسطينية، وتحسسها للمؤامرة الامبريالية التي تحاك ضد شعبنا، والتي تم تنفيذها بعد ذلك على ايدي الانظمة العربية الرجعية تجعل من قرار التقسيم حلا مقبولا يحقق الحد الأدنى لتطلعات الشعب الفلسطيني في الحرب والتقدم، وحذرت العصبة من ان تدخل الجيوش التابعة للانظمة العربية الرجعية يستهدف قبل كل شيء اجهاز حركة التحرر الوطني الفلسطيني، ومن ثم حركة التحرر الوطني العربية بأسرها، وتنفيذ المؤامرة على الشعب الفلسطيني، واثبت التاريخ بعد ذلك ان رؤية عصبة التحرر الوطني للقضية الفلسطينية هي الاكثر صحة، وكانت مواقف عصبة التحرر هي الاكثر وضوحا وشجاعة بين

والتي تعتبرها معقلا دائما لها. وسرعان ما افقدها المد الثوري في المنطقة العربية صوابها، وادركت الامبريالية ان استمرار تطور حركة التحرر الوطني العربية سيؤدي حتما الى تغيير ميزان القوى في غير صالحها. ويدفع المنطقة العربية في النهاية الى الخروج من دائرة نفوذها بحيث تصبح مصالحها تحت رحمة قوى معادية لها.

وبدا الإعداد للمؤامرة القذرة التي استهدفت اسقاط النظام الوطني المعادي للامبريالية في مصر، باعتباره رأس الحربة لحركة التحرر الوطني العربية في مواجهة الامبريالية.

وخلال الاشهر العشرين التي انقضت بين الانتفاضة وبداية العدوان الثلاثي على مصر، لم تنس جماهير الشعب الفلسطيني في قطاع غزة انتفاضتها، وكانت الانتصارات التي تحققتها حركة التحرر الوطني في مصر وغيرها من البلدان العربية تؤجج صدور الجماهير وتزيد جذوة العمل الوطني اشتعالا، وظل الحزب بين الجماهير يحميها وتحميه، رغم قساوة الضربة التي تلقاها عقب الانتفاضة، وتمكن من اعادة رص صفوفه من جديد واستعاد قدرته على العمل شيئا فشيئا، ودارت آلة "الرونيو"، وعادت الايدي تتلقف نشرات الحزب السرية لتضعها على القلب وفي القلب رغم سيف الاعتقال المسلط على الرقاب، فقد ظل ضيق الافق البرجوازي الصغير يشكل حاجزا يحجب عن عبد الناصر رؤية الحلفاء والاصدقاء في تلك المرحلة، لكن جذور الحزب الراسخة بين الجماهير، وصحة خطة السياسي والوطني، ظلت تشكل ضمانا لقدرته

في مصر واستبداله بنظام موال للامبريالية، الا ان المأثرة البطولية للكتيبة الفلسطينية الحادية عشرة في سيناء، والمقاومة الباسلة للشعب والجيش المصري في بورسعيد، وموقف الاتحاد السوفيتي الحازم في مواجهة العدوان، اجبر المعتدين على وقف اطلاق النار دون تحقيق اى من اهدافهم .

وشهد قطاع غزة خلال الايام الاولى للاحتلال مذبحه رهيبه، حيث سيق المئات من المدنيين العزل الى الاعدام رميا بالرصاص دونما ذنب، وتركت جثثهم لتتعفن وتصبح طعاما للجوارح، وفرض نظام منع التجول على كافة المدن والقرى والمخيمات في القطاع لمدة ثلاثة ايام متتالية، وفي اليوم الرابع سمح بالتجول لمدة ساعتين، وكان الشيوعيون يتحرقون شوقا للقاء بعضهم بعضا، والتأم شمل اللجنة المركزية للحزب خلال هاتين الساعتين، واستمر اجتماعها لساعات طويلة في ظل منع التجول، وبدأ السباق مع الزمن . فالمؤامرة القديمة لتفريغ القطاع عادت لتبرز من جديد ولتصبح التحدى الاول الذى تواجهه القوى الوطنية في القطاع . فالى جانب المذابح الجديدة التي ارتكبتها قوات الاحتلال في غزة وخانيونس، عادت الى الذكرى مذابح دير ياسين وكفر قاسم وقبية وغيرها من المذابح التي استهدفت تفريغ الارض الفلسطينية من سكانها واهلها، وكان شعار العرض ولا الأرض " يشكل القاعدة النفسية للفرار وافراغ الارض . وادرك الحزب ان مواجهة هذه المؤامرة هي الواجب الاول لكل عمل وطني في هذه المرحلة، وقدمت قيادة الحزب تشخيصها الدقيق للمرحلة الصعبة

كل القوى الفلسطينية . وعبرت هذه المواقف عن المطامح والاماني الحقيقية للشعب الفلسطيني التواق للحرية والسلام والتقدم، وكان من الطبيعي ان حظيت عصبة التحرر بحب الجماهير واحترامها .

كان هذا التراث النضالي الهائل الذى ورثه الحزب في غزة عن عصبة التحرر الوطني الفلسطيني يشكل معينا لا ينضب لاستلهام اغانى العمل الوطني، وتعلم الحزب الكثير في مدرسة الانتفاضة، وتعمقت تجربته النضالية، واصبح عوده اكثر صلابه .

وبدأت القوات الاسرائيلية زحفها لاحتلال سيناء وقطاع غزة في صباح ١٩٥٦/١٠/٢٩، ولم تتمكن من دخول مدينة غزة الا في ساعات ظهر اليوم الثالث لبداية الدواول، بعد ان استبسلت القوات المصرية والفلسطينية والمقاومة الشعبية التي جرى تشكيلها في الايام القليلة السابقة، في الدفاع عن القطاع، وتمكنت من صد العديد من الهجمات وكبدت المهاجمين خسائر فادحة .

الى سيناء لعبت الكتيبة الحادية عشرة الفلسطينية دورا بارزا في التصدى للمعتدين واحارهم على وقف زحفهم الذى استهدف الوصول الى قناة السويس بأسرع وقت ممكن، وسحت الفرصة للجيش المصري للانسحاب الى غربي القناة وكان مقررا ان يقع هذا الجيش بين مطرقة القوات الاسرائيلية وسندان القوات البريطانية الفرنسية المشتركة والتي حدد لها السويس . وكان تنفيذ هذه الخطة يعني الابداء الكاملة للجيش المصري وتركيع النظام القائم

المهام الرئيسية للعمل الوطني في مواجهة الاحتلال .

وعكست التسمية المقترحة للاطار الجبهي رغبة الحزب الاكيدة في التعاون مع كافة القوى المعادية للاحتلال، وتطلد لاستمرار العمل الوطني المنظم في الاطار الجبهي المقترح الى ما بعد زوال الاحتلال، باعتباره اداة ضرورية لنضال الشعب الفلسطيني من اجل حقوقه المشروعة. ويين كذلك ان النضال ضد الاحتلال يرتبط باوثق الروابط مع النضال الذي تخوضه حركة التحرر الوطني العربية ضد الاستعمار . وكانت المبادرة باعادة تشكيل اللجان الوطنية في المدن والقرى والمخيمات، تعبر عن مدى حرص الحزب على اضعاء الطابع الجماهيري الشامل للنضال ضد الاحتلال، فالجماهير التي اكتسبت خبرة نضالية هائلة ابان انتفاضة ١٩٥٥ هي السند الرئيسي لكل نضال وطني .

وحدد الحزب ثلاث مجموعات منظمة يمكن اقامة الاتصال معها وعرض التحالف الجبهي عليها . الاخوان المسلمين، البعثيون والعناصر الوطنية المستقلة التي اطلق عليها اسم المجموعة الثالثة، والتي ضمت في صفوفها العديد من المنفيين الثوريين الذين جمعهم اخلاصهم لقضية الوطن واتجاههم الفكري الاشتراكي دون ان يكون لهم اطار سياسي منظم، وجرى تكليد اعضاء من اللجنة المركزية للحزب للاتصال بهذه المجموعات، وتم في الاجتماع اقرار البيان السياسي باعتباره اساسا صالحا للاتفاق مع كل القوى الوطنية المعادية للاحتلال في

التي يمر بها شعبنا، والتحديات التي تواجه حركة التحرر الوطني العربية، وحددت التناقض الرئيسي في تلك المرحلة بانه التناقض بين الامبريالية والصهيونية من جهة وحركة التحرر الوطني العربية من جهة اخرى، وخلصت الى الاستنتاج بان الهدف من هذه الهجمة كان محاولة اجهاض حركة التحرر الوطني العربية عن طريق القضاء على نظام عبد الناصر باعتباره رأس الحربة في مواجهة التحالف الامبريالي .

ان احتلال قطاع غزة لم يكن هدفا يحد ذاته بل كان المكافأة التي تقدمها الامبريالية لاسرائيل ثمنا لمشاركتها في المؤامرة، وان هذا الاحتلال سيهدد مصالح كافة الشرائح الاجتماعية في القطاع، وان مواجهة التهديد الذي يمثله الاحتلال يتطلب الاستناد الى تحالف وطني شامل . وحددت اللجنة المركزية اهداف النضال في مواجهة الاحتلال والتي تلخص في العمل على كس الاحتلال وعودة الادارة المصرية للقطاع . ومن اجل تحقيق هذه المهمات اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة القرارات التالية .

اولا : اقامة جبهة وطنية عريضة تجمع ممثلي كافة التنظيمات والشرائح الاجتماعية في القطاع تحت اسم جبهة المقاومة الوطنية .
ثانيا : الاتصال بالقوى الفلسطينية المنظمة والشخصيات الوطنية بالقطاع فورا من اجل اقامة جبهة المقاومة الوطنية .
ثالثا : البدء فورا باعادة بناء اللجان الوطنية في كل مناطق القطاع .

رابعا : اصدار بيان باسم جبهة المقاومة الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية يحدد

المجتمع اليهودي ستقف الى جانب حقنا في ان يجلو المعتدون عن غزة وسيناء ومنطقة قناة السويس". ورغم صحة هذا الاستنتاج، إلا ان القوى القومية في القطاع وخارجه لم توافق عليه. بل واعتبرته مأخذا على الشيوعيين في قطاع غزة، واحتاج الامر الى اكثر من عشرين عاما لتقر كافة القوى الفلسطينية بحق روية الحزب لدائرة الحلفاء والاعداء في تلك المرحلة.

وحدد البيان كذلك مهمات العمل الوطني في مواجهة الاحتلال والتي تلخصت في ضرورة تهدئة روع الجماهير، واعادة ثقتها بنفسها وبقدراتها، ورفع مستوى وعيها السياسي والتصدى لمخططات تفرغ القطاع، ومقاطعة قوات الاحتلال وعدم التعاون معها في اى مجال، والتحضير لتصعيد المقاومة تدريجيا من اجل تحقيق انسحاب المحتلين وعودة الادارة المصرية لقطاع غزة.

ودارت الة "الرونيو" مرة اخرى في ظل منع التجول لتضع بين ايدي الجماهير في اليوم التالي البيان الاول الذي يحمل توقيع جبهة المقاومة الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية، وانتقل البيان من يد الى يد، ومن منزل الى منزل، وبدأ الامل يجد طريقه الى النفوس، فقد عاد ابطال الانتفاضة للعمل من جديد، وتلقى الحزب عددا من آلات الطباعة هدية من بعض ابناء القطاع لتعبر بذلك عن ثقة الجماهير به وايمانها بدوره القيادي. وشهدت الايام التالية اللقاءات بين مندوبي الحزب وممثلي القوى السياسية التي حددتها اللجنة المركزية، وجاءت الردود على الوجه التالي :

الاطار الجبهوى المقترح. وقدم الحزب في هذا البيان رؤيته السياسية لطبيعة المرحلة وتشخيصه للمؤامرة واهدافها، واكد على حتمية اندحار العدوان في ظل موازين القوى القائمة في المنطقة العربية وعلى المستوى العالمي، فقد كانت موجة النهوض العارمة التي تشهدها المنطقة العربية، وانحسار الاستعمار ونظام قوى منظومة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي الحليف الوفي لحركات التحرر الوطني العالمية، والتضامن العالمي المنقطع النظير الذى حظيت به حركة التحرر الوطني العربية ورمزها في مصر، والتفاف جماهير الشعب المصرى حول قياداتها وتناهبها في الدفاع عن الوطن، وفشل القوى الغازية في تحقيق اهدافها، يجعل انحسار العدوان وكس الاحتلال امرا حتميا، ووضح البيان بشكل قاطع ان الحركة الوطنية الفلسطينية هي جزء من حركة التحرر الوطني العربية التي تنتمي الى معسكر حركة التحرر العالمية، وان الاستناد الى منظومة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي، والتحالف معها هو ضرورة استراتيجية. وشملت دائرة الاصدقاء والحلفاء كما حددها الحزب في بيانه الاول الطبقة العاملة في البلدان الغازية نفسها وانطلق الحزب في تحديده لدائرة الحلفاء والاعداء من وعية الطبقي لسالة الحرب الاستعمارية التي تهدد مصالح الطبقة العاملة في البلدان الغازية الى جانب تهديدها لمصالح الشعوب التي تتعرض للغزو ولم يكن استثناء طبليعة الطبقة العاملة في اسرائيل نفسها، الحزب الشيوعي الاسرائيلي من دائرة الاصدقاء ممكنا، وجاء في البيان "كما ان هناك قوى وعناصر شريفة في

والفلاحين والطلاب والمنقفيين والعناصر الأكثر تقدما من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، وتحولت جبهة المقاومة الوطنية الى منظمة جماهيرية واسعة تضم في صفوفها ممثلي كافة الشرائح الاجتماعية القائمة في القطاع ذات المصلحة في دحر الاحتلال .

وظلت بيانات الجبهة المتتالية تؤكد على حتمية اندحار العدوان وتدعو الى الصمود، وتحذر من مؤامرة تفريغ القطاع، وتبين الاصرار على تحقيق الوحدة الوطنية الشاملة في مواجهة الاحتلال، وتحض على مقاطعة المحتلين وعدم التعاون معهم في اي مجال، ووجدت نداءات الجبهة قبولا جماهيريا واسعا، وتحقق شعار المقاطعة، ولم تجد قوات الاحتلال سوى حفنة صغيرة من العملاء، وبقي العناصر من كبار الملاك والبرجوازية التجارية الكبيرة، من اشباه "الكومبرادور" تقبل التعاون معها، وفرضت الجماهير على هذه العناصر عزلة شاملة وواجهتها بازدراء واحتقار، كل مكان. وبدأت سلطات الاحتلال تحس بالعجز عن مواجهة الصمود الشعبي في قطاع غزة، ويات من المحتم ان تلجأ الى اكثر الوسائل خسة ودناءة لتحقيق اهدافها، وادركت قيادة جبهة المقاومة الوطنية ان المرحلة القادمة ستشهدارهابا دمويا شاملا يستهدف النيل من صمود الجماهير، وطرحت شعارها لهذه المرحلة، فاذا كان شعار "العرض ولا الارض" يشكل القاعدة النفسية للهروب الجماعي، فان تحقيق شعار "الموت ولا العرض" يشكل قاعدة للصمود في وجه المؤامرة، وسرعان ما وجد هذا الشعار موافقة جماهيرية واسعة، وكان الشهيدان صلاح

البعثيون : نحن معكم ونؤيدكم ، غير اننا لا نستطيع المشاركة في جبهة المقاومة الوطنية الا بعد موافقة القيادتين القطرية والقومية .
الاخوان المسلمون (وكان يمثلهم في ذلك الوقت الشهيد كمال عدوان و خليل الوزير) :
نؤيدكم في خطوتكم ، لكننا لانوافق على ما جاء في بيانكم حول القوى والعناصر الشريفة في داخل اسرائيل، ونرى ان علينا ان ننتظر الحصول على خرائط طوبوغرافية والبدء بالعمل المسلح فوراً .
وأوضح مندوب الحزب لممثلي جماعة الاخوان المسلمين ان المرحلة الراهنة لا تحتمل العمل المسلح، فالجماهير محبطة ويسيطر عليها الهلع، وان الانتفاضة المسلحة هي الشكل الارقى للمقاومة ولا بد ان تسبقه اشكال اكثر بساطة واعمق تأثيرا على الجماهير يجرى تطويرها تدريجيا وصولا الى الانتفاضة المسلحة، واعتذر ممثلو الاخوان عن المشاركة في جبهة المقاومة الوطنية .

اما المجموعة الثالثة، فقد رحبت بمبادرة الحزب وابتدت استعدادها الفوري للانخراط في العمل الوطني ومقاومة الاحتلال في اطار جبهة المقاومة الوطنية على اساس البيان الذي اصدره الحزب، وقدمت هذه المجموعة اسهاما بالغ الاهمية في تطوير العمل الوطني وترسيخه بين الجماهير، وشاركت في قيادة جبهة المقاومة الوطنية، وسعت لتوسيع قاعدة المشاركة في النضال ضد الاحتلال، وتوالت بيانات الجبهة، واتسعت دائرة العمل الجماهيري شيئا فشيئا، وضمت اللجان الوطنية في صفوفها الالاف من العمال

الظاهرية، الا ان نقطة جبهة المقاومة الوطنية ومبادرتها للتصدى لعملاء الاحتلال افشلت المحاولة. وقررت قيادة الجبهة ان تواجه الجماهير كل محاولة يقوم بها جنود الاحتلال للاعتداء على العرض، واصدرت توجيهاتها للجان الوطنية في كل مكان بان تحث الجماهير على مواجهة الجنود المعتدين، وكان على النساء والفتيات ان ينقلن الاستغاثة من منزل الى منزل، وعلى الرجال ان يهبوا مسلحين بالعصي والهرات والسكاكين والحجارة وكل ما يمكن استخدامه في القتال لمحاصرة البيت الذي تصدر منه الاستغاثة الاولى. وان يقاتلوا دفاعا عن الشرف، ولم تكن تمض ايام قلائل. حتى قررت سلطات الاحتلال ان تعيد التجربة من جديد، ولكن في قلب مخيم الشاطي هذه المرة، حيث اقتحم سبعة من الجنود احد بيوت المخيم متسترين بظلمة الليل، وبدأوا محاولاتهم لاغتصاب الفتيات والنساء اللاتي اسرعن بالاستغاثة، وجرى تطبيق خطة جبهة المقاومة الوطنية لمواجهة احداث كهذه بسرعة فائقة، فخلال دقائق معدودة كان اكثر من ثلاثة الاف رجل وصبي وامرأة يحيطون بالمنزل ويقتحمونه والقت الحجارة الغاضبة القبض على الجنود السبعة الذين اذهلتهم المفاجأة وحجم الحشد الذي يواجههم، وجرى تجريدهم من السلاح، وحمل الجنود الموثقون في الصباح الى دار البلدية ليلقى بهم الجماهير امام رشى الشوا . . . علّه يصدق عينيه هذه المرة، الا انه رفض تسلم الجنود وأسلحتهم وحمل الجنود الموثقون من جديد لتلقيهم امام مقر الحاكم العسكري لقطاع غزة .

وادی النجاح الساحق لخطة جبهة

البايبي وزوجته هما القدوة، فقد اختارت قوات الاحتلال بيت الشهيد القريب من مخيم الشاطي - اكبر مخيمات اللاجئين في قطاع غزة - للقيام بتجربتها الاولى لكسر صمود الجماهير وتمسكهم بأرض الوطن، وقامت بشن هجوم ليلي غادر عليه، وحاول عدد من الجنود اغتصاب زوجته امامه لتصبح عبرة للآخرين، الا ان رسالة الزوجين في الدفاع عن العرض دفع بقوات الاحتلال الى اطلاق الرصاص عليهما وقتلتها على الفور، تاركين طفلين صغيرين كان احدهما ما زال رضيعا، ولا الجنود بالفرار، وفي الصباح كان خبر استشهاد الزوجين الباسلين يملاء أرجاء القطاع، وقررت جبهة المقاومة الوطنية ان تنوم بنظاهرة كبرى احتجاجا على الممارسة الدنيوية البشعة للاحتلال، وانطلقت المظاهرة من مخيم الشاطي، وتمكنت من الوصول الى مبنى بلدية غزة، رغم المحاولات المتكررة التي بذلتها قوات الاحتلال لتفريقها، وطلب منووب المظاهرة مقابلة رشى الشوا، رئيس البلدية الذي نصبته سلطات الاحتلال، لتقديم احتجاجهم له لينقله الى قيادة قوات الاحتلال، الا انه رفض تسلم الاحتجاج وحاول نشر الجنود من تلك الفعلة الدنيئة رغم تأكيد شهود العيان للوقائع .

وعمدت سلطات الاحتلال الى استغلال هذا الحادث البشع واثاره النفسية، فاعزت لسلطاتها ان يبدأوا بحث اللاجئين الذين يعيشون حياة بائسة تنسم بعدم الاستقرار في المخيمات على الهجرة الى الضفة الغربية، بعد ان فتحت نفرة مقابل مخيم البريج، اسهلت المرور عبر خطوط الهدنة وصولا الى

وعمت المظاهرات الصاخبة كل أنحاء القطاع، وملاّت صور عبد الناصر شوارع غزة، تعبيرا عن تمسك جبهة المقاومة بهدفها المرحلي، وكس الاحتلال وعودة الادارة المصرية الى القطاع، وتأبيدها للخط السياسي الذي اتبعت مصر في مواجهة الامبريالية. وحققت جبهة المقاومة الوطنية بهذه الانتفاضة نصرها الثاني فقد نجحت الجبهة في تعبئة الجماهير وتنظيم صفوفها وتصعيد مقاومتها للاحتلال. وتعزيز وجود الجبهة وتوثقت علاقاتها بالجماهير، وضمت الى صفوفها بعض الناصر والقوى التي ابدت ترددا في الالتحاق بركب العمل الوطني في الايام الاولى للاحتلال.

وكانت جيوش بريطانيا وفرنسا، تركيا اسرائيل في الموءامرة، قد اتمت انسحابها من بورسعيد بعد ان تلقت ضربات موجبة علم ايدى حركة المقاومة المصرية التي اسهم فيها الشيوعيون المصريون بقسط وافر، وظلت اسرائيل تعيش في عزلة كاملة عن العالم بعد ان تخلى عنها شركاؤها وحلفاؤها، الا انها اضطرت للرضوخ تدريجيا، وبدأت انسحابها من سيناء، واخذت الجبهة يقترب حينئذ من قطاع غزة، ومع اقتربها كانت جبهة المقاومة الوطنية وجماهيرها تزداد اصرارا على تصعيد مقاومتها للاحتلال ودحره، ولجأت سلطات الاحتلال الى شن حملة قمع ارهابية ضد القوى الوطنية في القطاع وفي مقدسهم الشيوعيون، واستخدمت اشد اساليب التعذيب ضراوة في محاولة لانتزاع الاعترافات منهم. وصمد اعضاء الحزب في وجه الارهاب، وعجزت سلطات الاحتلال عن توجيه ضربة قاصمة للحركة الوطنية في القطاع، واصبح

المقاومة واستبسال الجماهير دفاعا عن الشرف وتسرب انباء حادث مخيم الشاطئ الى وسائل الاعلام الغربية والعالمية، الى ازمة داخل اسرائيل نفسها، وقدم النواب الشيوعيون في الكنيست الاسرائيلي استجوابا لوزير الدفاع حول تصرفات الجنود في قطاع غزة، ووقف بن غوريون ليعلم في الكنيست ان مسوءولية هذه الحوادث تقع على عاتق مرتكبيها وحدهم وقدم وعدا بان لا تتكرر من جديد، وكان ذلك بمثابة اعلان عن فشل مخططات الاحتلال لتفريغ القطاع، وحققت جبهة المقاومة الوطنية اولى انتصاراتها، واضيف الى شعار " الموت ولا العرض " شعار جديد "... الموت ولا الارض"، وكانت بداية مرحلة جديدة في النضال الوطني وبدأ الانتقال التدريجي من الصمود والدفاع والتمسك بالارض وبالعرض معا الى الهجوم من اجل دحر الاحتلال وتحرير القطاع.

وبدأت حرب المنشورات والاضرابات والمظاهرات تمهيدا لعصيان مدني شامل، وحانت الفرصة للقيام بالتجربة الاولى حين قررت سلطات الاحتلال ابعاد العائلات المصرية التي كانت تعيش في قطاع غزة، والتي ظلت منذ الايام الاولى للاحتلال تعيش في " غيتو " محاط بالاسلاك الشائكة في محاولة لغرض العزلة عليها، الا ان جبهة المقاومة الوطنية تمكنت من اقامة صلات مع هذه العائلات، وظلت تقدم لها كل عون ممكن حتى اتخذت سلطات الاحتلال قرارها بابعادها الى مصر ملحمة بذلك الى قطع كل صلة بين مصر وقطاع غزة، وبدعوة من جبهة المقاومة الوطنية شهد يوم الوداع اضرابا شاملا

الوقوف الى جانب مصر والاعتراف بدورها القيادي لحركة التحرر الوطني العربية، ولم يكن بإمكان اسرائيل ان تحقق وحدها ما عجزت عن تحقيقه مع شريكاتها في المؤامرة وكان استمرار احتلال قطاع غزة يعني استمرار مقاومة الجماهير وتطويرها، وبدأت اسرائيل تخشى ان تصل يد المقاومة الى عمقها، وبات الانسحاب من قطاع غزة امرا محتوما. وتقرر ان يكون الانسحاب من القطاع بلا اعلان، وفرض نظام منع التجول على القطاع اعتبارا من ظهر يوم ١٩٥٧/٣/٦. وادركت قيادة جبهة المقاومة الوطنية مغزى الاشارة، وعقدت اجتماعها الاخير في ظل الاحتلال اثناء منع التجول واصدرت الجبهة اعلان النصر.

ممود الشيوعيين امام التعذيب مثلا تحتذى به كل العناصر الوطنية التي سبقت الى الانشقاق.

ورغم قساوة الضربة التي واجهتها جبهة المقاومة الوطنية، الا انها تمكنت من استعادة ندرتها على العمل في وقت قياسي بفضل التفات الجماهير حولها، وعادت لتقود المقاومة المتصاعدة من جديد، وطالت يدها بعض اعوان السلطة وعملائها واتسعت حركة الاضرابات والمظاهرات، وبدأ التحضير لمصان مديني شامل تمهيدا للانتقال الى النكل الارقي لمقاومة الاحتلال، وبدأت اسرائيل تبدي تعنتا في مسألة الانسحاب من قطاع غزة الذي اعلنت عنه كجزء لا يتجزأ من ارض اسرائيل، وبدأت في اقامة المستوطنات في اجزاء من ارض القطاع. وادركت جبهة المقاومة الوطنية ان تصعيد مقاومة جماهير القطاع سيلعب دورا حاسما في دحر الاحتلال، وظل الايمان بحتمية الانتصار يغذي المقاومين النوازل، ولم تفلح قوات الاحتلال رغم الفزع والارهاب الدموي في كسر حدة المقاومة الباسلة للجماهير، وشل الاضراب الشامل المفتوح كل المرافق في القطاع بناء على طلب جبهة المقاومة الوطنية، وكانت تلك هي البداية العملية للعصيان المدني الشامل، وادركت حكومة اسرائيل ان الوقت لم يعد ميسرا لصلاحها، فقد كان انحسار الاستعمار سمة شائعة من سمات العصر، وبدأت الامبريالية في تقويض موقع تلو الموقع وشهدت بلدان اسيا والافريقيا وامريكا اللاتينية موجة نهوض عارمة، وكانت حركة التحرر الوطني العربية في اوجها واصبحت الجماهير العربية حكوماتها على

وفي الساعات الاولى من فجر ١٩٥٧/٣/٧ اتهمت القوات الاسرائيلية انسحابها من القطاع بعد مائة وخمسة وعشرين يوما من جحيم الاحتلال. وحلّت قوات الطوارئ الدولية محلها في كافة انحاء القطاع، ورغم استمرار نظام حظر التجول، خرجت جماهير القطاع بأسرها في تظاهرة كبرى احتفالا بانتصار ارادة الشعب وصموده، وحُمل الشيوعيون وقادة جبهة المقاومة الوطنية على الاعناق، اعترافا بالدور البطولي الذي قامت به الجبهة في تحقيق النصر، وعجزت قوات الطوارئ الدولية عن وقف زحف الجماهير، وبات الشارع ملكا للمناضلين الاوفياء من جديد، وعادت صورة انتفاضة ١٩٥٥ الى الذاكرة من جديد... وفرض الشعب على العملاء والمتعاونين مع الاحتلال نظام منع التجول.



لكافة الشرائح الاجتماعية والسياسية في قطاع غزة .

ولم ينقطع سيل المظاهرات لمدة سبعة ايام متتالية . وكان فجر كل يوم يشهد بداية جديدة . وظل الشيوعيون وقادة جبهة المقاومة الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية يقودون المظاهرات في كل انحاء القطاع . وفي اليوم الرابع اطلقت القوات الكندية المشاركة في قوات الطوارئ الدولية رصاصها على المتظاهرين بعد ان رفضت القوة الهندية والأندونيسية الانصياع لامر الجنرال "بيرنز" المباشر بتفريق المظاهرات بالقوة المسلحة . وسال الدم الفلسطيني على الارض الفلسطينية بايدي من كان ينظر اليهم على انهم رمل السلام . وللوهلة الاولى ، اصيبت الجماهير بالذعر من هول المفاجأة ، وتطلعت الجماهير لتبحث عن عراة الصدور ، فقد اصيبت الصدور العارية للشيوعيين في مواجهة الرصاص هي الدرع الذي يحمي الجماهير ويثير فيها الحماس والقوة ، ولم يخيب الشيوعيون الأمل وهب المئات منهم يفتحون صدورهم للرصاص ويقتحمون مواقع القوات الكندية التي توت امامهم ، واضطر الجنرال "بيرنز" ان يقدم اعتذاره لقادة جبهة المقاومة الوطنية ، ونظّم وعدا بان يبلغ الامين العام للامم المتحدة رغبة الجماهير الفلسطينية في عودة الادارة المصرية الى قطاع غزة ، وافرج عن كافة المعتقلين الذين انضموا للمظاهرات الجماهيرية فور خروجهم من السجن ، وبان النصر النهائي قريب المنال .

وكانت جبهة المقاومة الوطنية قد افشلت محاولة قامت بها مجموعة العناصر الرجعية

لكن الساعات التالية حملت معها الى قيادة الجبهة الاحساس بخطر جديد قادم ، فالعنف الذي أبدته بعض وحدات قوات الطوارئ لم يكن له ما يبرره خاصة ان المظاهرات كانت تتسم بالطابع السلمي ، وحاولت قيادة قوات الطوارئ فرض حظر التجول من جديد ، ورفض الجنرال الكندي "بيرنز" قائد القوات الدولية طلب قيادة الجبهة بالافراج عن المعتقلين ، وجرت لقاءات سرية بين الجنرال "بيرنز" وبعض الشخصيات الرجعية المعادية لمصر وحركة التحرر الوطني . واكتشفت قيادة الجبهة ان "دالاس" وزير الخارجية الامريكية سيء الصيت ، قد قدّم وعدا لاسرائيل بعدم السماح للادارة المصرية بالعودة الى قطاع غزة ، وعقدت قيادة الجبهة اجتماعا طارئا ، وتقرر فيه دعوة عدد من الشخصيات وممثلي ، القوى السياسية المنظمة الى اجتماع موسع رغم عدم مشاركتها في العمل ضد الاحتلال . وخلال الاجتماع الموسع عرضت قيادة جبهة المقاومة الوطنية رأيها في المؤامرة الجديدة التي تستهدف تدويل القطاع ووضعه تحت اشراف الامم المتحدة الى الأبد ، واوضحت ان عودة الادارة المصرية الى القطاع هو المقدمة الضرورية لاعادة تعبئة الجماهير الفلسطينية وتنظيمها وابرار ارادتها تمهيدا للانتقال الى مرحلة استعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . واتخذ المجتمعون قرارا بالتصدي بحزم لمؤامرة التدويل ، واستمرار التظاهر حتى تعود الادارة المصرية للقطاع . كما تقرر توسيع نطاق جبهة المقاومة الوطنية لتضم الى قياداتها كلا من البعثيين والاخوان المسلمين وعددا من الشخصيات المستقلة ، لتصبح بذلك ممثلة

وتحققت الاهداف النضالية التي حددتها جبهة المقاومة الوطنية، وكانت تلك التجربة هي المدرسة التي تخرج منها افضل مناضلي الشعب واكثرهم اخلاصا لقضية الوطن، وانتزع الشيوعيون في قطاع غزة اعتراف كافة القوى بدورهم القيادي والبطولي في النضال ضد الاحتلال والعمل على دحره واجبار المعتدين على الانسحاب .

وعقدت القيادة الجديدة للجبهة الشعبية اجتماعا مع الحاكم العام المصري للقطاع، وقدمت طلبا لاجارة الجبهة كممنظمة سياسية شرعية، وأرقت بطلبها نسخة من برنامجها السياسي، ووعد الحاكم بدراسة الامر والتشاور مع الحكومة المصرية. والتوصية لديها بقبول هذا الطلب، وباشرت الجبهة عملها العلني، وافتتحت مقرين لها في قلب مدينة غزة، ونظمت اللقاءات والمهرجانات في كل ارجاء القطاع، واصدرت صحيفة "التحرير" الاسبوعية لتحمل للجماهير رأى الجبهة في القضايا الراهنة، وتعمق التلاحم بين الجماهير والجبهة الشعبية ضد الاستعمار والصهيونية، وظلت الجبهة تمثل ضمير الشعب الفلسطيني، فقد عبرت بصدق عن امانيه وتطلعاته، واضطرت الحكومة المصرية للافراج عن قادة انتفاضة ١٩٥٥ تحت ضغط الجبهة الشعبية والرأى العام في القطاع. لكن الايام التالية حملت معها صورة جديدة لضيق الافق البرجوازي الصغير، وبدأت القيادة المصرية في مساومة بعض العناصر الوطنية المستقلة على ابعاد الشيوعيين عن قيادة الجبهة كشرط لاجازتها كممنظمة مشروعة، الا ان الرضى القاطع للمساومة كان السمة الرئيسية لردود كافة هذه

لإتارة الحرب الاهلية في القطاع لتعطي المبرر لغوات الطوارئ لغرض هيمنتها على القطاع، كما افضلت محاولة اخرى للدوس عليها وتربيف اتجاهها السياسي على يد مجموعة اخرى من العناصر الرجعية المعادية لاماني نسيا، ونجحت في اقامة القيادة الجبهوية الثالثة والعريضة، وتم الاتفاق على تسمية التشكيل الجديد باسم الجبهة الشعبية ضد الاستعمار والصهيونية، وصاغت الجبهة الشعبية برنامجها السياسي للمرحلة القادمة، ودعت الجبهة في برنامجها الى قيام وحدة عربية على اسس كفاحية معادية للامبريالية الصهيونية، وذات مضمون اجتماعي تقدمي، وبين البرنامج كذلك حتمية حشد الطاقات العربية لمواجهة النهج العدواني للامبريالية والمحافظة على المكتسبات التي حققتها حركة التحرر الوطني العربية وتطوير هذه المكتسبات ونسخ الاستقلال السياسي والاقتصادي للشوب العربية، وطالبت الجبهة بتحقيق حل عادل لمشكلة الشعب الفلسطيني يستند الى قرارات الامم المتحدة وحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير. ودعت الى قيام جمعية تأسيسية فلسطينية في قطاع غزة تضم ممثلي كافة القطاعات والقوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية وفرض التجنيد الاجبارى واقامة جيش وطني فلسطيني ليكون دراعا عسكريا للحركة الوطنية الفلسطينية.

وفي الرابع عشر من مارس ١٩٥٧، وقفت قيادة الجبهة الشعبية في طليعة الحشد الجماهيري الذي خرج لاستقبال الادارة المصرية العائدة للقطاع، وغمرت الفرحة قلوب الجماهير، فقد تم لها النصر في النهاية،

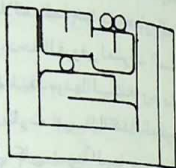
الحزب كل جهد ممكن للإبقاء على تحالف القوى الوطنية في القطاع في إطار الجبهة الشعبية، غير أن القوى السياسية المنظمة التي لم تشارك في النضال ضد الاحتلال انتظارا لموافقة القيادة القومية أو الحصول على الخرائط الطبوغرافية دون جدوى، بدأت في الانسلاخ عن الإطار الجبهوي، وشاركت فسي وقت لاحق في التحريض على الشيوعيين والشيوعيين .

ولم يقدر للجبهة أن تعيش طويلا، فقبل أن تتم عامها الأول كان قرار حل الجبهة الشعبية ضد الامبريالية والصهيونية قد تم تنفيذه بأمر من الحكومة المصرية، لكنها ظلت تعيش في قلوب الجماهير لسنوات طويلة.

العناصر . وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة قد وعى درس الانتفاضة جيدا، فحافظ على سرية كوادره وقواعده، وحذر الحزب من أنه رغم التناقض بين الامبريالية والصهيونية من جهة، وحركة التحرر الوطني التي تقودها البرجوازية الصغيرة من جهة أخرى، إلا أن ضيق الافق البرجوازي الصغير وطبيعتها المتذبذبة يمكن أن يدفع بها إلى التفرد والهيمنة، وأن يضعها في موقف معاد لأخلص حلفائها، الأمر الذي يؤدى إلى إضعاف حركة التحرر الوطني وحرمانها من أكثر قواها قدرة على النضال . وحرص الحزب على الإبقاء على الطابع الثانوى للتناقض بينه وبين البرجوازية الصغيرة في مواجهة التناقض الرئيسى مع الامبريالية والصهيونية، وبذل



النسر الامبريالي الأمريكي يحمي قومه القارة الافريقية سياسة ريجان الخارجية تهدد استقلالنا



بقلم : ت . سيفونا سونكي
ترجمة : س. برغوثي

وتوسيعها على اسس عالمية، على ان يكون للرأسمال الصناعي الأمريكي الدور المسيطر، وينال بالتالي حصة الاسد . لجم الشيوعية وتضييق ساحتها ، واذا ما اقتضت الحاجة القضاء على دور الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى ، تصفية الدور المتنامي للاشتراكية على الصعيد العالمي ، ثم عزل ، وتقزيم ومن ثم القضاء على القوى المناهضة للامبريالية والرأسمال الاحتكاري في الاقطار الرأسمالية نفسها وبشكل خاص الاحزاب الشيوعية .

ان الهجوم المنظم الذي تشهه ادارة ريجان على استقلال ، ووحدة القارة الافريقية وعلى سياسة عدم الانحياز التي تنتهجها ، انما هو جزء لا يتجزأ من مخططات ريجان من اجل السيطرة على العالم . لقد اصبحت مخططات ريجان هذه الاساس الايد يولوجي والسياسي ، للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية .

ويجدر بنا هنا ، وقبل ان نتفحص السمات والمدى الذي يمكن ان تبلغه خطط ريجان هذه ،

لم تصل اية ادارة ، من الادارات الامريكية ما وصلت اليه ادارة رونالد ريجان ، في تأمرها على القارة الافريقية . فما تبيتته هذه الادارة للقارة السوداء ، هو ان تصبح مجرد "حدود امامية" للمصالح الامبريالية الامريكية بينما تلعب الدول الافريقية التابعة ، والتي لم يزلت قاداتها وراء دولارات واشنطن ، امثال مني مارك ، وسياد بري ، واضرابهما ، دور "مراسل الحدود" .

ان خطط ريجان التي تستهدف فرض السيطرة الامريكية على العالم تقتضي جعل أفريقيا بأكملها ، من مدينة الكاب في اقصى جنوب القارة الى القاهرة حسني مبارك في الشمال ، ومن مقديشو في الشرق الى مرفا العاصمة الليبيرية المطلة على الاطلس في الغرب ، مجرد تابع يدور في فلك "المصالح الامريكية الاستراتيجية" .

غير ان تطبيق مشاريع ريجان هذه ، يتطلب تحقيق عدد من المقدمات ذات الاهداف الاستراتيجية ، ومنها مد الساحة الرأسمالية

برامج التسليح الامريكية ودعمت شركات صناعة الاسلحة . لقد اصبح هذا البنك الكبري بنك في امريكا واعظم البنوك نفوذا . خلال استغلاله لمدخرات صفار المزارعين الامريكيين ومنحه القروض لعشرات المستثمرين مقابل رهونات يقدمونها له .

" لقد سارت في فلك هذا البنك ، اكبر الشركات التي كان يعهد اليها بتنفيذ الطلبات العسكرية - مثل شركة لوكهيد للطيران ، وشركة روكويل العالمية (كانت تدعى سابقا بشركة طيران شمال امريكا) وشركة مكدونال - دوغلاس للطيران ، وشركة صناعات لينين ، وشركة هافز للطيران ، واحتكار ادجار كايير للفولاذ وبناء السفن ، وشركة بيشتل لسفن ، وغيرها من المؤسسات التي كانت تزداد غنى يوما بعد يوم " .

ادى تشابك المصالح بين رجال المال واحتكارات صناعة الاسلحة الى خلق الإزعاج المناسبة لنشوء مجمع الصناعات العسكرية الامريكية " ميك " كما ادى الى ظهور ما يدعى " بمجموعة كاليفورنيا " كأحد اعظم اقسام الطبقة الحاكمة الامريكية نفوذا . ومنذ سنوات الحرب استمر نفوذ التجمع الصناعي العسكري يمتد ويعظم ليمثل السياسة الامريكية التي تعتمد اكثر فاكثرا على القوة العالمية والمنع لتحقيق هدفها الاسمي وهو جني اعلى الارباح سواء على النطاق المحلي او على المستوى العالمي . في نفس الوقت اخذت "مجموعة كاليفورنيا " والتجمع الصناعي العسكري يمتد من سيطرتهم الاقتصادية بصورة مطردة في اتجاه تعزيز سيطرتهم السياسية على ساحة صنع القرار الامريكي وصياغة سياسة الدولة

والنتائج التي تستهدفها ، يجدر بنا ان نولي تلك القوى التي تقف وراء ريجان وتسانده في الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، وكذلك السياسة الخارجية التي تتبناها ادارته ، بعض الاهتمام والتفصيل .

ادارة رونالد ريجان والتجمع الصناعي والعسكري MIC

درجت الصحافة على اعتبار رونالد ريجان بأنه " مجرد ممثل سينمائي من الدرجة الثانية " دون ان تلجأ الى تحليل القوى التي تسانده وتقف من ورائه ، غير ان اتخاذ تحليل شخصية ريجان كأساس ومنطلق لفهم سياسة الولايات المتحدة الامريكية لن يصل بنا الى شيء على الاطلاق ، بل انه يفقدنا القدرة على العثور على الحقيقة وبطلنا ، فوراء ريجان تقف مجموعة من كبار الممولين الصناعيين وتجار الاسلحة ، الذين يشكلون بدورهم نواة التجمع الصناعي العسكري الامريكي " MIC " يضم تحالف القوى هذا ، والذي يتمركز بشكل اساسي في ولاية كاليفورنيا ، في الوقت الذي تمتد فيه اذرعه الاخطبوطية في كافة انحاء الولايات المتحدة (١) ، يضم " اشد اجنحة القوى الامبريالية رجعية وشوفينية في الرأسمال الاحتكاري " . اما متى نشأ هذا التجمع وتبلور ككتلة تتمتع بالقوة والنفوذ الهائل داخل الولايات المتحدة الامريكية ، فيعود ذلك الى فترة الحرب العالمية الثانية (٢) . لقد ادت سنوات الحرب الى نمو وازدهار صناعة حربية ضخمة في كاليفورنيا ، وكان بنك امريكا هو المؤسسة التي قامت بشكل رئيسي بتمويل

وكاسبر واينبرغر، وجورج شولتز، وجورج بوش،
ووليم كيسي، ووليم كلارك، وجيمس بيكر،
وادوين ميزي. يمثل جماعة "كاليفورنيا" في
هذه الزمرة خمسة من اعضائها، جميعهم من
رجال المال وممثلي احتكارات صناعات السلاح
ويمثل اثنان احران منهما، شركات النفط
والالكترونيات العسكرية في تكساس، اما الثامن
والاخير من الزمرة وهو وليام كيسي فيتميز
بارتباطه المباشر مع الـوول ستريت. يلعب
رونالد ريجان، وكاسبر واينبرغر دور الدعاة
الرئيسيين والمتعهدين للمجمع الصناعي
العسكري

تربط ريجان وواينبرغر صداقة قديمة منذ
ان كانا ينتميان الى الجناح اليميني للحزب
الجمهوري في ولاية كاليفورنيا، وهما من
اصحاب عشرات الملايين، ومن خدمة الشركات
المتعددة الجنسيات (رونالد ريجان - من
خدمة شركة جنرال اليكتريك، بينما يقوم
واينبرغر بخدمة شركة بيشتل) يتصف الاثنان
بنزعة عسكرية حادة، وهما من اشد المعادين
للسيوعية ويكثبان الكره العميق للاتحاد
السوفييتي، ويمقتان الطبقة العاطلة اشد
المقت وتنفوق عنصريتهما الوصف (٥).

على ايدي هذه الزمرة، تحولت السياسة
الخارجية الامريكية بشكل حاد عن خط الانفراج
الدولي والتوازن الاستراتيجي النووي لتنتهج
بدلا منها سياسة المواجهة والقوة العسكرية
كوسيلة لحل النزاعات الدولية وتحقيق التفوق
العسكري وتأمين القدرة على توجيه الضربة
الاولى ضد الاتحاد السوفييتي.
يقول فكتور بيرلو معلقا .

ولم تغفل هذه المجموعة اقامة روابط لها مع
دوائر المال الاخرى في الولايات المتحدة
الامريكية برمتها خصوصا تلك التي تدعم
النظام الامبريالي وتؤازر اشد اجنحة الحزب
الجمهوري رجعية وعدوانية .

انه من خلال الدعم الشامل الذي قدمته
كل من مجموعة كاليفورنيا، والتجمع الصناعي
العسكري، أن اصبح رونالد ريجان
حاكما لكاليفورنيا ومن ثم فيما بعد ادخل
الى البيت الابيض رئيسا للولايات المتحدة
الامريكية

وهناك وجه آخر للمسألة وهو العلاقة
الوثيقة المباشرة التي تربط بين ممثلي التجمع
الصناعي العسكري من رجال المال وارباب
الصناعة ومنتجي السلاح، وبين كبار الضباط في
وزارة الدفاع الامريكية "البنتاجون". يقول
ليكتور بيرلو - انه خلال السبعينات ترك ٣٤٣
موظفا وموظفا مديا في وزارة الدفاع، و ١٧
موظفا من ذوي الرتب الكبيرة ممن يعملون في
وكالة القضاء الامريكية ذات الصيغة العسكرية،
تركوا مناصبهم الحكومية ليشغلوا مناصب
عسكرية في شركة نور ثروب، وهي مجمع
احتكاري لصنع الاسلحة ومركز لاجراء الابحاث
العسكرية في كاليفورنيا، بينما انتقل ١٧ موظفا
من كبار موظفي هذا التجمع الاحتكاري
من ثروب لاشغال مناصب عسكرية في هذه
الوكالة العسكرية (٤).

يكشف نفس الكاتب فكتور بيرلو - النقاب
عن ان الذين يصنعون السياسة الخارجية
الامريكية انما هم عبارة عن حفنة من الاشخاص
الذين يندس عددهم الثمانية وهم رونالد ريجان

تقييم سياستها واستراتيجيتها من أجل الحفاظ على نظام الاستقلال والتسلط الرأسمالي وضمان ديمومته

اما الاتحاد السوفييتي، واعفاء الإمبريالية الاشتراكية فقد عمقوا خلال الستين والسبعينات القاعدة المادية للاشتراكية، وفقدت معدلات النمو في البلدان الاشتراكية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، فافت ببطء ثابت ومتناسق معدلات النمو في البلدان الرأسمالية الرئيسية.

ولقد ترافق مع هذا النمو، ارتفاع مستويات المعيشة لشعوب البلدان الاشتراكية وتحسن نوعي في اساليب حياتها، ان الناس، كل الناس، أصبحوا في البلدان الاشتراكية يتمتعون بشئ اشكال الخدمات الاجتماعية والرعاية الطبية والتعليم، ويقطفون على الاشتراكية المتنوعة والمتعددة والمتزايدة على الدوام، ويأتي في مقدمة هذه الثمار وينتجها جميعا ان البطالة قد انعدمت تماما في النظر الاشتراكية وفقدت معناها.

لقد عزز النظام الاشتراكي في نفس الوقت قدرات اعضائه الدفاعية عبر منظمة الأمن الجماعي ضد التهديد الامبريالي بالحرب. وقد ضمن التعادل في القوة النووية الذي حققه الاتحاد السوفييتي مع الولايات المتحدة الامريكية، ضمن الامن للاشتراكية والسلام للعالم، ففي ظل ظروف الانفراج التي سادت العلاقات السوفييتية-الامريكية في الستين (مع ان اسس هذا الانفراج كانت قد طرحت ابركر من ذلك) تم ضمان السلم العالمي

" ان التجمع الصناعي العسكري يرى في القنبلة الهيدروجينية المنقذ للنظام الرأسمالي المنهار، ويعتقد ممثلو هذا التجمع انهم وحدهم الذين سكتب لهم النجاة وسيروثون ركام العالم المدمر وفق تقديرهم، غير انه سيكون بالجزء عالما رأسماليا - هكذا يحسبون "

والسؤال الذي يستدعي الاجابة هنا هو لماذا، وفي ظل اية ظروف رسا الامر بزمرة ريجان على السير على هذا الدرب الخطير في سياستهما الخارجية؟

جذور السياسة الخارجية الحالية للولايات المتحدة الامريكية

ان الاسباب الرئيسية التي تكمن وراء تحول السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية عن الانفراج الدولي والتوازن الاستراتيجي بين القوتين الاعظم هي التغيرات العميقة التي حدثت على الصعيد الدولي في الفترة التي سبقت تسلم ريجان

لزام السلطة وكان اهم هذه التغيرات هو : النمو والتطور المتصل للاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية، وتعمق وانتصارات حركة التحرر الوطني خلال عقود الستينات والسبعينات، والازمات الاقتصادية والسياسية التي احاقت بالبلدان الرأسمالية الرئيسية خلال النصف الثاني من الستينات واول الثمانينات، لقد اسهمت هذه العوامل جميعها في اضعاف الولايات المتحدة والامبريالية العالمية واجبرتها على اعادة

وبينما أخذت الأذرع الامبريالية تتهاوى بسرعة وتقلص رقعتها سياسيا واقتصاديا وايدولوجيا أخذت الأزمة الخائقة التي تعاني منها تهاجمها في عقر دارها وتهز بنين الانظمة الرأسمالية الرئيسية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية. لقد شهدت سنوات النصف الثاني من السبعينات والثمانينات أزمة اقتصادية عميقة ضربت كافة الانظمة الرأسمالية. من الولايات المتحدة الامريكية الى أوروبا الغربية وحتى اليابان، فقد تدنت معدلات النمو فيها، وتقلصت الاستثمارات، وتناقص حجم التجارة العالمية، وطفى التضخم. واستشرت البطالة التي بلغت حدا لم تصل اليه منذ الأزمة الاقتصادية العامة التي ضربت العالم الرأسمالي في المدة من سنة ١٩٢٩ - سنة ١٩٣٣. ولقد تجلت الأزمة الحالية أكثر ما تجلت في الولايات المتحدة الامريكية فقد فافت في فوسيتها ما وصلت اليه في الاقطار الرأسمالية الأخرى. لقد أزاحت من أذهان الملايين من أبناء الشعب الأمريكي تلك الاوهام التي كانت تعشش فيها عن "تفوق أسلوب الحياة الأمريكي". وكما اضعفت انتصارات الاشتراكية وحركات التحرر الوطني الولايات المتحدة الامريكية، والامبريالية العالمية فان المنافسة الداخلية بين الامبرياليين انفسهم اصابوا المواقع الامريكية وقوتها باضرار فادحة اوصلها الى حد الانهيار.

لقد فقدت الولايات المتحدة الامريكية خلال السبعينات ٢٣٪ من اسواق البضاعة العالمية، الامر الذي نتج عنه ان خسرت ما يقارب المئة وخمسة وعشرين بليون دولار سنويا، كما فقدت حوالي مليوني فرصة عمل

ومع ذلك، فان السلام والانفراج، لم يوديا الى تخفيف نضالات الشغيلة ضد الاستغلال الرأسمالي، ولا الى استرخاء في الممارسة العالمية بين النظامين الاجتماعيين الاساسيين في عصرنا - الاشتراكية والرأسمالية.

شهدت السبعينات الانتصارات الباهرة التي حققتها قوى التحرر الوطني في العديد من اقطار العالم التي تحكمها انظمة رجعية نعية، وفي فينام احاقت بالولايات المتحدة بمرية نكرا. لم تقاس مثلها اية قوة امبريالية في الان. ولقد توالى بعد ذلك مباشرة دامن الامبريالية الامريكية في كل من لاووس وكوتشيا. اما في القارة الافريقية فقد وضعت انتصارات شعوب كل من انجولا، وموزمبيق، وبنيا، وسانو، وجزر الكاب فردى وساوتومي وبرنسي حدا للاستعمار البرتغالي الذي استمر مدة خمسمائة عام. وبرزت في اثيوبيا قوة ثورية اطاحت بنظام هيلاسلاسي الاقطاعي وفي ايران كسنت الثورة الشعبية شاه ايران الامر الذي ادى الى هز ثقة الدوائر الامبريالية في الاعتماد على الانظمة الدكتاتورية المعادية لشعوبها لحماية مصالحها. اما في امريكا اللاتينية فقد صفت الثورة الساندينيستية نظام ميوزا الدموي في نيكاراغوا.

وفي الوقت الذي ردد العالم اصدا هذه الانتصارات برزت نضالات جديدة من اجل التحرر الوطني، اخذت تتسارع باضطراب في كل من زيمبابوي وناميبيا وفي العديد من الاقطار الغربية والسلفادور اقطر معادية لشعوبها، انظمة تتشبث بالسلطة بالاعتماد على المساعدات الامبريالية.

وذلك بسبب المنافسة الشديدة مع الاقطار الرأسمالية الاخرى. وفي الفترة من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٨٠ انخفضت حصة الولايات المتحدة في مجمل الانتاج العالمي الى ١٧,٣ ٪. بينما كانت قد بلغت في العقد السابق ٢٥ ٪. من هذا الانتاج اما حصة الولايات المتحدة الامريكية في انتاج معدات الاتصالات السلكية واللاسلكية العالمية فقد تدنت لتصل الى ١٤,٥ ٪ بعد ان كانت قد بلغت ٢٨,٥ ٪. وفي انتاج السيارات تدنت حصتها من ٢٢,٦ ٪ الى ١٣,٩ ٪. وفي انتاج الطائرات المدنية تقلصت حصتها من ٧٠,٩ ٪ الى ٥٨ ٪. وفي عام ١٩٦٠ كان حوالي ٩٥ ٪ من اجهزة التلفزيون والراديو التي بيعت في اسواق الولايات المتحدة من صنع امريكي، وما ان حل عام ١٩٧٩ حتى كانت المنتجات الاحنبية من هذه المعدات قد اخترقت السوق الامريكي وسيطرت على ٥٠ ٪ من مبيعات هذا السوق (٧).

ان ابعاد وخاصة الازمة الاقتصادية التي تعاني منها الولايات المتحدة الامريكية تنطوي على نتائج سياسية واقتصادية بعيدة المدى.

ماذا في وكر ريجان - الولايات المتحدة الامريكية

اطلق استيلاء اشد اجنحة الامبريالية الامريكية رجعية وعدوانية على سلطة الدولة السياسية عبر رونالد ريجان، اطلق العنان لسيطرة المجمع الصناعي العسكري على وضع الدولة الامريكية بحيث اخذ يرسم سياستها

الداخلية والخارجية. فالسلام والانفراج الدوليين ليسا اكثر من لغة، او ثمرة محرومة بالنسبة لاحتكارات تصنيع الاسلحة العنقودية التي يمثلها هذا المجمع. وبضغط من هذه الاحتكارات قفزت الميزانية العسكرية للولايات المتحدة الى اكثر من مئة بليون دولار عام ١٩٧٨ عندما كان كارتر رئيساً للدولة. ولما تنوؤ ريجان السلطة زادت هذه الميزانية الى اكثر من الضعف، وبلغت عام ١٩٨٣، ٢١٥ بليون دولار، ويراد لها ان تتضاعف مرة اخرى في عام ١٩٨٨ لتصل الى ما يقارب ٢٨٦ بليون دولار وذلك اذا ما فاز ريجان في انتخابات ١٩٨٤ (لقد فاز ريجان في الانتخابات هذه، وتضخمت الميزانية العسكرية الامريكية بفوزه الى اكثر مما كان متوقفا بكثير. المترجم) ان خدمات ريجان التي يقدمها لاحتكارات التسليح الامريكية هي اشبه ما يكون بخدمات (السمسار المذحط)، فهو يهيئ الجو ويمهد الطريق لهذه الاحتكارات ويطلق يدها في استغلال اكثر المصادر ادرارا للربح السريع - وهي صناعة السلاح. لقد تضاعف ربح هذه الاحتكارات بفضل ريجان قرابة الثلاث مرات، فبعد ان كان يبلغ عشرين بليون دولار - عام ١٩٧٨ قفز الى ٥٥ بليون دولار عام ١٩٨٣، ويقدر له ان يصل الى ١٢١ بليون دولار مع حلول عام ١٩٨٨، وبالرغم من الازمة الخانقة التي كانت تعصف باقتصاد الولايات المتحدة الامريكية والرأسمالية العالمية عام ١٩٨٢، فقد زادت ارباح احتكارات صناعة الاسلحة بمقدار ٢٣ ٪ عن الارباح التي حققتها في العام السابق له ١٩٨١. بينما تدنت في نفس العام ارباح كافة الشركات الامريكية الاخرى مجتمعة بنسبة

يمثل ١٥٪ من السكان . اي ٣٤ر٤ مليون مواطن امريكي (١٠) . ويصعب على ريجان اخفاء وضع كهذا حتى عن ابسط الناس . اما الوجه البشع الاخر لسياسة ريجان الاقتصادية فيتجلى في ان وضع احتكارات السلاح العملاقة يتناسب عكسيا مع اوضاع ابناء الشعب الامريكي على العموم . لقد تمتعت هذه الاحتكارات باعفاءات جمركية بلغت في عهد ريجان حدا فاق كل خيال ، فبعد ان كانت الجمارك التي تجبى من هذه الاحتكارات تشكل ٢٤٪ من الميزانية الفيدرالية تدنت لتصل الى مجرد ٧٪ منها (١١) .

ان عددا قليلا جدا من الادارات منذ ان كان هنالك ادارات امريكية ، تفاخرت بتحالفها مع الاحتكارات العملاقة وبهجمتها الهمجية على الطبقة العاملة والفئات المعدمة من الشعب الامريكي كما تفعل ادارة ريجان وبشكل علني مكشوف !

ان من خلال هذا السياق العام يتربط علينا تفحص سياسة ادارة ريجان تجاه القارة الافريقية .

السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية والقارة الافريقية

ان من الصعب اخفاء حقيقة ، ان ادارة ريجان اما هي دولة الاحتكارات الكبيرة التي تكس نفسها كأداة لخدمة هذه الاحتكارات عن اطار الشعب الامريكي . فقد كانت نسبة البطالة لدى دخول ريجان الى البيت الابيض ٧ر٤٪ اما في عهده فقد ارتفعت الى اكثر من ١٠٪ - لقد قذف باكثر من اثني عشر مليونا من العمال الى سوق البطالة ليصبحوا من طلاب الصدقة والاحسان . اما البرامج المخصصة للرعاية الصحية والتعليم والاموال المينة للمتقاعدين والعاطلين عن العمل والموصلات العامة وميخ الوالدات وغيرها من الخدمات الاجتماعية فقد جرى سلخها حتى العظم ، والنتيجة التي يلمسها كل امريكي هي ان ريجان قد ش هجوما مسعورا على الطبقة العاملة وعلى مستوى معيشتها ، وان شراسة هذا الهجوم بلغت حدا لم تبلغه خلال الخمسين سنة الاخيرة . لقد اصطلى بنيران هذا الهجوم اكثر من مئتين وخمسين برنامجا مكرما لتقديم المنح والخدمات المجانية للتفيلة وعلى الاخص الفئات المحرومة والطوائف والمعدمين من الزنوج والمنتمين الى الاصل الاسياني لقد اقتطعت ادارة ريجان من مخصصات هذه البرامج في السنة الكبيرة ١٩٨٢ - ١٩٨٣ حوالي ٣٥ بليون دولار . ثم عادت لتتقطع منها ٢٧ بليون دولار عام ١٩٨٣ (٩) . لقد ازداد عدد المواطنين الامريكيين الذين يعيشون تحت مستوى حافة الفقر المتعارف عليها رسميا ، وذلك وفق ما ذكرته صحيفة الازبيرفر اللندنية سنة ٢٣ / عام ١٩٨٣ وبذلك بلغوا حدا

لقد خصصت ادارة ريجان للقارة الافريقية ضمن استراتيجيتها التي تستهدف فرض السيطرة الامريكية على العالم دورا هاما لم تلعبه القارة السوداء في اي وقت من الاوقات

ورقات رئيسية حسبت انها تستطيع من خلال استخدامها تصل الى مبتغاها وهذه الأوراق هي :

(أ) مكان انعقاد المؤتمر ورئاسته .

(ب) الحرب الاهلية في تشاد .

(ج) حق جبهة البوليساريو في ان تمثل في المؤتمر .

يذكر الجميع حملة الكره المسورة، والاتهامات المزيفة التي فركتها الولايات المتحدة الامريكية ضد العقيد القذافي، كان الهدف من هذه الحملة هو منع التثام مؤتمر القمة الافريقي في العاصمة الليبية طرابلس، ذلك ان انعقاد المؤتمر في العاصمة الليبية يعني، وفق التقليد المتبع، ان يرأس المؤتمر رئيس الدولة المضيقة، اي العقيد القذافي. ولم يكن هذا ليتلائم مع مخططات واشنطن فعمدت الى شن حملة الكره المذكورة في لسه مكشوفة منها تقصد بها الطعن في اهلية ليبيا وقيادتها في التعبير عن اهداف منظمة الوحدة الافريقية التي تسعى لتحقيق السلام والاستقرار للقارة الافريقية. ان الاستجابة لرغبات واشنطن يعني الغاء القرار الذي كان مؤتمر القمة الافريقي قد اتخذته في دورته السابقة المنعقدة في تموز عام ١٩٨٣.

ولم تخف واشنطن مقاصدها، بل اعلنت عنها بكل وضوح قائلة " . . . انه اذا ما جرى التقيد بالتقليد المتبع في الدورة القادمة التي سيعقدها المؤتمر عام ١٩٨٢، فان واشنطن ستستقبل ذلك بالاسف العميق، ذلك ان واشنطن تعتقد ان ليبيا ليست مؤهلة اطلاقا للتعبير عما تعبر عنه منظمة الوحدة

. اما الاهداف الرئيسية التي تسعى السياسة الخارجية الامريكية الى تحقيقها في افريقيا في هذا السياق فهي . تحطيم الوحدة السياسية للدول الافريقية، كما هو معبر عنها في منظمة وحدة الدول الافريقية OAU والعمل على انشاء " قوة - مضادة " تقف في وجه جبهة القوى المتنامية المعادية للامبريالية في افريقيا وذلك بالتشجيع على انشاء تحالف بين الدول الاكثر ادعانا للامبريالية الامريكية، وتحويل القارة الافريقية الى مصدر اساسي لتوريد المواد الخام الاستراتيجية للاقطار الرأسمالية الغربية وكسوق تدر الربح الوفير للشركات الغربية المتعددة الجنسيات . وانشاء شبكة كثيفة من القواعد العسكرية داخل القارة ومن حولها تشكل رأس حربة يجرى استخدامها ضد الدول الافريقية المستقلة المتحررة بغية تطويق هذا الاستقلال ومن ثم القضاء عليه، وضد حركة التحرر الوطنية الافريقية وعلى الاخص ضد الدول الافريقية ذات النزعة الاشتراكية.

فحوى التهديد الامريكي الموجه ضد الوحدة الافريقية وحركة التحرر فيها :

شكل مكان عقد مؤتمر القمة الافريقي التاسع عشر، الذي كان من المقرر انعقاده في شهر اغسطس عام ١٩٨٢ محور الاهتمام الشديد لادارة رونالد ريجان. لقد حاولت هذه الادارة استغلال فرصة انعقاد المؤتمر لتدق اسفيناً في جسد وحدة الدول الافريقية بغية تحطيمها، وقد بذلت في سبيل ذلك جهوداً مكثفة اعتمدت فيها على ثلاث حجج او

حليفها الاطلسية فرنسا وذلك بمساعدة حسين هبري ، وهو عميل غربي . على البقاء في سدة الحكم في تشاد في وجه منظمة القوى التقدمية هناك الجنت GUNT . وهي المنظمة التي تسلمت زمام السلطة في تشاد قبل هبري واعترفت بها منظمة الوحدة الافريقية كالسلطة السياسية الشرعية للنشاد . (راجع الامريكان كومبونست رقم ٩٦) .

لقد تسنى لهبري ان يصل الى الحكم في تشاد بمساعدة وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA . التي قدمت له الاسلحة والمال اللازمين بالتنسيق الفعال مع السودان ومع عدد من الدول الرجعية الافريقية الاخرى .

في الوقت الذي كان سينعقد فيه مؤتمر القمة الافريقي التاسع عشر سنة ١٩٨٢ ، كانت قوى منظمة الجنت التقدمية قد شنت هجوما على قوات حسين هبري عاقدة العزم فيه على استعادة سلطتها . ولما كانت الامبريالية مصممة على افشال هذا الهجوم فقد كان وصول ممثلي الجنت الى طرابلس لحضور مؤتمر القمة الافريقي فرصة اخرى امام الادارة الامريكية عليها انتهازها لحث الدول العربية والافريقية السائرة في فلكها لخلق تصدع في منظمة الوحدة الافريقية .

اما الحرب في الصحراء الغربية بين قوات ملك المغرب الحسن الاستعمارية وقوات حركة التحرر في الصحراء الغربية والممثلة لشعبها البوليساريو . كانت هذه الحرب لا تمنح في الظاهر ادارة ريجان اية فرصة للتدخل في شؤون منظمة وحدة الدول الافريقية . وعلى

الافريقية من اهداف تحقيق السلام والاستقرار للثارة الافريقية تلك الاهداف التي تؤيدها والنش من اعماق القلب . ١١
ان من يقرأ هذا الكلام لا يلبث ان يشد غره انتمارزا او بصاب بالعثيان من اكاذيب ادارة ريجان ونفاقها ، واهتمامها المفاجيء " بالسلام والاستقرار في افريقيا " حينما يسمع " ستر كروكر " السكرتير المساعد لوزير الخارجية الامريكية للشؤون الافريقية وهو يعمل دون موارد او لبس امام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي . ان ليبيا " تستهدف سياستها التخريبية في افريقيا وفي العالم العربي تهديد بالاحنا ومنعنا من تحقيق اهدافنا (١٣) .

لم تقف واشنطن عند هذا الحد ، فقد بثت وزارة الخارجية الامريكية حينذاك مذكرة سرية الى جميع السفارات الامريكية في القارة الافريقية (نشرت صحيفة كريستشن سايس مونيتور هذه المذكرة في وقت لاحق) حول انعقاد مؤتمر القمة الافريقي في طرابلس طالبة من سفرائها السعي وراء مساعدة الدول الافريقية " المعتدلة " وحثها على مقاطعة المؤتمر . ثم اعقبت ادارة ريجان ذلك بايفاد عدد من كبار المسؤولين الامريكيين للنشر بالسياسة الامريكية لدى الدول الافريقية . كان من بين هؤلاء ستر كروكر ، وحين كيركباتريك ممثلة الولايات المتحدة الامريكية في الامم المتحدة في ذلك الحين ، وجورج بوش نائب الرئيس الامريكي .

اما بالنسبة للحرب الاهلية في تشاد ، فكانت وما زالت احدى القضايا التي حاولت الادارة الامريكية استغلالها بالتنسيق مع

اما هذه الدول التي تعتبرها واشنطن دولا معادية في القارة الافريقية فهي ليبيا، وانجولا، وموزمبيق والجزائر، ومدغشقر، وغيرها .

ما يجب ان نأتي على ذكره هنا هو ذلك النهج الذي اتبعه ريجان والذي يقضي بمكافحة الدول الافريقية المعتدلة مقابل محاباتها للسياسة الامريكية، و"معاوية" الدول الافريقية الاخرى التي تنتقد موانع واشنطن او تنهج نهجا معاديا لها. لقد اصبح هذا النهج يشكل احدى ملامح السياسة الخارجية لادارة ريجان. لقد طبق هذا النهج على الدول الافريقية التي نددت بالقرى الامريكي لغرينادا، فقد جرى منع "المساعدة" الامريكية عنها او جرى تقريظها، فمثلا بدال ان تحصل زيمبابوي على المساعدة الامريكية المقررة لها وقدرها ٧٥ مليون دولار، اكتشفت فجأة ان المساعدة الموعودة قد تقلصت الى النصف، وذلك "بسبب دعمها لقرار الامم المتحدة الذي اعربت فيه عن اسف المنظمة الدولية للتدخل الامريكي في جرينادا" وبسبب عدم مؤازرتها للمواقف الامريكية في الامم المتحدة وعلى الاخص " مشروع القرار الامريكي المتعلق باسقاط الطائرة الكورية"

وبمقدار ما بدا فيه هدف المناورات الامريكية واضحا، كان موقف عدد من الدول العربية والافريقية في موالاتها للسياسة الامريكية واستعدادها لتقديم خدماتها لها اشد وضوحا .

ان استراتيجية ادارة ريجان التي

كل حال فان منظمة وحدة الدول الافريقية كانت قد اعترفت بالجناح السياسي للبوليساريو، قيادة سياسية وحيدة لشعب الصحراء الغربية ومنحتها ثقفا . الا ان المصالح العسكرية الامريكية في هذه المنطقة كانت مهددة من قبل القوى المعادية للامبريالية داخل جبهة البوليساريو، ومن هنا فان ادارة ريجان وجدت في النظام الكولونيالي المغربي حليفا مؤازرا لها لمنع وفد البوليساريو من الوصول الى قاعة مؤتمر القمة الافريقي .

لقد بدا واضحا من مجرى المحاولات الامريكية لابطال مؤتمر القمة الافريقي، ان الهدف البعيد الذي تسعى الامبريالية الامريكية الى تحقيقه هو اعمق من مجرد تعطيل انعقاد المؤتمر، وانما كانت تأمل ان يؤدى تعطيله الى خلق شرخ دائم في منظمة الوحدة الافريقية وايجاد "قوة مضادة" لها من الدول التابعة لواشنطن التي تسميها "بالدول المعتدلة" ينسئ لريجان من خلالها تمرير سياسته بسهولة اكثر، ولقد تبدى الهدف الامريكي هذا بوضوح في الوثيقة السياسية التي عمدتها جين كيركباتريك على "المراكز الامريكية الرئيسية" في الخارج قامت مع غيرها بتوضيح ما ترمي اليه الادارة الامريكية وهو "فرض سيطرتها السياسية على المناطق الاستراتيجية الرئيسية في العالم بما في ذلك القارة الافريقية. اما تلك الاقطار التي "تنهج سياسة معادية لواشنطن" سواء بشكل علني او بشكل مستتر، فيجب ان يتم "عزلها ... او تأليب الواحدة منها ضد الاخرى" (١٥) .

الغربية ، وعلى الاخص الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي اكثر الدول الغربية استهلاكاً للمواد الخام تعتمد على افريقيا للحصول عليها . غير ان اخر ما تفكر به الامبريالية هو الدخول في علاقات اقتصادية متكافئة مع الدول الافريقية او مع الدول النامية بوجه عام ان التجربة التاريخية تؤكد العكس تماما . فان اية علاقة تنشأ بين الدول الامبريالية والدول النامية لا بد وان تقوم على اساس استغلال احتياطات الدول النامية من المواد الخام لمصلحة الدول الرأسمالية وعلى اساس ادراج الربح الوفير للشركات الغربية متعددة الجنسية . ولا تحصل الدول النامية من وراء ذلك الا على الفتات بالاضافة الى انها تفقد في مجرى العملية اعز ما تملك وهو استقلالها وتصبح مجرد دمية تتراقص على انغام الجشع الامبريالي .

ان التناقض الاساسي بين الامبريالية والدول النامية في هذا المجال برز من خلال عمليات الشركات المتعدد الجنسية العملاقة التي استهدفت الحصول على المواد الخام بأرخص الاسعار لكي تؤمن لنفسها اعلى الارباح وهذا امر يتناقض تماما مع حاجة الدول النامية الحصول على اسعار عادلة لموادها الخام لكي يصبح في مقدورها ترتيب وتحسين اوضاعها الاقتصادية بشكل عام . وتملك القارة الافريقية اكبر احتياطي في العالم لبعض المواد الخام الاستراتيجية ، بينها حوالي اربعين معدناً ثميناً من التي تحتاج اليها الدول الرأسمالية الغربية في عملياتها الانتاجية وتستورد الولايات المتحدة من هذه المعادن ما يصل الى ٤٨ ٪ من معدن الكروم و ٨٢ ٪ من

استهدف " وضع حد للنفوذ السوفييتي " وغيره من الاقطار الاشتراكية في القارة الافريقية ، وعزل القوى التقدمية والمعادية للامبريالية ثم القضاء عليها وعلى الدول ذات النزعة الاشتراكية ، ان استراتيجية ريجان هذه تعتمد في محاولاتها لتحقيق الاهداف المذكورة على ايجاد حلقاء افريقيين لها ، تدعمهم وتصنع منهم " قوة مضادة " عبر القارة الافريقية بكاملها . يأتي في عداد " حفر الحدود " هؤلاء ليبيريا والمغرب البري في غرب القارة ومصر في شمالها والسودان والصومال وكينيا في الشرق اما في وسط القارة فهناك زائير وحسين هيري في تنزانيا ، اما جنوب افريقيا فتأخذ مكانها في جنوب القارة ، لقد عهد لهذه الدول التابعة التي يلهث قادتها وراء دولارات واشنطن ، بدور " حراسة الحدود " والدفاع عن " المصالح الحيوية " للولايات المتحدة الامريكية والتبشير بها .

ولكن ما هي هذه " المصالح الحيوية " الامريكية في القارة الافريقية وماذا تقصد ادارة ريجان بالدفاع عنها والتبشير بها بالتعاون مع شعوبها ؟

السد الاقتصادي للسياسة الخارجية الامريكية

تفاني الدول الرأسمالية ازمة في الحصول على المواد الخام الاستراتيجية ، وحيث ان هذه المواد متوفرة بشكل كبير في القارة الافريقية ، فقد أصبحت القارة تبعا لذلك مصدراً " طبيعياً " لها . وهكذا اخذت الدول

معدن البلاتينيوم و ٨٧ ٪ من المنغنيز و ٦٧ ٪ من الذهب و ٧٣ ٪ من القناديوم ، وغيرها من المعادن ذات الصفة " الاستراتيجية " كالتنك والنحاس والبوكسيت والكوبالت من القارة الافريقية وخصوصا من جنوب افريقيا .

لقد اوضحت الدول الافريقية وكذلك العديد من الدول النامية الاخرى في العالم خلال العقد المنصرم ، عن رغبتها في السيطرة على موادها الخام . كما رتبت سياستها ووضعت الخطط للتحكم في ثرواتها الطبيعية ، بحيث تعيد بناء علاقاتها مع الدول الرأسمالية على اسس عادلة ومتكافئة . لقد جرى التعبير عن ذلك بوضوح شديد في النضال الذي تشنه الدول النامية عموما من اجل وضع " نظام اقتصادي جديد " .

وترى الدول الامبريالية في هذا النضال تهديدا لسيطرتها المستمرة على الثروات الطبيعية والبشرية للقارة الافريقية وللارباح الهائلة التي تجنيها الشركات متعددة الجنسية من وراء ذلك .

لقد حققت الشركات الامريكية المتعددة الجنسية ارباحا من استثماراتها في القارة الافريقية تفوق ب ٥٠ ٪ الارباح التي حققتها من استثماراتها في الدول النامية الاخرى مجتمعة فخلال المدة من سنة ١٩٧٠ الى سنة ١٩٧٨ كان معدل الراسمال الذي يدخل القارة الافريقية سنويا من اجل الاستثمار هو ٣٫٤ بليون دولار بينما كان معدل الربح الذي يخرج منها ليصب في جيوب الامرياليين هو ١٥٫٩٢ بليون دولار سنويا . وكنتيجة لسياسات

الاقراض البنكية فقد بلغت ديون القارة الافريقية الخارجية لمصلحة الشركات متعددة الجنسيات عام ١٩٧٩ ، ٢١٫١ بليون دولار وقد تبين ان ثلث القروض التي تحصل عليها الدول الافريقية يستخدم لدفع الفوائد المترتبة على ديونها (١٧) .

بينت الدراسات المتخصصة ان اخر شيء يمكن ان يفكر به اصحاب القروض الامرياليين هو انشاء المشاريع التنويرية في الدول الافريقية وكشفت هذه الدراسات ان ٦٠ ٪ من مجموع الاستثمارات نخصص لاستغلال الثروات الطبيعية من المعادن الاستراتيجية ويصرف ٣٤ ٪ من هذه الاستثمارات في انشاء اسواق جديدة لاستيعاب المنتجات المصنعة في الدول الرأسمالية اما ال ٦ ٪ المتبقية فمخصصة نحو استغلال قوة عمل الشغيلة الافريقيين .

لقد برز الى السطح في مجرى السياسات الاستغلالية القمعية للشركات المتعددة الجنسية في القارة الافريقية اتجاه متعارض فيما يتعلق بهذه السياسات : فمن ناحية اتجاه يدعو الى منح الشركات المتعددة الجنسية تسهيلات عبر البنى الاقتصادية للبلاد الافريقية لتسهيل اختراق هذه البنى من قبل الراسمال المحول للشركات المتعددة الجنسية ، (اي سيطرة هذه الشركات على اقتصاد البلد المعني - المترجم) ومن ناحية اخرى اتجاه اخر يدعو الى فرض القيود على هذه القروض واخضاعها لاغراض استراتيجية التطور لاقتصاد الدولة المعنية . هذه هي بالضبط الخلافات التي تتميز بها الاتجاهات السياسية في القارة الافريقية في الوقت الحاضر .

العملية للحفاظ على المصالح الأمريكية العسكرية والسياسية والاقتصادية، عمدت الى انتهاج سياسة التواجد المباشر، بانشاء قواعد عسكرية في المواقع الحساسة في عدد من الدول الافريقية. وإلى جانب هذا الاجراء الكشوف للملاء، قامت الادارة الأمريكية بتعزيز دور المخابرات المركزية CIA بشكل فعال. قالت صحيفة ترائى كوستنتال " كانت المخابرات المركزية الأمريكية تقوم بدور فعال جدا في افريقيا، فقد استت لها اربعين مركزا يتبع لها ثلاثة الاف وخمسمائة عميلا (١٨) " والجميع منغمسون في تخريب الساحة الافريقية لتسهيل الاختراق الامبريالي ومن اجل تمويل وتسليح الثورة المضادة .

تضع بلدان ، هما المغرب وليبيريا اراضيها الواقعة غرب القارة الافريقية تحت تصرف الامبريالية الأمريكية، لقد اصبحتا مركزين عسكريين تابعين لها .

حينما كان المغرب يخوض مرحلة استقلاله عام ١٩٥٦ كانت هنالك خمس قواعد عسكرية امريكية منتشرة فوق اراضيه، وفي عام ١٩٥٩ اجبرت الحركة التقدمية المغربية بزعامة المهدي بن بركة، اجبرت الملك المغربي بمطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بتصفية هذه القواعد . وفي عام ١٩٨٢ نجحت ادارة ريجان في اقامة قواعد لها على الاراضي المغربية، وذلك لان الدولة المغربية بقيادة الملك الحسن كانت تخوض حربا استعمارية ضد شعب الصحراء المغربية المظلل براية جبهة البوليساريو، وقد اخذ الحسن يولي وجهه نحو واشنطن ناشدا العون العسكري والمالي .

اتجاه نحو تعميق التبعية والتذيل للامبريالية - واداتها الشركات المتعددة الجنسية واتجاه آخر مفاكس نحو تحقيق استقلال اقتصادي اعظم عنها. اما الدول التي تنتهج سياسات تتفق مع الاتجاه الاول فهي الدول التي تحالف مع الامبريالية في افريقيا، بينما تلعب الدول التي تمثل الاتجاه الاخر المعاكس، دور المدام من اجل تحقيق الاستقلال الكامل الناجز لبلادها ضد الاستعمار الجديد وضد الاستغلال والنهب الامبرياليين .

انه ضد هذه الدول التي تناضل من اجل تحقيق الاستقلال التام وتأمين الكرامة لشعبها اعلنت ادارة ريجان حربا اقتصادية وسياسة ودبلوماسية، ولم يكن في وسع ريجان وادارته وزمرته المتحكمة في اقدار الشعب الأمريكي نفسه لم يكن في وسعه ان يعلن عن الاسباب الحقيقية لحربه هذه فكان عليه ان يخلق ذريعة يطمس بها دوافع الحقيقة، تلجأ الى التخفي وراء مواجهة النفوذ السوفييتي ومحاربة الشيوعية على الساحة الافريقية. اما هدفه الحقيقي من وراء عسكرة القارة الافريقية فهو بقاءها فريسة للنهب والاستغلال من قبل الشركات المتعددة الجنسية وتحويلها الى " جناح جنوبي لحلف الاطلسي " يحول دون ما يدعوه " بالتوسع السوفييتي " .

البعد العسكري

بعد ان تبين للمجمع الصناعي العسكري لادارة الدفاع الأمريكية عقم سياستها السابقة التي كانت تقضي بالاعتماد على الدول

والقارة الافريقية، يردد الدعاية الامريكية التي تبثها اذاعة صوت امريكا (٢٠) كما تقوم ليبيريا بدور حلقة الوصل للاتصالات اللاسلكية بين واشنطن وجهازها الدبلوماسي في القارة الافريقية .

القواعد الامريكية على الساحل الشرقي الافريقي

كان الاختراق العسكري الامريكي لحرمة الساحل الشرقي للقارة الافريقية اشد اثاره للاهتمام ، ذلك انه بالرغم من قرارات منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة بالانقاء على المحيط الهندي منطقة سلام كانت وزارة الدفاع الامريكية منهمة في تحويل المحيط الهندي وعدد من الدول الواقعة في المنطقة الى قواعد احتياط للاسطول الامريكي ولقوات الانتشار السريع . لقد اصبحت جزيرة داجو جارسيا التي باعته بريطانيا بطريقة قرصنة الى الولايات المتحدة، مقرا لقيادة قوات الانتشار السريع الامريكية وميناء رئيسيا بحريا وجويا للاسطولين الجوي والبحري الامريكيين تعود ملكية جزيرة داجو جارسيا الى موريشوس التي حظيت مطالبتها بها بتأييد منظمة الوحدة الافريقية وبتأييد قادة دول عدم الانحياز .

توالت المساعدات العسكرية الامريكية في نفس الوقت على الدول الافريقية الواقعة على الساحل الافريقي الشرقي التي سمحت باقامة قواعد عسكرية امريكية فوق اراضيها . لقد تم

في ظل هذه الظروف استطاع الكسندر هيغ وزير الخارجية الامريكي السابق ان يحصل من المغرب على بعض التسهيلات القواعدية الهامة للقوات الامريكية، ومنذ ذلك الحين اخذت المساعدات الامريكية تقدم للمغرب، وقد تضاعفت منذ ذلك التاريخ حتى الان لأكثر من ثلاث مرات ووصلت الى مئة مليون دولار، وفي نفس الوقت بدأ سيل من الخبراء والمستشارين الامريكيين والعسكريين يصلون الى الرباط من اجل تنظيم وتدريب القوات المغربية في حربها الاستعمارية ضد البوليساريو ومن اجل تهيئة البلاد لتوفير التسهيلات البرية والبحرية للقوات العسكرية الامريكية (١٩)

في اعقاب الانقلاب العسكري الذي اطاح بنظام توليبرت في ليبيريا، تحركت وزارة الخارجية الامريكية بسرعة من اجل ما أسمته "انقاذ ليبيريا من الدمار" بينما الهدف الحقيقي هو انقاذ نظام سامويل ك. دو الرجعي المتهاوى، الموالى لواشنطن . هبت الولايات المتحدة بارسال مساعدات مكثفة له بلغت في بادئ الامر ٣٣ مليون دولار ثم اعقبته ادارة ريجان بقرض قدره ٨٥ مليون دولار . كانت ادارة ريجان تسعى من وراء مساعدتها هذه الى تحقيق هدفين : انقاذ الاستثمارات الامريكية الموظفة في ليبيريا والمعززة باربعماية وثلاثين مليون دولار وابقاء ليبيريا موالية لواشنطن كمركز عسكري امريكي يطل على الساحل الغربي للقارة الافريقية.

لقد لعبت ليبيريا دورا هاما كمركز اذاعي موجه الى الشرق الاوسط . والاتحاد السوفياتي

حسني مبارك عند هذا الحد، فقد جرت وتجري محاولات لعقد حلف استراتيجي موال لأمريكا بين مصر والسودان ونظام العميل حسين هبزي في تشاد. وبهذا يسلط خنجر مسموم على قلب القارة الأفريقية.

أما في وسط القارة فإنه يبدو أن الدبلوماسية الأمريكية ووعودها "بالمساعدة" قد نجحت في إيقاع زئير موبوتو في شباك الاستراتيجية الأمريكية. فحسب ما ذكرته بعض التقارير فإن اتفاقاً قد أبرم مع نظام موبوتو تقيم أمريكا بموجبه قاعدة جوية في زئير ومركز ارشاد لصواريخ كروز الأمريكية (٢٢).

أما في جنوب القارة، فيتسم دور جنوب أفريقيا بأهمية قصوى. فهي تلعب دوراً أساسياً في استراتيجية البنتاجون الأفريقية. لقد أخذت إدارة ريجان تقدم الدعم لنظام بريتوريا بشكل علني مكشوف وذلك عبر سياستها المسماة " بالعلاقات البناءة " والمعروف أن جنوب أفريقيا قد ارتبطت بشبكة المواصلات التابعة لحلف الأطلسي قبل أن يتسلم ريجان زمام الحكم ، وما أن تولى السلطة حتى وصلت إلى واشنطن وفود عسكرية عديدة ذات مستوى رفيع من جنوب أفريقيا. ولقد أخذ نظام بريتوريا يجني فوائد جمة من قرارات ريجان الخاصة برفع الحظر المفروض على بيع معدات الكمبيوتر المعقدة والمخصصة للبحوث النووية وتطويرها لجنوب أفريقيا، وبموافقته على بيع كميات من عنصر البلاتينيوم - ٣ وهو أحد العناصر الحيوية الضرورية لإنتاج الأسلحة النووية لنظام بريتوريا -
أن الطعم الذي تلوح به الإدارة الأمريكية

بأن ثلاث قواعد عسكرية في كينيا ليستخدمها الأسطول وحاملات الطائرات الأمريكية، كذلك أنشئت قواعد عسكرية أمريكية في الصومال وتجري المفاوضات لإنشائها في بعض مناطق السودان .

ومهما يكن ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تدعي الكثير حول نيتها على السلام والاستقرار في أفريقيا غير أن الحقائق لا تلبث أن تبرهن على أن هنالك مخططاً منظماً يقوم مجمع الصناعات الأمريكي بتنفيذه ويستهدف إيقاع القارة الأفريقية في شباك الاستراتيجية الأمريكية ودفعها لتلعب دوراً هاماً إلى جانب الامبريالية الأمريكية في حملتها الموجهة ضد الاتحاد السوفييتي والاقطار الاشتراكية، وفي مجرى تنفيذ المخطط هذا يتم انتهاك أو القضاء على وحدة واستقلال غالبية الدول الأفريقية.

مصر " حسني مبارك "

بالتوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد تم ربط مصر بشكل وثيق في شبكة القوة الضاربة الاستراتيجية الأمريكية. وقد سمح نظام السادات - حسني مبارك بإنشاء قاعدة عسكرية لقوات الانتشار السريع الأمريكية وذلك مقابل "مساعدة" عسكرية اقتصادية قدرت بثلاثة بلايين ونصف البليون دولار (٢١) والعلنية ، كما هو واضح تماماً ، لا تعدو أن تكون مجرد استبدال احتلال باحتلال ، أي تسحب القوات الإسرائيلية المعتدية من سيناء لنحل محلها قوات حليفتها وولية أمرها الولايات المتحدة الأمريكية. ولم تقف عمالة

السؤال الذي لا بد منه ! "الترجم"

امام هذه الحقائق التي لا نرى ان احدا يستطيع ان يدحض اياً منها واهمها ان حفنة من رجال الاحتكارات تحاول بعد ان اسكن بخناق الشعب الامريكي ، ان تخضع العالم وتسيطر عليه من اجل استعباده ونهبه وهي في سبيل ذلك تدوس على كل القيم ولا قيمة عندها الا للدولار ، والدولار فقط ، ولا صداقة ولا مثل ولا حقوق ولا قوانين ، دستوراً اروايو جشعها ووسيلتها مبررة لغايتها ، فحق بسمه طفل عندها لا تساوى قلامة ظفر ، والقضاء على المرض يتم بمفاهيمها بالقضاء على المريض . وما دامت هذه حالها وتركيبها واستراتيجتها واهدافها ، فالسؤال الذي يدق بابنا كقرعات القدر هو كيف تأمل القيادة الرسمية لمنظمة التحرير ان تحصل على العدالة عبر هذه الحفنة بل عبر المتذبلين لها ؟ كيف يمكن ان يتصور عاقل ان مثل هذه الحفنة يمكن ان تفرز عدلا لاية قضية ، فكيف يعدلها لقضية هي صانعتها ومهندسة بؤسها وآلامها ، كيف ؟ كيف ؟ وستظل هذه الكفة تتردد ، عاصفة مدوية لعل اولئك الذين بهرهم الكلام المعسول المناق يصحون على حقيقة ما يراد بهم وبقضيتهم وينفضوا انفسهم من حول كل من ألحق بهم خيبة الامل ، بل استهان بتضحياتهم عبر عشرات السنين .

المراجع

لجر الدول الافريقية الى شباكها انما هو "المساعدات" العسكرية والاقتصادية . ولقد نفخت ادارة ريجان في هذا الطعم بحيث وصل الى حد لم يصل اليه من قبل ، فاذا ما استثنينا نظام "حسني مبارك" في مصر فان مساعدات ادارة ريجان للبلدان الافريقية بلغت عام ١٩٨١ ١٢٠ مليون دولار وما ان حل عام ١٩٨٣ حتى قفزت هذه المساعدات قفزة صاروخية لتصل الى ٤٧٤ مليون دولار يذهب معظمها الى الدول التابعة للدولار مثل كينيا ، وليبيريا والمغرب والصومال وتونس وزائير واخيرا السودان (٢٣) .

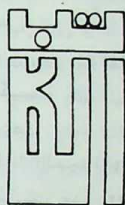
الخلاصة

ان المهمة الحيوية الملحة التي تنتصب امام كافة القوى الوطنية الافريقية والمعادية للامبريالية والقوى التقدمية والدول الافريقية المستقلة هي احباط مخططات ريجان التي طبعها للقارة الافريقية بالتعاون مع اتباعه المتعبددين في محراب الدولار ، ان تقدم افريقيا . ووحدها ، واستقلالها يتوقف على تنفيذ هذه المهمة ، ولدينا من الامكانيات والوسائل ما يكفل لنا النجاح ، والمطلوب هو الارادة السياسية الصلبة العنيدة في الوصول الى هدفنا . ولن نكون وحدنا في الميدان فالى جانبنا تقف حركات التحرر الوطنية في العالم اجمع ، وكافة القوى التقدمية المعادية للامبريالية في الدول الرأسمالية نفسها ، والدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي .

(١) فكتور بيرلو - ما هو التجمع الصناعي

- العسكري - ترائى كوتنتنثال ص ٥٩ - ٦٨ (١٢) افيريجان كومونست عدد ٩٣ ص ٥٦
هافانا ، كوبا .
(١٣) نفس المصدر
(١٤) انترناشيال افيرز رقم ١٠/١٩٨٣ ص ٤٥
دار التقدم موسكو .
(١٥) نفس المصدر ص ٤٥
(١٦) الجارديان - المملكة المتحدة ٨٣/١٢/٢١
(١٧) الامريكان كومونست عدد ٩٢ ص ٧٠
(١٨) ترائى كوتنتنثال عدد ٨٨ ص ٥٩ .
(١٩) الامريكان كومونست عدد ٩٢ ص ٧٠
(٢٠) نفس المصدر عدد ٩٧ ص ٥٧ .
(٢١) انترناشيال افيرز عدد ٩ ١٩٨٣ ص ١٠٩
(٢٢) نفس المصدر عدد ١٠ ١٩٨٣ ص ٤٨
(٢٣) نفس المصدر
(٢) تونى جيلرت ، وكريس سيرلي - العدوان
العالمي - نشرته صحيفة الليبريشن -
لندن - المملكة المتحدة .
(٣) نفس المصدر .
(٤) فكتور بيرلو
(٥) نفس المصدر .
(٦) نفس المصدر
(٧) ميكريم عدد ١٥ ص ٣٣ - ٣٥ اديس
ابا اثيوبيا .
(٨) فكتور بيرلو
(٩) ميكريم عدد ١٣
(١٠) الابزيفر اللندنية ٨٣/٨/٧
(١١) ميكريم عدد ١٣

xxxxxxxxxxxxxxxx



لكي ننطلق

بقلم : د . غسان ياسين - جامعة بيرزيت

اثار موضوع الدكتور سعيد زيداني - الصوابط الاخلاقية والوطنية على البحث العلمي - والذي نشر في العدد - ٥٩ - ردود فعل مختلفة، في الاوساط الاكاديمية والعلمية ، حيث ابدى العديد من الاكاديميين في هذه الاوساط رغبة في الرد على ما ورد في موضوع الدكتور زيداني ، والكاتب اذ ترحب بهذه الردود، لتؤكد استمرارها في فتح الباب امام الراغبين في الرد على الدكتور سعيد زيداني ، انطلاقا من حرصها على البحث المشترك ، والجاد عن اساليب علمية لتعميم الفائدة وتطوير المستوى العلمي والبحثي في بلادنا ولدى ابناء شعبنا الفلسطيني .

مقدمة :

في مقالة " الصوابط الاخلاقية والوطنية على البحث العلمي " (الكاتب ٥٩) طرق الدكتور سعيد زيداني موضوعا في غاية الاهمية والحساسية . واذ يسرني ان يفتح باب النقاش حول هذا الموضوع والذي سيتطرق بالضرورة الى مسائل اكثر اساسية كمهام الجامعات الفلسطينية الناشئة تحت ظروف الاحتلال لا يسعني الا ان استهل هذا النقاش ببدء رأيي المغاير لعدد من المسائل التي وردت في المقال المذكور ، خاصة وان هذه المسائل قد

تستغل من قبل بعض المزايديين والكسالى لاهداف ليست بوطنية ولا بأخلاقية!

وكم كنت اود لو لم يورد المؤلف ما " يقوله الرواة " ضمن امثلة تدعم افكاره، خصوصا وان هذه الروايات (كما يقول المؤلف) تعاني من " شحة المعلومات الموثوقة " وانها تشير باصبع متهمه الى زملاء له من " اساتذة باحثين في جامعتنا " . زد على ذلك فان الجامعة تكون مسؤولة عما تتبناه رسميا من ابحاث ومن خلال القنوات التي نصت عليها انظمتها واما اذا قام احد الاساتذة بنشاط علمي خارج هذا الاطار، فعلى الجامعة ان تتعامل معه على الصعيد الشخصي المحض ولها ان تحيل الامر الى لجنة النظام اذا ارتأت ، بناء على ذلك اقترح ان يتناول تحليلنا تلك الابحاث التي تتبناها جامعاتنا رسميا وتدعمها بمواردها المادية والمعنوية وان نترك جانبا ما يقوم به العاملون في هذه الجامعات من نشاطات اكاديمية مختلفة على مسؤوليياتهم الشخصية سواء عاد ذلك بالضرر او بالفائدة. عليها .

البحث والتدريس :

اتفق مع زيداني ومن المعقول والمنصف اسناد مصداقية وجود جامعاتنا واستمرارها الى ما تلبيه هذه الجامعات من حاجات ومنافع متعددة للمجتمع الذي تنتمي اليه . والحقيقة فساد حاجات المجتمع والمساهمة في تطويره من خلال وكنتيجة للفعاليات الاكاديمية هي من المهمات الاساسية لاية جامعة . وعلى البحث العلمي ان يتخذ مكانته على هذا الاساس . من ناحية اخرى فالابحاث ، خصوصا في جامعة ناشئة تمر بمراحل اولية تحضيرية قبل ان تصل الى مرحلة النضج والعطاء . اهم هذه المراحل هو المساهمة المستمرة في البناء الاكاديمي للجامعة واغناء اساتذتها وطلابها بالمعرفة المتجددة وتوسيع مداركهم وتفهمهم للمواضيع التي يهتمون بها . وينعكس هذا بالطبع على نوعية التدريس ومستوى الخريجين زد على ذلك بأن اهتمامنا وانهماكنا في البحث العلمي يجتذب اهتمام طلابنا ، يخلق لديهم اهتماما حقيقيا . في مجال تخصصهم ويشعل طموحاتهم العلمية . ان من قبل اداري جامعاتنا وذلك لاعتقادهم بأن عليهم في البداية بناء مؤسسة ذات مستوى تدريسي عال ومن ثم الانتقال الى مرحلة الابحاث واستطيع اعطاء العديد من الامثلة على اهمية ما تقدمه الابحاث من خدمات في الحقل التدريسي وما يسببه انعدامها من ابطاء لتقدم العجلة التدريسية . فمن منا ينكر ما يمكن



ان تسديه الاباحث في العلوم الطبيعية بأجهزتها المتقدمة وفنييها وورشاتها لمختبرات التدريس من فائدة ؟ من ناحية اخرى فان عدم توفر هذه الامكانيات قد يجعل الحصول على اتفه الادوات المخبرية معقدا وشاقا .

مما تقدم استنتج بأنه لا جدوى من بقاء جامعة هي مؤسسه تدريسيه، لا تكون الاباحث جزءا اساسيا في برامجها اذ يمكن للمجتمع ان يحصل على اية خدمات تمنحه اياها جامعة كهذه داخل اطر اقل تعقيدا وابخس ثمنا .

العلم والتقنية :

ان الطريق للحصول على التقنية الحديثة والتمكن منها، كانت ولا تزال الشغل الشاغل لكثير من العلماء من ابناء دول العالم الثالث. ويذهب بعضهم للاعتقاد بأن سبب شقاء الكثير من هذه الدول وتخلفها انما يعود لعجزها عن تصنيع ما تحتاجه من معدات ولوازم تقنية . ومع ان زيداني لا يقلل من اهمية التطور التقني لمجتمعنا فهو في رأيه قد اخطأ عندما اعتقد بأن هنالك طريقا مختزلا للحصول عليها . وكما اعتاد العالم الباكستاني الشهير محمد عبد السلام الحائز على جائزة نوبل للفيزياء والذي امضى سنينا طويلة في دراسة التطوير في العالم الثالث ان يقول: "العالم والتقنية يزدهران معا وينحطان معا". ولو نظرنا الى الدول التي هي الاولى في مجال الابداع الصناعي لوجدنا انها الاولى في مجال البحث العلمي . وكموءشر على ذلك يورد الاستاذ عبد السلام احصائيات نشرت في سنة ١٩٨٣ تشير الى ان اعداد الباحثين من علماء ومهندسين - الذين يعملون في حقل البحث والتطوير العلمي في العالم العربي والاسلامي بأكمله لا يربو على ٥٠٠٠ باحث . هذا العدد يجب ان يقارن بنظيره في الاتحاد السوفييتي والذي بلغ نصف مليون وفي اليابان اربعمائة الف ولماذا نذهب بعيدا فقد بلغ هذا في اسرائيل حوالي ٣٥٠٠٠ باحث ومن الجدير بالذكر ان الارقام المذكورة لا تدل بالضرورة على غنى الدولة او ما تملكه من موارد بل على نسبة ما تخصصه من دخلها القومي للبحث والتطوير .

ان المثال (أ) الذي طرحه المؤلف لايضاح مسألة اولويات التمويل مرفوض اساسا . فاقامة مركز او مراكز للارشاد الصناعي مثلا لا يمكن على الاطلاق ان تؤدي الى حل مشاكلنا التقنية، وحيثما كانت الامور على هذه الدرجة من السهولة، ان اعتماد التقدم التكنولوجي على البحث العلمي (نظريا كان ام تجريبيا) يشكل قصة التطور الصناعي للمجتمع الاوروبي منذ بداية القرن السابق، والامثلة على ذلك عديدة. فأبحاث "فارادي" في حقل الكهرباء والمغناطيسية في مختبره المتواضع في لندن هي التي ادت في النهاية الى تأسيس مولدات الطاقة الكهربائية . ومن المشكوك فيه ان فارادي كان قد تنبأ في حينه بما يمكن ان تحدثه ابحاثه من تغيرات هائلة على مجرى الحياة الانسانية بل من المرجح بأن حب المعرفة والتي نعتها الدكتور زيداني بالبراءة هو الذي حدا به

التي تتركس حياته لحل الغاز هذه الظواهر الطبيعية. وبعد سنوات قليلة صاغ الفيزيائي "ماكسول" معادلاته الشهيرة والتي تنبأت بوجود انبعاث الاشعاع الكهرومغناطيسي نتيجة تسارع الشحنات الكهربائية. والابحاث التجريبية التي تلتها والتي هدفت الى التحقق من نظرية ماكسول " ادت الى اكتشاف موجات الراديو واشعة "اكس" وما كان لها من تطبيقات عظيمة. ومن الجدير بالذكر انهم لم يملئوا رعاية مؤسسية حكومية هدفها التطوير الصناعي او شركة هدفها الربح المادي بل في منبر خاص اقامه عالم آخر ميسور الحال كان هو الآخر مصابا بداء البراءة. ويمكن الاثبات بأمثلة في حقول اخرى وكلها تؤكد عدم امكانية فصل العلم والتقنية. والثورة الصناعية الاوروبية قد قامت على انكاف مثل هؤلاء العمالقة حين كان المناخ السياسي - الاجتماعي مهبطا لاستيعاب عبقريتهم واستخدامهم.

اذن فلو كُتب علينا ان نختار بين تمويل ابحاث في الفيزياء النظرية الخالصة وبين اقامة قسم لإنتاج الصناعي حسب المثال الذي اوردته المؤلف، ففي رأيي فان تمويل البحث العلمي الخالص الى واجدى. البحث النظري كما اوردنا في المثال السابق لا يقل اهمية عن البحث التجريبي بل له وحيثها والتغذية المتبادلة بينهما هو آخر ما توصل اليه ادراكنا العلمي للظواهر الطبيعية في هذه الحقبة من الزمن. وكما اوردنا ايضا فالتطبيق الصناعي لا يمكنه ان ينمو ويتزعرع الا في ظل بحث العلمي المبدع والخيال. ان قسما كهذا في الظروف الحالية لن يقدم ولن يؤخر تطور اقتصادنا المحلية في حين يرمي تمويل البحث العلمي الى الحصول على غاية اكثر اصالة وابعد طوعا. وحسب رأي عبد السلام فان اهمال السلطان سليم الثالث للبحث العلمي وتركيزه على سقنم الاساتذة الاوروبيين لتعليم الاتراك فن الميكانيكا وعلم المعادن بهدف بز الاوروبيين في غلبت المدافع هو الذي ادى لعدم لحاق تركيا بالاوروبيين كذلك فهو يندحى باللائمة على هذا على في مصر الذي ركز على الحرفة بدل العلم فدأب على تدريب رجاله على فن التنقيب عن الذهب بدلا عن توفير الامكانيات لهم لاستيعاب علم الجيولوجيا الاساسية. وهو يذهب الى ان استخراج بترول لاؤلك، الذين يريدون اقناعنا ان ننقل التكنولوجيا دون ان ننقل العلم دوافع بآراء غير سليمة. وما اصح ذلك. الدول الصناعية الغربية لا تمنع عادة ان ننقل التكنولوجيا الى على الاقل جزءا منها الى بعض دول العالم الثالث وذلك اما " لتثقيف سكانها " على استعمال اشياءها الصناعية الجاهزة وبالتالي بيعهم اياها او لاستغلال الايدي العاملة الرخيصة في عملية اخيرا اود بأن اؤكد بأن ازدهار البحث العلمي لمجتمع ما، هو شرط ضروري لتقدمه التقني

لكن من المحتمل جدا ان لا يكون كافيا. فمن المؤكد بأن تفاعل المجتمع واستجابته لما تقدمه من خدمات في هذا المجال هو الكفيل الوحيد لاستفادته منها. وذلك يتطلب بالطبع جوا اجتماعيا مناسبيا يبارك هذا التفاعل ويدفعه. حينئذ يصبح العلم والتقنية جزءا من حياة الشعوب وصاراته اليومية. وقد يكون من الصعب او حتى من المستحيل ان نستطيع الامة انشطية تحقيق انجاز على هذا المستوى من التعقيد تحت ظروف الاحتلال القاسية. وعلى

جامعاتنا اذن ان لاتأجل جهدا لارساء قواعد البحث العلمي الاساسي حتي يتسنى لها ان تقوم بدور
تطبيقي طليعي عندما تسمح الظروف بذلك .

عالمية البحث :

لقد آلمني ان يصف زميلي الدكتور زيداني رغبة نشر المقالات العملية في المجلات الاجنبية
" بالجنون " " والجوع المخيف " وبؤسني ان يطلب من الباحث تبريرا لعرض نتائج بحثه على
المجتمع العلمي العالمي ليقيمه ويبدى اراءه فيه . ان نشر بحث في المجلات العالمية يتيح تقييما
بشكل موضوعي ومحاييد من قبل ذوى المعرفة في مجال البحث المنشور . وكلما ارتفع مستوى البحث
العلمي يرتفع كذلك مستوى تدقيقها وتقييمها قبل اعلان موافقتها على النشر . ان التهمك على
تعبير المجلات " المحترمة " واستخدام تعبير ايدولوجية النشر هو ضرب من الديماغوجية ولا اوافاق
الكاتب بان هذا لا يحدث في " الجامعات الاوربية المتقدمة " . فهو يحدث ويحدث . كلما برز
بان المجلات العلمية العالمية تختلف عن بعضها بالمستوى والمكانة . والباحث الاوربي يحرر
كثيره على ان ينشر بحثه في مجلة تتناسب ومستواه العلمي . وعندما ترغب المؤسسات الاكاديمية
التي يعمل بها تقييم منشوراته فانها تأخذ حتما بعين الاعتبار مستوى ومكانة المجلات التي تنشر
ثم ان النشر في المجلات العالمية يتيح لنا الحصول على التغذية المرتدة من خلال ردودنا
نظائرنا في جميع انحاء المعمورة . العلم والمعرفة ليسا صندوقا من البرتقال تأخذ حاجتنا
ثم نصدر ما تبقى منه الى الخارج ! الافكار لا تصدر بل تتداول . وما تنتجه من المعرفة لا يستنفذ بل يبقى خالدا أزليا .

البحث العلمي كان ولا يزال امميا واسعا وليس قوميا ضيقا . وهذا من اجمل خصائصه واساسه
اليس ما يثير الاعجاب ان يأتلف علماء ينتمون الى شعوب مختلفة وحضارات متباينة وكل يجد
آتته الطبيعة من مقدرة عقلية لتذليل معضلة علمية وقد انهارت الحواجز وتلاشت الانانية . وظل
سبيل المثال ففي حوزتي خمسا وعشرين مقالة نشرت في مجلات عالمية مختلفة اخرى على
عشر سنوات وكلها متعلقة بحل نفس المعضلة العلمية . وقد وجدت من بين مؤلفيها الهولندي
والسويسري والروسي والامريكي والياباني والانجليزي والايطالي واسماء اخرى لم استطع تبيان قوة
اصحابها ! ولو افترضنا بان واحدا او اكثر من هؤلاء قد قرر حجب نتائج ابحاثه خشية تزيده
الاخريين به لكان من الممكن ان يستغرق حل هذه المعضلة عشر سنوات اخرى .

ان من الظلم ان يحرمنا الدكتور زيداني نشر ابحاثنا في مجلات عالمية مرموقة يتداولها الك
عدد من كبار العلماء حتى ولو توفرت مجلات محلية . ويصبح هذا الظلم مضاعفا في حالة عدم توفر
هذه المجلات . النشر في مجلات محلية باللغة العربية في هذه المرحلة ونحن على ما عليه من
التخلف لا يمكن ان يتمخض عن مجلات ذات مستوى يسد حاجتنا ولن يؤدى ذلك الى توسيع
معرفتنا ورفع مستوى ابحاثنا . وبالتالي فكل ما يمكن ان نجنيه من وراء ذلك هو ان نجتر جماعيا
اكتسبناه من معلومات خارج وطننا . ان التقدم العلمي لا يأتي بالتعريب المصنع للعلوم بل ان

بخر في لغة معينة وما تكتسبه هذه اللغة من تطور هو تعبير دقيق عما توصل اليه المجتمع الذي يستخدم هذه اللغة من تطور حضارى . والتزمت اللغوى عند بعضنا ما هو الاعتراف بالعجز ودليل على اليأس وعدم الثقة بالنفس .

ان الشرط الادنى لتمكينا من النشر في مجلات محلية بلعنتا العربية هو توفر رهط كبير من باحثينا الباحثين يغطي جميع تخصصاتنا ويكون بمقدوره تقييم ما ينشره في مختلف التخصصات .
عندئذ يصح النشر في مجلاتنا امرا طبيعيا ولن نحتاج لان يحثنا عليه احد .
والى ان نصل الى هذه المرحلة فلا مهرب لنا من النشر في المجلات الاجنبية وليس على جامعاتنا من حرج اذا هي قيمت انتاجنا العلمي بما ننشره في هذه المجلات .

الامكانيات :

نشأت الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية على غرار الجامعات المصرية سيئة الصيت ودون غار او تنسيق بينها . ولم يكن من الضروري او اللازم ان يتم الامر كذلك . وليس هناك متسع ان للخوض في هذا الموضوع الذى ولا شك يستوجب التحليل واستخلاص العبر ولكن احد نتائج هذا النوع من النمو هو التركيز وتوجيه جميع الموارد لعملية التدريس وجعل البحث العلمي مسألة ثانوية او كالية . ولايضاح سلبيات هذا الاسلوب اورد بأن تكاليف انشاء ورشة ميكانيكية تسد اغلب الحاجات التقنية لاي من جامعاتنا لا تتعدى الـ ٣٠ الف دينار بالاضافة الى اثنين من الفنيين .
في الجدير بالذكر ان المبلغ المذكور اقل من قليل (اذا ما قورن بما تدفعه الجامعة سنويا من رواتب، اجور عما ستتيحه لنا ورشة كهذه من تصنيع معدات لازمة لشترتها الان من الخارج بأبهظ الاثمان بعشرات اخرى لا نستطيع الحصول عليها من الخارج ، وأمر من ذلك نجد انفسنا الان وامكانيات بحث عندنا في كثير من المواضيع معدومة او شبه معدومة . ولو كانت مثل هذه الظروف سائدة في الضفة او زروبية لكانت سببا مفهوما ومعقولا لاجحاشهم عن ممارسة البحث العلمي . ولكن من اساتذة الضفة الفلسطينية وطنية (بما لهذه العبارة من معنى) فيحق لنا ان نتوقع اكثر من ذلك . ليس علميا مكتفى مطلقا ان نجلس مكتوفي الايدي الى حين قيام جامعاتنا بتوفير المكتبات المكتظة في استعمالها في الخارج . وعندئذ فقط نبدأ بالتفكير بمشاريع ابحاثنا . بل ان العملي والمنطقي في الحد الأدنى لما نحتاجه من الامكانيات المتوفرة وان نبذل قصارى جهدنا للحصول بشتى الوسائل هذه الامكانيات بما نستطيع الحصول عليه من موارد سواء من الجامعة او عن طريق اصدقاء لنا في الخارج ، صحيح أن " التذب " لن يحل مشاكلنا ابدا و أكثر من ذلك فهو يصبح تقصيرا ومزايدة .
لاستطيع مواجهة شعبنا الذى تمرس على الصبر والمعاناة وان نقول له بكل فخر : لقد عملنا ما



أهي دعوة للأدب الرائق...
أم هروب من محاسبة الضمير؟

أسعد الأسعد

اثار رفض الكتاب الفلسطينيين في المناطق المحتلة ، وكذلك اتحاد الكتاب الفلسطينيين المشاركة في اللقاء الذي دعا اليه فرع منظمة "بين" في تل ابيب ، والذي انعقد " من اجل السلام العالمي للكتاب " . ردود فعل مستهجنة ، من جانب بعض الكتاب الاسرائيليين ، اذ تحدث عدد من الكتاب والصحفيين الاسرائيليين في صحف دافار ، يديعوت احرونون ، معاريف ، عل همشمار ، جروزالم بوست ، وكذلك في الاذاعة الاسرائيلية ، عن رفض اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين الدعوة . ناعتين الكتاب الفلسطينيين بنعوت غير منطقية .

غير ان ما ورد في كلمة اهارون ميغد ، رئيس فرع منظمة "بين" في اسرائيل دفعني للاستغراب والاستهجان اكثر . حيث ان اهارون ميغد ، انكر علينا هذا الموقف ، واعتبرنا سياسيين ولسنا ادباء ، ولست ادري ، كيف وقع اهارون ميغد في هذا الخطأ الفاحش ، متجاهلا حقيقة مفادها ، ان الادب لا يمكن فصله عن السياسة ، وعن الواقع الذي يعيش فيه ، والا فان من الصعب عندها تحديد انتماء أدب ما . يقول بول اليوار ، لا يكفي ان تصور معاناة الانسان ، بل يجب ان تمتلك القدرة على تجسيد هذه المعاناة ، ومن ثم دفع الانسان للاحاساس بها ، تمهيدا لتحريره ودفعه للثورة على واقعه وتغييره واذا كان الاديب والكاتب هو نتاج شعبه ، فان الف باء المنطق ، ان يكون الكاتب واحدا من هذا الشعب الذي انتجه وأوجده ، وبالتالي فان المنطق نفسه يقول ، ان الانسان الحقيقي ، هو الذي

يبش حقيقة انه عضو في جسد واحد ، فاذا كان الجسد يتألم جراء جرح يلم بالعضو الواحد من هذا الجسد ، فما بالك اذا كان الجسد بأكمله يعاني جرحا واحدا ، جراء نفس السوط المسلط على عنقه ، اليس من البدهي عندها ان يتألم العضو ، ويصرخ من شدة الوجع ، ولا يتأ جزء من شعبنا الفلسطيني ، نعيش بضمنه ونحس احساسه ، كان علينا ان نتألم ، فالسوط المسلط على رقاب شعبنا هو نفسه المسلط على رقابنا ، واذا كنا سنكتب ، فلا يمكن ان نكتب الا عن الوجع الذي نعيشه كل يوم ، ليس من أجل تصوير الوجع ، بل ايضا لتجسيده ودفع شعبنا للاحاساس به من اجل رفضه ودفعه عن كواهله .

هذا هو موضوع ادبنا الرئيسي ، وهما الاساسي ، غير اننا ونحن في خضم ذلك ، لا ننكف عن الحب والعشق والاحساس بالجمال وتذوقه كما يراه الاعزل - الا من ايمانه بحقه ، وبحتمية انتصار هذا الحق ، كما يراه الانسان الذي يعيش تحت الاحتلال ، ولاننا شعب يعيش تحت الاحتلال وبناي القمع والاضطهاد ، فنحن اكثر الشعوب تمسكا بالسلام ، ودفاعا عنه ، لاننا الاكثر معاناة وبضرا بسبب غيابيه ، ونحن ايضا اكثر الشعوب حرصا على تحديد موقفنا من اية جهة كانت في هذا العالم على اساس موقفها من السلام ، ولاننا كذلك ، فاننا نرى ايضا ان الموقف من قضية شعبنا . يحدد الموقف من موضوعة السلام ، فمن كان مع رفع الظلم عن شعبنا الفلسطيني ، وتمكينه ومساعدته لنيل حقوقه الاساسية المشروعة ، وعلى رأسها حقه في اقامة دولته المستقلة ، فهو في معسكر السلام ، ومن لم يكن كذلك ، فهو في معسكر اعداء السلام .

وبالتالي او ليس من حقنا ان نطلب الى الكتاب الاسرائيليين تحديد موقفهم ، على الأقل ، حتى نستطيع تحديد موقعهم من موضوعة السلام ، خاصة في وقت يدعون فيه الى تفاد لقاء من اجل السلام في العالم وفي المنطقية ؟

ان الفارق كبير ، وكبير جدا ، بين ان تكون واحدا من شعب مضطهد - كسر الهاء - وبين واحد من شعب مضطهد - بفتحها - وان كان هناك من لا يدرك هذا الفارق ، فعليه ان يعود الى التاريخ ، ففيه اجوبة شافية .

ان ادبنا يلتزم خطا سياسيا يدافع عنه ومبادئ يناضل من اجل تحقيقها ، لا يمكن ان يكون ادبنا ، فطريا لادب ان يجسد قضية ، وموقفا سياسيا ، من القضايا الاساسية التي يعيشها الكاتب ، سواء كانت اجتماعية او سياسية او قومية . ومع تأكيدنا على الفارق في المضمون الانساني بين الادب الفلسطيني والادب العبري ، فقد كرس معظم الكتاب الاسرائيليون - وبضمنهم اهارون ميجال - ادبهم لخدمة القضية التي اعتقدوا وانموا بها ، واعني الفكرة الصهيونية ، كسر لاهارون ميجال فقط بالموقف العنصري من شخصية العربي في هذا الادب ، ففي قصة لم عاد فتسلل اليه ، ليفاجأ بامرأة غريبة تنام على "سريرها" في بيته ، ينظر اليها من

خلال البنافذة ، ثم ينطلق ميغد فيجعل العربي يتخيل أكثر الامور غريبة ، ويصور العربي ذلك الوحش المفترس ، الذي يريد ان يفجر العالم ويحرقه . . الخ . وليس ذلك الا تعبيرا عن مخزون الصور غير الانسانية للعربي في ذهن اهارون ميغد ، اما البعض فقد ذهب الى ابعد من ذلك فكاتب قصص الاطفال ، عبدو سيتر قال صراحة في مقابلة مع جريدة هارتس في ٢٠/١٠/١٩٧٤ انني اكره العرب - بل لقد ذهب الى ابعد من ذلك حين اورد تفسيره لتوجهه لادب الاطفال قائلا " انني لا اؤيد فكرة ان الكتاب يجب ان يكون تربويا ، فاذا ما قرأ الانسان كتابا لطيفا وواجهته ازمة عائلية ، فمن شأنه ان يرتكب جريمة قتل . وهناك امر اضافي ، اننا نعيش فترة تتميز بالتعقيدات مع العرب بما يمكن ان نسميه ببساطة " حقول ملاءى بالدماء " ، فليس عادلا ، والحال كهذه ان نحكي للاطفال قصصا جميلة عن الازهار والفرشات وزيت الزيتون الصافي - ذلك سيؤدى الى ازمة : الطفل سيقرا قصصا جميلة عن تفريد العصافير وفجاة ، هنا حرب وهناك مخاوف ، عندها سيعانى ازمة ثقة ، فهل يجوز لنا ان نخدع اولادنا " ؟ - انطوان شلحت - الكاتب العدد ٤٥ - شخصية العربي في الادب العبرى - ص ٩٨ .

بالاضافة الى ذلك ، فهناك ايضا من كتاب ادب الاطفال يغثال موسينزون ، انفير كرميلي وغيرهم ، وهم لا يقلون عنصرية عن سيتر ، فكرميلي هذا ، يصف العربي الصالح ، بأنه العربي الميت ، او العربي الذى انصهر في الشعب العبرى ولعل اهارون ميغد اكثر معرفة بميقتد الروائي العبرى الكبير موشية شامير ، - عضو الكنيست السابق - من العربي ، في رواياته المتعددة ، وكذلك عاموس عوز ، وكيف وصف العربي الذى التقته غيثولا ، ابنة احد الكيبوتسات . لدى تجوالها خارج الكيبوتس ، في قصته - بلاد الضيع - حيث قال في وصف العربي " انه مخلوق بدائي وحيواني يشبه البهيمة في جوهره ، وانه دمدم ذليل " . وهذا بعض من كثير ، اظنه يشكل مدخلا يساعد على رؤية ، صورة العربي في الادب العبرى . وهي بلا شك صورة تمثلي بالحق والكرهية والشوفينية ، فقد كرس الادباء في اسرائيل عموما ادبهم لخدمة القضية الصهيونية ، القائمة اساسا على سياسة تمجيد النصر اليهودى ، والخط من قيمة الآخرين ، فقد جاءت صورة العربي ، والفلسطيني بوجه خاص في الادب الصهيوني عموما ، مسلوب الحق ، دميم الخلقة ، منتن ، مهان ، ذليل ، متخلف ، همجي ، وحش ، عدو للتقدم والحضارة ، . . الى اخر هذه النعوت العنصرية ، المستخفة بالآخرين ، وقد جهد الادباء في اسرائيل ، وخاصة من يكتب منهم للاطفال ، في غرس هذه الصورة عن العربي ، في ذهن الطفل اليهودى . ولنتخيل الى اين ستؤدى به هذه التربية العنصرية .

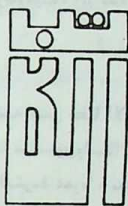
لقد عالج الادب الفلسطيني الخروج من الوطن ، والتشتت في المنافي والمخيمات ، وتطرق لكثير من الموضوعات التي تطرق اليها الادب العبرى ، لكن الفرق واضح . ان ادبنا الفلسطيني حافظ على نزعتة الانسانية ، ولم يصور اليهود بالوحوش المنتن ، او الذنب

يملكون كالكلاب ، رغم انه ادب الشعب المغلوب على امره ، والمسلوب الحق ، وهو - كما ذكرت - الذي كان من الممكن ان يعطي ادبا شوفينينا نتيجة الظلم والاضطهاد الذي تعرض له ، الا انه رغم كل ذلك خرج نقيا صافيا يمتاز بانسانيته ، وموضوعيته ، الزائدة عن الحد احيانا .

فاذا كان اهارون ميغد يستكثر علينا ان نحدد موقفا من قضية تمس حقنا الاساسي في الحياة الحرة الكريمة ، وهو ما اثار حفيظته ودفعه الى اتهامنا بأننا سياسيون ولسنا ادباء ، فاننا يؤكد له ان ادبا لا يتحدث عن معاناة جماهيره ، وعن معاناة البشرية عموما ، ليس ادبا ، وحسنا ان ادبنا الفلسطيني مكرس في اساسه لتصوير معاناة الانسانية ، من خلال تكريس الواقعية الاشتراكية منهاجا ، متمثلا في البحث عن معاناة الانسان عموما والانسان الفلسطيني واحد من اكثر الناس معاناة - ومن ثم تلمس هذه المعاناة وتصويرها وتجسيدها والسعي لدفع الانسان للاحاساس بها ، تمهيدا للتمرد عليها ، وتغييرها ، نعم نحن نكتب ادبا نسعى ونطمح من خلاله الى تغيير العالم ، وتغليب جانب الخير فيه على جانب الشر ، ولا يضيرنا ان كان هناك من يعتقد بأن ذلك سياسة وليس ادبا . . . كذا ! وحسنا ان نسهم في تغيير العالم ، ونصنع عالم جديد تسوده المحبة القائمة على الاحترام المتبادل بين كافة شعوب الارض دون تمييز لاحد ، او استخفاف به ، واود ان اؤكد لك في الختام ان عالمنا الذي نناضل من اجل خلقه ، ان لا محالة ، لان عدد الخيرين فيه يزداد كل يوم ، وانني على ثقة ايضا بأن التجارب المريرة ، سوف تدفع بالمزيد من الاسرائيليين ايضا للانضمام الى معسكر السلام .

اخيرا ، اقول لك ولزملائك ، ان الادييب موقف ، واني ارى ان اذانتكم للقمع والاضطهاد مقدمة للنضال من اجل السلام ، وموقف ومحك حقيقي لحرصكم على تبوء دور مهم ، في الاسهام في تحقيق السلام ، السلام العادل والمقيم .

هول دعوة منظمه " بين " للقاء الكتاب من أجل السلام



كان اتحاد الكتاب الفلسطينيين في المناطق المحتلة قد تلقى دعوة من فرع منظمة "بين" للكتاب في تل ابيب ، للمشاركة في لقاء مكرس ليوم السلام العالمي للكتاب ، وانطلاقاً من اعتبارات عديدة ، وفي مقدمتها المنزى السياسي الذى تضمنته دعوة فرع "بين" في تل ابيب ، فقد رفض اتحاد الكتاب الفلسطينيين المشاركة في هذا اللقاء ، مؤكدا استعداداه للمشاركة في اى لقاء او نشاط من شأنه الاسهام في النضال من اجل تحقيق السلام العادل والمقيم في منطقتنا وفي العالم ، شرط ان لا يمس هذا النشاط اياً من الثوابت الاساسية التي لا يمكن لاحد ان يفرط بها او يسمح لآحد بتجاوزها وفي مقدمتها التعامل معنا على اساس مستقل، نمثل الاطار الذى يضم الكتاب والادباء الفلسطينيين في المناطق المحتلة، كما ان الكتاب في المناطق المحتلة يرون الاقرار بحق شعبنا في الحرية والحياة الكريمة. في دولة مستقلة، مقدمة للنضال من اجل تحقيق السلم العالمي، وتعزيز طمأنينته .
وفيما يلي الوثائق ، وبعض ما نشر في الصحف الاسرائيلية من موضوعات حول الدعوة المشار اليها .



מרכז פא"ן בישראל

THE P.E.N. CENTRE IN ISRAEL

ירושלים 96664, רחוב שמריהו לוי 19, 96664 תל אביב

The Palestinian Writers Ass.

P.O.B. 25074

Shuafat, Jerusalem

25074, 2005

62712

2005



מרכז פא"ן בישראל

THE P.E.N. CENTRE IN ISRAEL

ירושלים 96664, רחוב שמריהו לוי 19, טל. 421883. 96664

دعوہ

في المؤتمر الدولي لمنظمة " بين " الذي انعقد في طوكيو
في السنة الماضية اتخذ قرار بعقد يوم السلام العالمي للكتاب
في ١٢ آذار ١٩٥٥ واستجابة لهذا القرار يقيم فرع " بين "
في اسرائيل اجتماعا للكتاب اليهود والعرب من اسرائيل ومن
الغالبية الغربية وقطاع غزة حول موضوع السلام في العالم وفي
سنته ، وسيضر هذا الاجتماع السكرتير الدولي لـ " بين "
الكاين الكاندر بلوخ .

بما ان نتموكم لحضور هذا الاجتماع الذي سيعقد في " بيت
الكتاب " في تل ابيب شارع كابلان رقم ٦ في اليوم المحدد وهو
الاربعاء القادم . نرجو اعلامنا حضوركم هذا الاجتماع ولكم الشكر

مع فائق الاحترام

اهرون ميغد

رئيس فرع " بين " في

اسرائیل

27k-En, 30 f, 27k-1/2x "10, 27k/13" St. 30, 7d
"Tzavta" Club - Eben - Grindel

Executive members: Aharon Megged (President); Haim Toren (Hon. Secretary-Treasurer); Shimon Ballas; Hallel B. Kahana-Carmon; Arye Liphshitz; S. Wygodski; A.B. Yoffe.

التاريخ ١٩٨٥ / ٣ / ١ م Date

السيد اهارون ميجد
رئيس فرع منظمة (بين) في اسرائيل ،
السادة المشاركون في اجتماع فرع منظمة (بين) في اسرائيل ،
تحية وبعد ،

تلقى اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين دعويكم للمشاركة في الاجتماع الذي دعا اليه فرعكم حول موضوع السلام في العالم وفي المنطقة ، في تل ابيب .
واننا اذ نشكركم على دعوتكم هذه لنعتذر عن تلبيةها وذلك لمجموعة من الاسباب نأمل ان تؤخذ بالاعتبار .

فمع ادراكنا لاهمية اللقاءات مع كتاب العالم وخاصة اولئك المناصرين لحقوق شعبنا الفلسطيني ولقضية السلام في العالم الا ان توجيه الدعوة اليها من فرع منظمة (بين) في تل ابيب وليس من المكتب الرئيسي يتضمن معنى سياسيا لا نوافق عليه ينلخص في اعتبارنا جزءا ملحقا باسرائيل في الوقت الذي تؤكد فيه استقلاليتنا التامة ويناضل شعبنا من اجل حقوقه المشروعة وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير واقامة دولته الفلسطينية المستقلة وزوال الاحتلال الاسرائيلي البغيض عن تراب وطننا وانطلاقا من ذلك نرى انه من الواجب ان تؤكد لكم وللزملاء الكتاب المحترمين اننا لسنا جزءا من اسرائيل وانما من وطن فلسطيني تحتله اسرائيل ولذا فاننا نؤكد لكم ولمكتب منظمة " بين " الرئيسي وللزملاء المسؤولين لديكم انه كان يجب التعامل معنا على هذا الاساس الذي يكفل استقلاليتنا التامة .

ايها الزملاء المحترمون ،

اسا اذ شارككم الاهتمام بموضوعة السلام العالمي لئلا نرى ان الموقف منه يحدد اساسا في اتحاد موقف واضح وثابت وجاد صد القوى الامبريالية التي تؤجج مواقف الحروب في العالم اجمع ، وتقدم دعمها المطلق للانظمة التي تمارس احتلال شعوب اخرى وتقمع حريات شعوبها ايضا .

وقضية السلام في الشرق الاوسط هي قضية عزيزة علينا لانها نمس صلب وجودنا ومستقبلنا ، اد ان قضيتنا الفلسطينية هي لب السلام ، وحلها حلا عادلا لمصلحة شعوب المنطقة بما يضمن كامل الحقوق المشروعة لشعبنا هو فقط الذي يمكن ان يجلب السلام لشعبنا ، ولهذا يتطلب الواجب ان نتخذوا موقفا واضحا ضد استمرار اسرائيل في احتلال الارض العربية وادانة كافة الممارسات القمعية التي يتعرض لها شعبنا في مدنه وفراه ومخيماته وما تتعرض له ارضنا الفلسطينية من مصادرة وطمس لاقامة المستوطنات الاستعمارية عليها وما تتعرض له ثقافتنا الوطنية الفلسطينية من طمس ومحاولات مستمرة لالقائها .

اننا نتمنى ان يكون اجتماعكم مثبرا حقيقيا للسلام ونتمنى لكم التوفيق في ذلك ، ونقدم لكل الاصدقاء والشرفاء وذوى الضمير الانساني الحي المناصرين لقضايا السلام وحرية الشعوب كل تقدير وتحية

باحلاص

اتحاد الكتاب الفلسطينيين

في الضفة الغربية

وقطاع اتحاد الكتاب الفلسطينيين

في الضفة الغربية وقطاع غزة

עוד אכזבה אחת

למפני יותר מחצי שנה פנה מרכז פא"ר הישראלי למרכז מל"ר המצרי בהצעה לכנס בימים השלוש-סופרים מישראל - יהודים וערבים - עם סופרים מצריים בכל מקום שיהיו בו, אך עד היום הסופרים הערבים המלכותי-נאמרו לחנוט את דתו את ההזמנה בתירוח לא נתקבלה תשובה. הערבים עומד בכניס שום הגיון.

[illegible]

1997

[illegible][illegible][illegible]

תחנת

[illegible]

יום שישי, ט"ו באדר תשס"ה, 8 במרץ 1985

15-7

משה דור
הם לא באר

נשות כל עוד לא יתגברו הסיוסרים ואנשי-הרוח בן, יתחשבו על הפחד לפני הדיאלוג עם סוסרי ישראל כל עוד יתספרו בצערות של משה וחשד ואיבה, תוספת תולדת הרוח התגברת. סוסרי "גדח" החמישי הדומות להר פגש, פגוש אל פגוש, עם כל יתנו מנגינת הקשיש קולות הר חוסיסו נודד כלול הדומות שאין סיוסן ואין רע פגשו במסכות ימינה.

ביום מופיע מן הסוג הזה אין ערובה שכל הדברים יצאו מעו בו והיו נעשים ונחתמים עד דעה כל חשבתם. אבל בן העדר בנימוס לא אומץ לאמר שלקטואלי לא תימכן סום התי וועטות, יצגו בראי יל שני אמות, ויפליגון ברח אית שני מדת, מבחנת מוסריות בנסת, מלך התבוננות כפדת, חשבתו על מרכז אמן היוראת לעשותו של מילטנים היתה בחינה ים מופיע, לרא תנאים, אבל חד הרובת

[illegible]

ציון ממשל סופרים ישראלים ו-
מצרים בירושלים או בקאהיר, ב-
תל אביב או באלכסנדריה, אך
סופרי מצרים גם לא טרחו
להשיב על השניות החוזרות
וגישות או צי הרעיון לכנס בכ-
סיפה אחת סופרים מישראל ויהו-
דום תורכים וסופרים מן „חשכ-
חש“.

ב מכתבם העלל סופרי, "הגדה",
עודה של יחידיות בזכות
הקמתה של מדינה פלסטינית עצ-
מאית וזיוס השלישית הצבאית של
ישראל ב"שטחים". רבים מבין
סופרי ישראל הערבים מחזיקים ב-
השקפה, שבה תהיה לבעיה הער-
סנית צורך להיות מדיני, ואילו
רצו סופרי הגדה המערבית ור-
צעת עוז להשמיט, באותו מעמד
של ורעד סופרים בחל-אריב, את
דעותיהם בנוז, לא היה איש
סוכר את מיהם, ממש כשם שהם
הפרעו איש לטופרם ערבים מ-
ישראל להשמיט דברים ברוח דו-
מה. יתרה מזאת, בוועד הער-
אריב, שהתקם — את כדבורים
ואם כמאזניים — סופרים יהודים,
שמנו עם השוללים הקצונים של
מלחמת לבנון, אכן, הסיפר הע-
רבי-הישראלי מחמד עזאיים ציין
בדבריו את העובדה הזאת וא-
הגיוס, כי איכות התגובה הער-
יתית העברית על המלחמה עמדה
במדה גיבדת על זו הערבית.
סופרי, "הגדה" ורצעת עזה לא
באו לכנס מאין בחל-אריב בגלל
גיומיקום מצוץ-מן-האצבע של
גיומיות סיפוח, אלא משנן ש-
גבהלו מן המספרות לטובה
עם עמיתיהם הישראליים. זה הלח
שבלי סיפוחו גוסף לעמד מיני
צייר המיתר, מדברים ואין קולנו
שמש בדד השני, רק שחלנו

והי' תגדה המערכית ורשר
ת פוח לא באו לכנס ,יום
החלום בין סופרים", שמועד
מנו פניו הישראלי, בוועד נכחו
מספר יחדים ועדבים, ממדינת
ישראל. הם נשא דברים וקראו
שירים, ובלי לסייח מחלוקות ולי
השטח. שופטים של כנס ועל
הם, חזי שופטים במפתח השאיפה
למה הישית, ולתרחיב תבונה.

[illegible]

الشبيبة في العالم المعاصر: التعليم .. العمل .. الحياة



بقلم : ميرسلاف شتيبان : رئيس اتحاد الطلاب العالمي

بناءً على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة اعلن ١٩٨٥ عاماً عالمياً للشبيبة، شعاره : " المشاركة، التنمية، السلام ". ويتضمن برنامج العام الذي وضعته الأمم المتحدة اجراءات وتوصيات الى الحكومات تهدف الى تحقيق اقصى مشاركة للشبيبة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وينطلق البرنامج من ضرورة تطور المجتمع على نحو يراعي بصورة اكمل مصالح الجيل الفتى وحاجاته. وان ترسيخ السلام وازالة خطر الحرب شرط لا بد منه لتحقيق ذلك .

ان هدف تنظيم السنة العالمية للشبيبة هو لفت انتباه الرأي العام الى وضع الشبيبة وقضاياها ومصاعبها، سواء المرتبطة منها بالمستوى العام المنخفض للتطور الاقتصادي كما هو الحال في الكثير من دول " العالم الثالث " ، او بمساوئ النظام الاجتماعي كما هو الوضع في البلدان الرأسمالية الصناعية، وكذلك ضمان الحقوق الحيوية للشباب في كل مكان تبقى فيه الى هذا الحد او ذاك حبرا على ورق وتنتهك او تقمع .

ان قضايا الجيل الفتى في غاية التنوع، ولكن اهمها من دون ريب التعليم وتطبيق الحق في العمل ، وهذا ما يحدد بالدرجة الاساسية موقفه من الواقع المحيط و" سلوكه " الاجتماعي. وان العرض الاعلامي المنشور ادناه حول ظروف انخراط الشباب في الحياة المستقلة يستند الى مطبات الأمم المتحدة والمنظمات الحكومية وغير الحكومية الدولية وصحف مختلف البلدان .

يعتبر خبراء الأمم المتحدة عادة أولئك الذين تقع اعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة

والعشرين هم الشباب من سكان العالم (١) . وقد ناهز عددهم في مطلع العقد الحالي ٨٦٠ مليون إنسان (حوالي ٢٠ في المئة من مجمل سكان العالم) ، حيث ازداد في خلال الربع الاخير من القرن بمقدار ٣٤٥ مليون نسمة تقريبا . ويعيش اكثر من ثلاثة ارباع الشباب في البلدان النامية . وبمعدل عددهم في بداية التسعينات من هذا القرن الى مليار نسمة .

والشباب بمعنى من المعاني هم مستقبل البشرية القريب . فبعد ١٠ او ٢٠ سنة سيشكل شباب بنات اليوم الفئة الاكثر كفاءة من حيث المبدأ التي تحدد "سيما" سكان اي بلد . فكيف يلج هؤلاء من الرشد ؟ يتوقف الجواب الى حد كبير على تحصيلهم العلمي ، الامر الذي يحدده برامج واهداف وامكانيات النظام الاجتماعي المعين .

الحقوق والواجب

=====

نص الإعلان العام لحقوق الانسان (٢) على حق كل فرد في التعليم (المادة ٢٦) ، مشيراً الى ان الرحلتين الابتدائية والاساسية في اقل تقدير ينبغي ان تكونا مجانييتين واولاهما الزامية ايضا . كما ينبغي ان يكون التعليم التقني والمهني في متناول الجميع (وفقاً لمواهب كل فرد) ، ولكن لا تطبق هذه المبادئ العامة في كل مكان . لن نتطرق هنا الى البلدان النامية ، حيث الكثير من المضلات ومواطن الضعف في وضع التعليم تنجم ، اولاً ، عن المصاعب الهائلة ذات طابع اقتصادي - اجتماعي ، وثانياً ، كما اشارت منظمة اليونسكو بحق . عن " التأثير المستمر النظم الموروثة عن مرحلة الاستعمار " (٣) . بل سنتطرق الى الدول المتطورة اقتصادياً في الملحق المتعارضين - الاشتراكي والرأسمالي (٤) .

في المجتمع الاشتراكي تتوفر، للحق في التعليم ، جميع الشروط المادية والاقتصادية والسياسية الضرورية بصورة كاملة . فالتعليم المتوسط العام ، وانعدام اي نوع من التمييز لدى القبول في المؤسسات التعليمية الاختصاصية المتوسطة والعالية ، والامكانيات الواسعة للدراسة بالمراسلة لطلاب مجانية جميع مراحل الدراسة ، بل واكثر من ذلك تقديم المنح المالية للغالبية الساحقة من الطلاب الناجحين ، والاستخدام المجاني للكتب المدرسية والتعريفات المخفضة للتنقل في مختلف انحاء النقل العام ، وتأمين المساكن للطلاب من المدن الاخرى لقاء اجر رمزي - كل ذلك اصبح في النظم الاشتراكية امراً طبيعياً وبديهياً تماماً .

تتضمن دساتير العديد من البلدان الرأسمالية على الحق في التعليم . ولكن بفعل عوامل اقتصادية وادارية - قانونية واجتماعية - نفسية وغيرها تصبح الاستفادة من هذا الحق حكراً على فئات ونسب متفاوتة .

وتتبدى هشاشة " المساواة في الفرص " البرجوازية المزعومة بصورة خاصة عندما يحرق الحديث عن التعليم العالي . وينجم ذلك ، بالدرجة الاولى ، عن تكاليف التعليم الباهظة . ففي الكثير من الجامعات والمعاهد الامريكية تصل الى ٨ - ٩ الاف دولار في المتوسط سنويا ، واحيانا اكثر من ذلك . . . ففي جامعة بريستون ، مثلا ، تزيد تكاليف السنة الدراسية عن ١٠ الاف دولار . مع العلم ان تكليف التعليم العالي ترتفع باستمرار . وتشير التقديرات الرسمية انها سترتفع في السنة الدراسية ١٩٨٤ - ١٩٨٥ بما لا يقل عن ٨ في المئة . وفي بريطانيا تنوى حكومة المحافظين رفع الرسوم السنوية للدراسة في الجامعات الى ١٢ الف جنيه استرليني .

ويلاحظ ميل مشابه في عدد من الدول الرأسمالية الاخرى . ولذا من المفهوم لماذا تبقى نسبة ابناء الشغيلة في عدد الطلاب الاجمالي اوطأ بكثير من نسبة الفئات الكادحة الى مجمل السكان . ففي المانيا الاتحادية ، مثلا ، لا يشكل ابناء العمال والفلاحين اكثر من ١٥ في المئة من طلاب المدارس العليا (في حين تبلغ نسبتهم بين طلاب جمهورية المانيا الديمقراطية ٦٠ في المئة) . وفي فرنسا ، حيث تزيد نسبة العمال على ٤٠ في المئة من مجمل السكان القادرين على العمل لا تتجاوز نسبة ابنائهم الذين بدأوا دراستهم الجامعية ١٢ في المئة من مجموع الطلاب عام ١٩٨٤ . اما نسبة ابناء الفئات الكادحة بين الطلاب في السويد وايطاليا واليابان فاطوا من ذلك .

والسمة المميزة لانظمة التعليم في العديد من الدول الرأسمالية وجود مؤسست تعليمية " نخبية " . فالمدرسة الادارية الوطنية في فرنسا والمدارس " الشعبية " (الخاصة) وبعض الكليات في بريطانيا والجامعات الخاصة في الولايات المتحدة - كل هذه المؤسسات موصدة الابواب عمليا في وجه ممثلي الفقراء وحتى الفئات الوسطى من السكان احيانا . وهذه المؤسسات التي تند الكوادر بصورة اساسية للمراتب العليا في ادارة الدولة والاقتصاد ، تشكل احدى الوسائل الهامة للحفاظ على سيطرة البرجوازية .

في الكثير من البلدان الرأسمالية يحصل الطلاب اليوم على منح حكومية وغير حكومية (من الموارد الخاصة للمؤسسات التعليمية ، من بعض الارصدة العلمية والمؤسسات الكبرى والجمعيات الخيرية وغيرها) . ولكنها ، اولا ليست في متناول الجميع على الاطلاق (ففي سويسرا تبلغ نسبة الذين يحصلون على منح دراسية ٢٥ في المئة فقط من الطلاب ، وفي فرنسا ١٧ في المئة ، وفي النمسا ١٤ في المئة ، وفي الولايات المتحدة ١٣ في المئة ، وفي بلجيكا والنرويج ١٠ في المئة ، الخ) وثانيا ، غالبا ، ما تأخذ المنح شكل قروض يتوجب تسديدها جزئيا او حتى كليا .

وهكذا هو الوضع تماما في الولايات المتحدة مثلا ، حيث يتوجب على الطالب تسديد المنحة في خلال عشرة اعوام بعد انتهائه من الدراسة . وهاكم مثلا آخر . في المانيا الاتحادية يسرى منذ عام ١٩٧١ قانون فيدرالي لتعزيز التعليم يحصل بموجبه حوالي ربع الطلاب على منح . ويتوجب

على الخروج اعادة ٢٢ في المئة تقريبا من مجموع المبلغ الذي حصل عليه في اثناء سنوات الدراسة الى الدولة في خلال فترة معينة. ولكن حكومة السيد كول قررت ان ذلك لا يكفي . وابتداء من العام الدراسي ١٩٨٣ - ١٩٨٤ اقرت قاعدة جديدة تقضي باستديد المبلغ بكامله. فهل ثمة حاجة لقول ان انظمة من هذا النوع تجعل التعليم العالي صعب المنال بالنسبة للكثير من الشباب ؟

وبشاك التمييز الاجتماعي مع التمييز القومي والعنصري . وتقدم الولايات المتحدة نموذجا "للاسكيا" في هذا المجال ، حيث يذهب اكثر من ٧٠٠ في المئة من الاطفال الى مدارس منقسمة على اساس عنصري ويشكل الطلاب الزوج وفقا لمعطيات جامعة لوس انجلس، نسبة ٧ - ٨ في المئة ينظم مجموع الطلاب ، اي اقل بثلاث مرات من نسبة السكان الزوج الى مجموع السكان .

وهذا امر مستحيل في الدول الاشتراكية ، حيث تضمن الدساتير المساواة التامة بين المواطنين في هذا الميدان ، كما في الميادين الاخرى . ويتسم بوضوح خاص مثال الاتحاد السوفيتي ذي القويات العديدة . ففي مؤسساته التعليمية العليا يتمثل اكثر من مئة امة وقومية . وتتفوق الجمهورية على العديد من البلدان الرأسمالية المتطورة من حيث نسبة الطلاب في كل عشرة الاف نسمة من السكان . فاذا كان هذا المؤشر في طاجكستان ١٣٧ طالبا ، وفي قبرغيزيا - ١٥٥ طالبا وفي اوزبكستان - ١٦٩ طالبا ، فانه في ايطاليا - ١٢٢ طالبا وفي المانيا الاتحادية - ١٠٦ طالب وفي بريطانيا - ٩٨ طالبا .

وهذه ليست سوى غيض من فيض من الحقائق التي تميز الفوارق الجوهرية في حالة التعليم في الاشتراكية والرأسمالية .

وبالاستناد الى المعطيات الموضوعية لنا كامل الحق في الحديث عن وجود ازمة في الكثير من "الديموقراطيات" البرجوازية ادت ، ليس الى انتشار واسع للامية فحسب (٥) ، بل الى عاهات للافية لدى الكثير من الشباب . وهذه الازمة هي احدى مظاهر الازمة العامة للرأسمالية ، وتتفاقم مكلات المدرسة في الاقطار التي وصلت فيها الى السلطة في السنوات الاخيرة قوى يمينية مكشوفة . قد شنت هذه القوى الهجوم على المصالح الحيوية للجماهير ، وذلك باتباع سياسة التفكير الامناعي التي تجلت على وجه الخصوص في تقليص المخصصات الحكومية للتعليم .

في هذا السياق تبرز بوضوح اكبر عمليات تطور المدرسة في العالم الاشتراكي ، التي يكمن جوهرها في رفع نوعية التعليم وتعميق الصلة بين مختلف درجاته ومهام التطوير الشامل للفرد اذ منتهى منجزات التعليم والتقنية وحاجات الاقتصاد الوطني . والدلائل الاخيرة على ذلك ازمات الواسعة التي اتخذت من اجل تطوير التعليم المتوسط والمهني - التقني في جمهورية

المانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا ، والبدهء باصلاح المدرسة التعليمية العامة والمهنية في الانحاء
السوفييتية (٦) .

بهجة البناء ام مأساة البطالة

=====

ان المدرسة والتحصيل العلمي مرحلة ضرورية لاعداد الشباب لولوج حياة العمل المستقلة ،
وشرط هام لتكاملهم الاشتراكي . ولكن ، كما يبدو مما سبق ، لا يمكن توفير هذا الشرط بصورة كافية
الا في ظل الاشتراكية . فاذا كان عدد الاطفال بين سن السادسة والحادية عشرة ممن حرمان
امكانية الذهاب الى المدرسة في عام ١٩٨٠ بلغ ، وفقا لمعطيات اليونسكو ، ١٢٣ مليوناً تقريباً (٧)
(وقد ازداد هذا الرقم في السنوات الاخيرة من دون شك) ، فمن الواضح ان ذلك يؤدي الى
تزايد الامية التي تقاوم المأساة الاجتماعية المتمثلة في البطالة الجماعية للشباب في العالم
الرأسمالي .

نسبة الشباب في العدد الاجمالي للعاطلين عن العمل في عام ١٩٨٠ .

الدولة	النسبة المئوية	الدولة	النسبة المئوية
تايلاند	٧٣ر٩	سوريا	٦٩ر٩
الهند	٦٧ر٢	باربادوس	٦٦ر٢
ايطاليا	٦٢ر٤	غانا	٦٠ر٤
فنزويلا	٥٨ر٢	سنغافورة	٥٨ر٠
اسبانيا	٥٧ر٥	استراليا	٥٥ر٩
الفلبين	٥٤ر٩	تركيا	٤٨ر٦
كوريا الجنوبية	٤٨ر٦	البرتغال	٤٧ر٤
كندا	٤٧ر١	اسرائيل	٤٦ر٦
الولايات المتحدة	٤٥ر٧	هولندا	٤٤ر٧
السويد	٤٢ر٤	بريطانيا	٤٢ر٢
فرنسا	٤٢ر١	بلجيكا	٣٨ر٠
النرويج	٣٥ر٩	فنلندا	٣٣ر٩
الدانيمارك	٢٧ر٩	المانيا الاتحادية	٢٧ر٣
سويسرا	٢٣ر٥	اليابان	٢١ر٩

لا تعكس هذه الأرقام الفرص الضائعة حسب ، بل واليأس وانعدام الثقة وخيبة الأمل . وتنتشر كلمات مثل " البطالة " و " العمل بعض الوقت " و " الشعور بالقلق " و " انعدام الحماية " وحتى " البقاء " اوسع انتشار في حياة الشبيبة في العالم الرأسمالي اليوم . ولاسيب مفهومة تأخذ البطالة في البلدان النامية ابعادا واسعة بصورة خاصة اليوم . وقد بلغ عدد عاطلين عن العمل في " العالم الثالث " في عام ١٩٨٠ ، وفقا لمعطيات منظمة العمل الدولية ، حوالي ٢٠٠ مليون نسمة ، يشكل الشباب في المتوسط ٦٠ في المئة منهم اي ١٢٠ مليونا (٨) .

لقد كانت البطالة بين الشباب دائما أعلى مما هي عليه بين ممثلي فئات السكان الأكبر سنا ، ولكن نموها المتزايد أصبح ملحوظا أكثر في السنوات الأخيرة . ففي الفترة من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٢ ازدادت نسبة العاطلين عن العمل ممن تقع أعمارهم بين ١٥ و ٢٤ سنة في المجموع العام للعاطلين وفقا لمعطيات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية التي تضم ٢٤ دولة رأسمالية صناعية ، من ١٠.٦ الى ٢٣.٢ في المئة في بريطانيا ومن ٣.٤ الى ١٠.٨ في ألمانيا الاتحادية ومن ١٣.٣ الى ٢١ في المئة في فرنسا . واخذت قضية البطالة طابعا حاد بين شبيبة الولايات المتحدة أيضا ، حيث ارتفعت نسبة البطالة بين الشباب البيض من ١٥ الى ٢٢ في المئة ، وكان الوضع أكثر مأساوية بين الشباب السود ، حيث ارتفعت نسبة البطالة من ٣٨ الى ٤٤ في المئة . وفي كندا يتسكع حوالي خمس الشبان والشابات على أبواب بورصة العمل والشركات . وفي إيطاليا يفتش ١.٢ مليون شاب دينا جدوى عن أول عمل في حياتهم — .

ويقترن مؤثر البطالة المتصاعد بصورة تلقائية بتدهور ظروف العمل للذين يبدأون حياتهم العملية ، إذ تعرض عليهم بصورة أساسية أعمال عرضية لا تتطلب مهارة ، هي عادة أعمال مؤقتة ، موسمية أو ليلية . ومن هنا الميل لاطالة فترة عدم الاستقرار الاجتماعي فالكثير من الطلاب على وجه الخصوص تضطربهم البطالة للقبول بأى عمل ، وحتى التوقف عن الدراسة بأمل العودة إليها لاحقا وبالتالي ، يجرى تأجيل خطط " الاستقرار " وتأسيس الأسرة .

وبالنسبة لخريجي المؤسّسات التعليمية تصبح حالة عدم الاستقرار الناجمة عن انعدام العمل ، في كثير من الحالات مرحلة للتقهقر الاجتماعي . ففي ألمانيا الاتحادية ، مثلا ، بقي خمس خريجي عام ١٩٧٧ عاطلين عن العمل حتى أواسط عام ١٩٨٤ . وفي فرنسا لا تتوفر الفرصة للثلاثين من أصل مئة من حاملي الدبلوم للحصول على عمل وفقا لتخصصهم . كما أن الاضطراب للتوقف عن العمل فترة طويلة هو أيضا مصير الاختصاصيين الأمريكيين ذوي التعليم العالي . وفي النمسا لم تتوفر العليا . وفي عام ١٩٨٢ الا ٢٠٠ فرصة عمل لكل ١٦٠٠ شخص من خريجي المؤسّسات التعليمية التربوية العليا . وفي اسبانيا تسمى الجامعات " مصانع العاطلين عن العمل " ، إذ بقي ٨٠ في المئة من حملة الشهادات العليا الشباب دونما عمل عام ١٩٨٣ .

يصعب تصور مثل هذه اللوحة في البلدان الاشتراكية . فتخطيط التنمية الاقتصادية —

الاجتماعية بوء من للشباب الذين انهوا المؤهلات الاختصاصية المتوسطة والتعليمية العليا ، العمل وفقا لاختصاصهم وكفاءاتهم . وهكذا ففي الخطة الخمسية الحادية عشرة التي تنتهي في هذا العام سوف يتم اعداد حوالي ١٠ ملايين اختصاصي من ذوى التعليم العالي والمتوسط في الاتحاد السوفييتي وسوف يحصلون كلهم عمليا في نهاية دراستهم على العمل وفقا لاختصاصهم . والوضع مشابه في البلدان الاشتراكية الاخرى . فالجيل الفتى هو المصدر الرئيسي لتزويد اقتصاداتها الوطنية بالكوادر العالية الكفاءة . وينحصر الملايين من شبان وشابات هذه البلدان كل عام في الحياة العملية دون ان يعرفوا مأساة الناس " الفائضين " في العالم غير الاشتراكي (٩) .

وتستمر هذه المأساة ليس اياما واسابيع بل اشهرا وسنوات . وبعد ان كان مصطلح البطالة " الطويلة " المستخدم في الاحصاء البرجوازي يعني ما لا يقل عن سنة اشهر ، فانه يعني اليوم ما لا يقل عن سنة (١٠) . وقد علقت صحيفة " لوموند " الفرنسية على التقرير الاخير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية حول افاق التشغيل المنشور في ايلول (سبتمبر) ١٩٨٤ ، قائلة : غدت بطالة الشباب في جميع البلدان الرأسمالية تقريبا مشكلة كبيرة للغاية " (١١) . ففي نصف الدول الاعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية البالغ عددها ٢٤ دولة (الولايات المتحدة ، اليابان ، المانيا الاتحادية ، فرنسا ، بريطانيا ، ايطاليا ، كندا ، استراليا ، فنلندا ، النرويج ، اسبانيا والسويد) بلغ عدد الشباب الباحثين عن عمل ١٠ر٢٥ مليون شاب في عام ١٩٨٤ (حوالي ١٢ في المئة من مجمل عدد السكان القادرين على العمل في سن دون الخامسة والعشرين) . وتناهي شبيهة البلدان الاوروبية العربية الاربعة الكبرى — بريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا الاتحادية — بحدة خاصة امراض البطالة ، حيث ارتفع عدد العاطلين عن العمل من الشبان والشابات من ٢ر٤ مليون في عام ١٩٧٩ الى ٤ ملايين عام ١٩٨٣ والى ما يقارب الـ ٥ر٤ مليون عام ١٩٨٤ (١٢) .

ولا يتوقع ان يكون الغد اكثر اشراقا . فعدد العاطلين عن العمل في البلدان الرأسمالية الصناعية عموما سيزداد في عام ١٩٨٥ ، وفقا لتوقعات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، بمقدار نصف مليون كحد ادنى ، وسيصل الى ٣١ر٥ مليون ، سيشكل الشباب ، كما هي الحال اليوم ، قسما كبيرا منهم .

فما هي عواقب " عدم الاستقرار " الاجتماعي للجيل الفتى في العالم غير الاشتراكي ؟ ان العمل ليس ضروريا لتأمين مستلزمات المعيشة فقط . فالعمل النافع يرتدى اهمية عظيمة بالنسبة لـ " الصحة " النفسية ، ولادراك الشباب لحقيقة انفسهم كجزء مكون وكامل الحقوق من المجتمع . وعندما تقضي حقائق الحياة على محاولات تأمين المستقبل ، عندما يسد طريق التعليم والمهنة والعمل والسكن والترفيه ، عندها ينقلب التفاؤل المميز للشباب الى مشاعر السخط العميق وعدم الرضى واللامبالاة . فالبينة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية غير الملائمة ، والفقر ، وانهباء الامل في التعليم ، والبطالة ، وظروف السكن الصعبة وغيرها — كلها تؤدى الى تفشي الجريمة بين

الشباب . وانتشار البغاء ، وادمان المخدرات ، والانتحار كمرحلة اخيرة من الاشكال الاخرى للهروب من الواقع الكئيب .

يبني ، بالطبع ، ان لا نعتبر هذه الظواهر دليلا على يأس الشبيبة المعاصرة بمجملها وليستها الاجتماعية والسياسية . فالقسم الاكبر منها يشارك في الحياة الاجتماعية بنشاط ، ويبدى نبيا واضحا لحاجات التطور الاجتماعي وضرورة النضال في سبيل حقوقه ، ومن اجل التحولات التقدمية وتوطيد السلام والامن الدولي .

القضية الرئيسية بالنسبة للجميع

=====

ان قضايا التعليم والتأهيل المهني والتشغيل وغيرها من المسائل ذات الطابع الاجتماعي والسياسي ، التي تتعلق باوضاع الشباب في العالم المعاصر والتي جرى الحديث عنها ، هي قضايا نحي ، بالطبع ، المجتمع كله . ولكنها تلمس بشكل مباشر وبدرجة اكبر حاجات وحقوق الجيل الفتى بالذات ، ومن الطبيعي ان يتصاعد نشاطه للنضال في سبيل مصالحه . وفي هذا المجال ينتشر بين الشباب على نطاق متزايد فهم الصلة التي لا تنفصم بين امكانات تحسين وضعهم واضفاء محن واقعي على حقوقهم وتأمين الثقة الاجتماعية ، وضرورة ازالة خطر الحرب الناجم عن الامبرالية والدفاع عن السلام على الارض وتوطيده كشرط اساسي للتقدم الاجتماعي .

ان التحركات ضد خطر الحرب النووية وسباق التسلح الذي تصعده وتسعره الامبرالية ، وبغية مواجهة سياستها العدوانية هي الاتجاه الرئيسي لحركة الشبيبة الديمقراطية . وتولي شبيبة العالم التقدمية ومنظماتها الوطنية والدولية كذلك اهتماما كبيرا لمختلف اعمال التضامن مع جميع النضالين ضد كل اشكال الاضطهاد والتمييز ، وفي سبيل الحقوق الديمقراطية الفعلية والتحرر الوطني والاجتماعي .

ان تعداد هذه الاعمال ، وحتى الاساسية منها فقط الجارية في مختلف بلدان العالم سيغفل جزءا واسعا للغاية . لذا سنكتفي بذكر بعض الحملات التي قامت بها منظماتنا - اتحاد الطلاب العالميين .

في ميدان النشاط المناهض للحرب : حملة " الطلاب في سبيل السلام وضد الحرب النووية " . ولا تضمنت رسالة الدورة الخاصة حول هذه المسألة ، التي جرت في اثناء المؤتمر الرابع عشر لاتحاد الطلاب العالمي (نيسان - ابريل ١٩٨٤) نداء الى طلاب العالم اجمع لمواجهة خطر

الابادة النووية بحزم وايقاف الذين يتلاعبون بمصائر البشرية عند حدهم ، وخوض نضال شيطاني
اجل تقليص التسليح النووي وحظره .

في ميدان التضامن : تطوير مختلف اشكال دعم نضال الشعوب والطلاب ضد الامبريالية
والاستعمار بشكله القديم والجديد والفاشية والصهيونية والفصل العنصري والرجعية . ومنها ارسال
الفرق الطلابية الطبية وفرق البناء والمعلمين الى مختلف البلدان لمساعدة عمليات التحرير
الوطني والاجتماعي ، وجمع الموارد لمساعدة منظمات الشباب الوطنية التقدمية وما شابه .

في ميدان النضال من اجل اشاعة الديمقراطية في التعليم وفي سبيل حقوق الطلاب : الحملة
التي جرت تحت شعار " التعليم - حق وليس امتيازاً " ، والهادفة الى تحقيق تمويل افضل
للمؤسسات التعليمية وجعل التعليم العالي اسهل منالا وتأمين الظروف المثلى للانتقال من
الدراسة الى العمل الخ .

ان اتجاهات الحركة الطلابية التقدمية هذه تتفق بالكامل مع مطامح الشبيبة الديمقراطية في
العالم كله . وهي تستجيب للاهداف السامية ، اهداف تشترط السلام والتضامن واحترام حقوق
الانسان الاساسية وحرياته وتوفير ظروف افضل للتعليم والعمل والحيافوضمان مشاركة الجيل الفني
النشيطة في نشاط المجتمع بمجمله .

ينبغي ان يساهم عام الشبيبة العالمي ، كما اشرنا ، في وضع حل قضايا الشبيبة في مركز اهتمام
الهيئات الحكومية والمنظمات الاقليمية والدولية المختصة . ويتطلب ذلك تنشيط تحركات الاواط
الاجتماعية الواسعة دفاعا عن حقوق الجيل الفني ومصالحه . ومن الطبيعي ان الشباب انفسهم لا
يمكن ان يقفوا ، وهم لا يقفون ، جانبا . فنشاطهم السياسي يتصاعد . فالتضامن المناهض
لالامبريالية والسلام والصداقة - تلکم هي شعارات الشباب اليوم ، وسوف يكون المهرجان العالمي
الثاني عشر للشباب والطلاب الذي سيجرى في تموز (يوليو) - آب (اغسطس) من العام الحالي
في موسكو مساهمة كبيرة منهم في النضال ضد الخطر النووي وانتهاك القوى الامبريالية لحرية
الشعوب واستقلالها ، وفي قضية تعزيز التفاهم المتبادل والتعاون .

المراجع :

عن قضايا السلم والاشتراكية ،

(١) ان هذه الاطراف افتراضية للغاية بالطبع . ففي الكثير من بلدان " العالم الثالث " لا يمكن اعتبار
النازحين من المناطق الريفية الى المدن بحثا عن العمل والخبز ، ممن تقع اعمارهم بين
الحادية عشرة والرابعة عشرة اطفالا من وجوه عديدة . ومن الجهة الاخرى ، فان الذين انهبوا
التعليم العالي ولكنهم ما زالوا غير مستقلين عن الوالدين بسبب البطالة وتقع اعمارهم بين
٣٠ - ٣٥ سنة يصعب من الناحية الاقتصادية - الاجتماعية اعتبارهم قد خرجوا من فئة

"الشباب". ونتيجة لذلك فإن مدة مرحلة الانتقال من الطفولة الى سن الرشد والتي تسمى "الفتوة"، تختلف من مجتمع الى آخر، وحتى داخل المجتمع الواحد، اذا اخذ في الاعتبار الانتماء الاجتماعي والجنس. ومع ذلك يمكن القول ان الفتوة في جميع البلدان هي مرحلة الاعداد للمشاركة المستقلة في حياة المجتمع.

(١) اقترحه الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨.

(٢) DOC.22C/4,P.3

(٣) سطر في اطار هذا العرض الموجز الى الاختصار على بعض الوقائع فقط.

(٤) يبلغ عدد الاميين في كل من بريطانيا وفرنسا مليوني امي وفي ايطاليا - ١١ مليونا وفي الولايات المتحدة اكثر من ٢٥ مليون امي. وتشير معطيات وزارة التعليم في هذا البلد الرأسمالي الاكبر والاغنى في العالم الى ان حوالي ثلث الامريكيين الذين في سن السابعة عشرة لا يحوزون على تعليم متوسط ويعاني اكثر من ٧٠ مليون من الناس الراشدين مصاعب حدية بسبب الامية الوظيفية". ووفقا لاعتراف ريغان في شباط (فبراير) ١٩٨٤ فان اكثر من ١٠ في المئة من مجمل الامريكيين الذين في سن السابعة عشرة اميون عمليا وتنخفض نوعية علمي المدارس باستمرار. ويبين تحليل مستوى التعليم في الولايات المتحدة ان الامية و "الامية الوظيفية" تنتشران بصورة اساسية بين فئات السكان الفقيرة. ويبلغ مؤشر الامية بين الزوج ٤٤ في المئة، وبين المهاجرين من بلدان امريكا اللاتينية - ٥٦ في المئة. وحتى وزير التعليم اضطر للاعتراف بان الامية الجماعية في الولايات المتحدة تحولت الى قضية وطنية عامة تتفاقم من عام لعام.

(٥) تجدر الإشارة هنا الى ان الامية التي كانت جماعية في الاتحاد السوفيتي الى حين ظهور اول دولة اشتراكية في العالم، صفت نهائيا في اواسط الثلاثينات.

(٦) DOC.22 C/4,P.3

(٧) Youth in the 1980th. UNESCO. lausanne, 1981, P.279

(٨) من الملفت للنظر ان فكرة حتمية البطالة تأصلت في وعي شببية البلدان الرأسمالية، بحيث انه يصعب احيانا حتى على الشباب الطليعيين سياسيا تصور امكان وضع آخر. فقد رويت الحادثة التالية في اثناء انعقاد المجلس الوطني لحركة الشبية الفرنسية (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٤): في اثناء لقاء بين مجموعة من اعضاء الحركة واحد القادة المجريين قال هذا الاخير ان لا وجود للبطالة في بلاده وعلى الاخص بين الشباب، فلم يصدق الحاضرون.

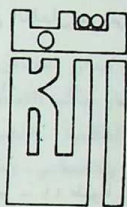
(٩) (راجع: LAUMANITE, 11 Octobre 1984

(١٠) تشير معطيات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الى نسبة العاطلين عن العمل لمدة تزيد على عام وصلت في عام ١٩٨٣ الى ١٣ في المئة من مجمل عدد العاطلين في امريكا الشمالية و ٤٠ في المئة في اوربا الغربية مقابل ٤ ر ٢٧ في المئة عام ١٩٧٩.

(١١) Lemond, 90 Octobre 1984, P.59

The Economist, June, 9, 1984,

المراة العاملة في خضم الصراع الوطني والطبقي



كانت هيئة تحرير الكاتب، قد توجهت بدعوة لعدد من ممثلات ونشيطات المنظمات النسائية وبعض المهتمات بوضع المرأة الفلسطينية في المناطق المحتلة من اجل عقد ندوة فكرية تعالج وضع المرأة ومؤسساتها الجماهيرية وتضمنت الدعوة مجموعة من الاسئلة ... مدار البحث، غير ان اسبابا لا تتعلق بالمجلة حالت دون عقدها، كما ان هيئة التحرير تسلمت ردين على اسئلتها من امال خريشة رئيسة اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ود . كاشي جلافانس المحاضرة في دائرة علم الاجتماع بجامعة بيرزيت .

الكاتب

السيدة آمال خريشة

=====

لقد شهدت البنية الاجتماعية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة تغيرات أساسية خلال الثمانية عشر عاما من الاحتلال الصهيوني لهما . وذلك نتيجة لسياسة الالحاق الاقتصادي التي ينفجها الاحتلال الصهيوني ، وما ترتب عليها من عمليات مصادرة الاراضي واقامة المستوطنات ، ومنع عمليات الاستيراد والتصدير وتحويلها الى سوق استهلاكية لمنتجاته الزراعية والصناعية الخفيفة ، مما ادى الى تدمير الزراعة والصناعة الوطنية ، بالاضافة الى سياسته العدوانية والتوسعية التي ادت الى عسكرة الاقتصاد مما ضاعف نسبة غلاء المعيشة مئات المرات منذ عام ١٩٦٧ ، الامر الذي تعذر على شعبنا العيش معه دون ايجاد فرص للعمل والتي كانت متوفرة لدى المحتلين ،

واستوعبت عشرات الآلاف من الأيدي العاملة العربية الرخيصة، لذا فإن أبرز هذه التغيرات هي اتساع حجم ونقل الطبقة العاملة الفلسطينية التي أصبحت القوة الاجتماعية الأساسية، وانعكس هذا من خلال الدور البارز لطليعتها السياسية في عملية التصدي لكافة المشاريع التصفية والولاء المبدئي لهدف الاستقلال الوطني، وفي تنظيم العمال في الحركة النقابية والدفاع عن حقوقهم، ولم تكن المرأة الفلسطينية بالطبع بمعزل عن هذه التطورات، فاندفعت للعمل المنتج وإلى ميدان العمل بشكل عام، بكم هائل نتيجة لهذا الوضع ولعوامل عديدة مرتبطة بها أبرزها اعتقال الأزواج والأبناء وبالتالي تحملها مسؤولية إعالة العائلة، فبلغت الزيادة في عدد النساء العاملات في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٦٧ إلى ١١٩:١٩٧٨ ٪. باستثناء العاملات في الزراعة، وتبلغ نسبة العاملات إلى مجموع القوة العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة ٣٠ ٪ عام ١٩٨٤، في دراسة أجراها مركز الكتلة التقدمية العمالية .

وانعكس هذا الكم على الدور الاجتماعي للمرأة، مما دفعها إلى مواجهة اضطهادها الطبقي باثرة وإلى تنامي دورها في عملية النضال الوطني، فاحتلت موقعها الطبيعي في صفوف جيش العمال والشبيبة، وخاضت معهم النضالات المطلوبة على قدم وساق، وبرزت في إضراب عاملات مصنع "ناكو" للورق عام ١٩٧٦ في رام الله، وفي إضراب معلمي الحكومة والوكالة عام ١٩٨١ / ١٩٨٢ وفي إضراب مصنع رانية للبسكويت عام ٨٢/٨٣ في رام الله، ومخيلة أزياء باريس في رام الله عام ١٩٨١، وإضراب عاملات النسيج في مصنع "روبتكس" في الخان الأحمر عام ١٩٨٣، وفي إضراب عاملات شركة الراعي للنسيج في بيت ساحور عام ١٩٨٥ . وتبوءت مراكز قيادية في الحركة النقابية، كقيادة الخياطة والنسيج في كل من نابلس وبيت لحم ورام الله، والمؤسسات العامة في رام الله وبيت لحم وفي مجلس الاتحاد العام للنقابات .

أن هذا الواقع قد دفع المرأة لتجاوز حدود الأطر النسائية التقليدية ذات الطابع الخيري كجميعات الخيرية التي كانت موجودة منذ العهد الأردني والتي لم تعد تلي حاجات وطموحات المرأة العاملة التي وجدت في الحركة النقابية، ما يعبر عن مصالحها الطبقية. فشكلت لجان امرأة عمالية داخل النقابات التي تقودها الكتلة التقدمية، وتطور عمل هذه اللجان فعدت عام ١٩٨١ انشاعاً موسعاً شكل على أثره اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية، وهو منظمة نسائية فلسطينية ديموقراطية، تهدف إلى تحرير النساء الفلسطينيات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وفتح أبوابه لبعض إلى جانب العاملات، ربات البيوت، والطلابات .

ساهم الاتحاد وبشكل فعال رغم حداثة تشكيله في إرساء تقاليد عمل تقدمية في مسار الحركة النسائية الفلسطينية تجسد هذا في ترسيخ العبرة الكفاحية للثامن من آذار وإعطائه طابعاً شعبياً لدى قطاعات واسعة من نساءنا، وفي فهم العلاقة الجدلية بين التحرر السياسي والاجتماعي، إذ لم تعد المشاركة في النضال الوطني مقصورة على فئة الطالبات والمنظمات السياسية، بل امتد

ليشمل قطاعات واسعة من ربات البيوت والعاملات وبرز هذا واضحا في انتفاضة آذار اثر اقالة المجالس البلدية اثناء التصدى لمشروع الادارة المدنية عام ١٩٨٢ ، وفي مشاركة المرأة الواسعة في لجان الدفاع عن المعتقلين ولجان الدفاع عن المخيمات . . . وفي انخراطها الواسع للتمرد لاتفاق عمان المشين وكافة الخطوات السياسية التي نهجها النظام الاردني بهدف تصفية قضيتنا الوطنية ، فأقيم العديد من المؤتمرات والمحاضرات واصدرت بيانات نسائية ووقعت الاالي من نساءنا على عرائض تعكس موقفها الرافض لهذه الخطوات التصفوية .

س : هل ترون ان توحيد الحركة النسوية مسألة ضرورية وما هي اقتراحاتكم لذلك ؟

ان توحيد الحركة النسائية قد بات ضروريا انطلاقا من خصوصية وضع المرأة من ناحية، والتطورات والمستجدات على الساحة الفلسطينية وما يجري من عملية فرز في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية من ناحية اخرى ، واننا في اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية نرى انه من الخطأ ان يتم تفصيل اجندة نسائية ونقابية لكل تنظيم سياسي ، وعلى اخواتنا في الاطر النسائية المختلفة ان يتطلعن الى هذا الموضوع بمزيد من الجدية والحرص وان يكون التوجه جادا للوحدة الحركة النسائية على اسس وطنية واجتماعية تقدمية تعبر عن مصالح نساءنا الحقيقية .

لقد كان هناك تنسيق بين الاطر النسائية على قضايا عامة لم تمس القضايا الاجتماعية لنساءنا بشكل حقيقي ولم يساعد التنسيق للاسف في ان يكون قاعدة متينة لتطوير العلاقة باتجاه الوحدة نحن في اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية ومن منظار روءيتنا لخطورة المرحلة نعمل ونأمل ان تتحقق هذه الامنية العزيزة .

س : ما هي بنظركم خصوصية المرأة في الريف ، وهل تنعكس هذه الخصوصية على برامجكم ؟

لقد لاحظ اتحادنا اثناء نشاطه العام ان هناك عددا من المشاكل الخاصة التي تعاني منها نساءنا في الريف وذلك نتيجة لظروف املتها سياسة الاستعمار ضد شعبنا بدءاً بالاستعمار التركي مروراً بالانجليزى والاحتواء الاردني وانتهاء بالاحتلال الاسرائيلي ومن ابرز سمات وضع المرأة في الريف هي :

- (١) ارتفاع نسبة الأمية .
- (٢) مشاركة المرأة في الاعمال الزراعية الى جانب مهمتها الاساسية في الاسرة كربة بيت .
- (٣) الفقر الشديد وندبي مستوى الخدمات العامة بشكل عام والخدمات الصحية بشكل خاص .
- لذا قامت لجاننا بعمل فعاليات مختلفة لمساعدة نساءنا في القرية تمثلت في :
 - (١) تأسيس ستة مراكز لمحو الامية .
 - (٢) انشاء ١١ روضة ، وعمل مخيمات صيفية للأطفال في قرى مختلفة لمساعدة نساءنا في العملية التربوية .
 - (٣) تأسيس ٣ عيادات ثابتة وعشرات العيادات المتنقلة بالتنسيق مع اتحاد لجان الاغاثة الطبية .
 - (٤) تنظيم محاضرات صحية وثقافية وعرض افلام هادفة في عدد كبير من القرى لرفع المستوى الثقافي لنساءنا .
 - (٥) تنظيم اعمال تطوعية في مواسم الزيتون والحصاد لمساعدة نساءنا بالتنسيق مع اللجنة العليا للعمل التطوعي .
 - (٦) فتح مراكز للتأهيل المهني والاسعاف الاولى لمساعدة نساءنا في رفع مستواهن المهني ، ومساعدة بعضهن بايجاد فرص للعمل .
 - (٧) تنظيم معارض بأسعار رخيصة في بعض القرى .

س هل هناك تنسيق في النشاطات بين الحركة النقابية وما اهمه ذلك في اعتقادك ؟

لقد حاولنا تشكيل اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية استجابة اصيلة لتطور واقع المرأة الفلسطينية في بلادنا وللحاجات الاساسية والاجتماعية التي افرزها هذا التطور فانفقار الحركة النسائية الفلسطينية لفترة طويلة تمتد الى نهاية السبعينات ، والتعامل مع الحركة النسائية من قبل بعض الأطر الوطنية كواجهة اعلامية ، ومصدق لقراراتها السياسي دون الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية للحركة ، والتعامل مع المرأة الفلسطينية كمراة وعاملة ، ومواطنة فلسطينية ، اذ اعان كبره على اتحادنا في عملية احداث تغيرات نوعية في مسار حركتنا النسائية ، وانما انما مصمون نقدمي اجتماعي ، من حيث تبنيه لقضايا النساء العاملات ورفع شعارات كالمساواة الحقيقية في الاجور ، اجازات امومة وولادة ، وايجاد فرص العمل ، وتحقيق الثامن من اذار والاول من ايار عطل مدفوعة الاجر ، كل هذا في اطار الحركة النقابية ، حيث اننا ندرك اننا لسنا ولن نكون البديل للحركة النقابية بل ان خصوصية الوضع الذي تعيشه نساؤنا دفع باتجاه افرار اتحادنا ليعمل بالتنسيق ، رفيع المستوى بين اتحادنا والكتلة العمالية التقدمية ، وقد استطاع الاتحاد تحقيق انتصارات هائلة في هذا الميدان بالتعاون مع الحركة النقابية وهي :-

- (١) تعبئة العاملات عبر زيارات بيتية وفي مواقع العمل للالتفاف حول الحركة النقابية ممثلة بالاتحاد العام للنقابات والكتلة العمالية التقدمية، وفي هذا المجال ساهمت لجنة المرأة العاملة الفلسطينية في كل من رام الله وبيت لحم وبيت ساحور وأريحا في تشكيل نقابات لعاملات النسيج ونقابة المهن الطبية في بيت لحم، ونقابة التمريض المساعدة في القدس وقد توج الاتحاد هذه الجهود بالتنسيق مع الكتلة العمالية التقدمية بتشكيل اتحاد عمال الملبوسات الجاهزة والنسيج كشكل ارقى في عملية التنظيم النقابي.
- (٢) دفع العاملات لعقد اتفاقيات عمل جماعية تشمل زيادة الاجر وربطه بالدينار واجازات مرضية واعطاء الثامن من اذار والاول من ايار عطل مدفوعة الاجر، وقد تم بمساعدة لجان المرأة العاملة ونقابة الحياطة في نابلس عقد اتفاقية تؤكّد الالتزام بهذه الاجازات.
- (٣) بمبادرة من لجان المرأة العاملة تم تشكيل عشرات اللجان العمالية للعاملات في نابلس وبيت لحم ورام الله وأريحا.
- (٤) نظم الاتحاد ومنذ تأسيسه دورات مهنية لرفع مستوى العاملات الفني في مجال الحياطة والنسيج.
- (٥) نظم الاتحاد دورة نقابية مركزية للكادر النقابي في مقره بالتنسيق مع الكتلة العمالية التقدمية.
- (٦) نظم الاتحاد عشرات المحاضرات والندوات عن اوضاع المرأة العاملة وقانون العمل ومبادئ الحركة النسائية الفلسطينية.
- (٧) الاحتفال بالاول من ايار باقامة مهرجانات ومعارض في اللجان الفرعية.
- (٨) استراع الثامن من اذار عطلة مدفوعة الاجر للمرأة العاملة في مثد مؤسسه عام ١٩٨٢ موسط عددالعاملات فيها خمس عاملات، وفي عام ١٩٨٣ / ١٩٨٤ تم بحفندي مثد وسع وتغير مؤسسه موسط عدد العاملات في كل منها سبع عاملات وفي عام ١٩٨٥ تم بحفندي ث مثد وثلاث وستين مؤسسه، ان هذا الانجاز يبقى سابقه فريدة ومميزه في الحركة النسائية الفلسطينية وهو حدث مميز على صعيد المنطقه.
- (٩) دعم اصراب عاملات النسيج في مصنع روتيكس في الحان الاحمر، واصراب عاملات النسيج في مخبضه ازباء باريس في رام الله. وعاملات النسيج في شركة الراعي في بيت ساحور.
- (١٠) تنظيم مسابقه للابداع الفني والادبي لجمهور العاملات في ١٩٨٥.
- (١١) اعداد دراسه عن اوضاع المرأة الفلسطينية العاملة والمهام المطروحده على الحركة النسائية الفلسطينية.

د. كاثي جلافانس : المحاضرة في دائرة علم الاجتماع بجامعة بيرزيت .

س : ما هي الاسباب السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، التي
دعت الى تأطير الحركة النسوية ؟

ان الاساس لتشكل لجان المرأة داخل المناطق المحتلة كان العوامل والظروف السياسية ،
بالنسبة للتنظيمات الفلسطينية الرئيسية (ما عدا الشيوعيين) كان تركيز العمل الجماهيري
والياسي مع القطاعات المختلفة في الخارج ولم يكن اهتمام بتأطير الحركة الجماهيرية على
الارض الفلسطينية (اي الضفة والقطاع) وايضا فان الحل بالنسبة للقضية الفلسطينية وللجماهير
يأتي من الخارج . وبعد وصول الليكود للسلطة والهجمة من خلال اتفاقيات كامب ديفيد والقوى
العادية وخروج مصر من دائرة الصراع العربي الاسرائيلي جعل امكانية تحقيق حل عادل لقضية الشعب
اللسطيني على اساس دولة فلسطينية وحق تقرير المصير بعيدا الى حد ما . ومن ثم
حان استقالة البلديات التي كانت بمثابة سلطة وطنية محلية لكل مدينة . هذه
الظروف مجتمعة ادت الى الحاجة الماسة والضرورية لوجود مؤسسات ومنظمات جماهيرية وشعبية
تأهله على ايجاد حلول لبعض المشاكل التي يعاني منها الشعب الفلسطيني داخل المناطق المحتلة
وتأطير الجماهير الواسعة سياسيا .

ومن ثم برزت المؤسسات والمنظمات واللجان الجماهيرية كالكتل الطلابية ولجان المرأة
اللسطينية داخل المناطق المحتلة

س : هل ترون ان توحيد الحركة النسوية مسألة ضرورية وما هي
اقتراحاتكم لذلك ؟

بالنسبة لضرورة توحيد لجان المرأة والحركة النسوية بشكل عام في هذه الظروف يبدو من
المستحيل توحيد هذه اللجان ، بالإضافة الى كونها بالنسبة لي قضية غير محببة وغير مطروحة
ولكن من الضروري ان يتم تنسيق واسع بين هذه اللجان وخصوصا في المشاريع التي تقيمها كل
احدة في نفس القرية والمدينة فلو فرضنا ان هناك حضنة تتبع لجنة في احدى القرى فلماذا تقوم

لجنة أخرى بفتح حضنة في نفس القرية، من الممكن ان يتم دمج الحضانتين والاشراف عليها من اللجنتين، وحتى افسر موقعي من وحدة الحركة النسوية ولماذا لا اجبها في هذه الظروف، في الواقع ان لجان المرأة في المناطق المحتلة تعيش اختلافا في البرامج السياسية المطروحة لكل لجنة على حدة ولان القضية السياسية هي العامل المسيطر والاساسي في هذه اللجان مع العديد من المبررات التي تقدم على ان هذه اللجان مستقلة عن الاطر السياسية القائمة.

ولكن ايضا وجود هذه اللجان على اسس سياسية قضية ليست خاطئة ويجب ان يطبق هذا الوضع على نشاطات اللجان بشكل اكبر وواضح وان لا تأخذ دور الجمعيات الخيرية التي تهتم بقضايا بعيدة عن التأطير السياسي الشعبي حيث نرى اهتمام هذه اللجان المستمر في قضايا تقليدية مثل الحضانات والتطريز والخياطة حيث اصبحت هذه النشاطات من ضمن النشاطات الرئيسية داخل اللجان.

ومع ان هذه النشاطات تؤدى الى تكريس الدور التقليدي للمرأة داخل المجتمع العربي، بحيث تقوم المرأة بالعمل الاساسي في تربية الاطفال ورعايتهم كما ان المرأة تبرز كعامل اساسي في الاشراف على دور الحضنة، والاشغال اليدوية كالتطريز وكذلك البازارات والمعارض التي تقام من حين لآخر مما يؤكد قيام المرأة بالدور الاساسي في المسؤولية عن الاعمال الاجتماعية اليدوية والتربوية، ويرأي انه من المفيد اشراك عناصر شبابية ومن الجنس الاخر والذين يحملون توجهات سياسية والفكرية، في هذه النشاطات والاشراف عليها بالإضافة الى لجان المرأة.

وعندما نتحدث هذه اللجان عن ايجاد فرص عمل للنساء تكون القضية الاساسية ايجاد عمل لهن ضمن الدور التقليدي، فالخياطة تمثل السمة البارزة في محاولة ايجاد فرص عمل للنساء الفلسطينيات من قبل هذه اللجان مثلاً.

وتلخيصاً لوجهة نظري يجب ان يكون هناك اعادة نظر للأنماط والمشاريع التي تتناسب مع المبادئ السياسية والفكرية لهذه اللجان، وان يكون هناك تطبيق عملي خلال ممارسة النشاطات لمبادئ وسياسة كل لجنة من خلال تطبيقها على واقع هذه النشاطات فتربية الاطفال تعنى ان تقوم على اساس عدم التفرقة الجنسية من خلال التنسيق في داخل هذه الحضنة يمكن ايضا ان يخلق مساواة ادارية داخل مشروع خياطة او غيره وتطبيق بعض المبادئ التي تدعو اليها هذه اللجان.

س: ما هي المكاسب التي حققتها الحركة النسائية الفلسطينية وهل كان للاطر النسائية المختلفة في المناطق المحتلة دور في ذلك؟

المكاسب التي حققتها الحركة النسائية عمليا ليست جذرية، هناك قضيتين هامتين حققتهما الحركة النسائية وهما :
 أولاً : بروز أهمية النقاش حول المرأة وتعريف المرأة بأنها تتعرض لنوعين من الاضطهاد داخل المجتمع الابوي الفلسطيني، الاضطهاد القومي، والاضطهاد لكونها امرأة داخل مجتمع أبوي، نحتاج لمزيد من التعريف والنقاش داخل اللجان ومزيد من التوعية مع قطاعات نسوية واسعة وايضا وعي هذا الاضطهاد المزدوج من قبل الاطر السياسية واعضاءها، وايضا على لجان المرأة ان تحارب المفهوم الذي تتبناه توجهات داخل الاطر السياسية والذي يقول بأن تحرير المرأة مهمة يمكن تأجيلها الى ما بعد التحرر الوطني لان هذا يتعارض مع الدور الذي تقدمه المرأة فيما لو كانت متحررة من القيود الاجتماعية التي تحيط بيها .

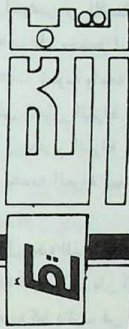
ثانياً . اسهام المرأة لايجاد حلول داخل المجتمع الفلسطيني من خلال هذه اللجان وهذا انجاز بحاجة الى تطوير وتدعيم حتى يصبح دور المرأة اكبر واعظم . بالإضافة الى ذلك فان العمل جارٍ على دمج البرامج السياسية مع النشاطات والمشاريع الاجتماعية والاقتصادية كما ذكرت في البداية .

س : ما هي بنظركم خصوصية المرأة في الريف ، وهل تنعكس هذه الخصوصية على برامجكم ؟ .

لا يمكن وضع تصنيف موحد للمرأة داخل الريف ، لأن المرأة ايضا داخل الريف تكونت في طبقات مختلفة فيمكن ان تكون المرأة نفسها عاملة او موظفة او فلاحه تعمل بارض ولهذا ليس صحيحا ان نضع مميزات خاصة للمرأة في الريف عن باقي المجتمع ، ولكن من الممكن القول بوجود الانتاج الزراعي من الممكن ان يحقق صفات مشتركة للمرأة التي تعمل في الارض عن باقي المجتمع بخلاف قطاعاته وبذلك يكون ارتباط المرأة اكثر فأكثر بالارض والزراعة وهذا ناتج من العمل داخل هذه الارض وايضا نتيجة خروج الزوج والاولاد الى خارج القرية للعمل يزيد من العبء الملقى على عاتقها في الاتجاه الزراعي وايضا يحدد دورها في الانتاج . هذا الواقع يجعلنا نتساءل حول مقولة لجان المرأة التي تطرح ايجاد دور انتاجي للمرأة داخل الريف فهنا يوجد دور انتاجي يكسب أهمية خاصة وتتميز به المرأة داخل الريف ، ويشكل الشكل الانتاجي الاوسع ، ولذلك فان المهم في هذا الواقع ليس ايجاد دور انتاجي وانما ما هو المطروح لمعالجة مثل هذا الواقع وما الدور الملقى على عاتق لجان المرأة نتيجة هذا الواقع المشار اليه .

نتيجة لهذا يمكن ان تحاول هذه اللجان بناء مشاريع تعاونية تساعد هؤلاء النساء في اعمالهن وبالمثل تعاوني جماعي وليس بأسلوب فردي وذلك من خلال معرفتي بالمشاريع التي تقوم بها اللجان داخل الريف التي لا تتميز ولا تختلف عن المشاريع التي تقام في المدينة وهنا نحتاج الى مشاريع داخل الريف تأخذ هذه الخصوصية الواسعة لنساء الريف وهي عملهن داخل الارض وبالزراعة .

التقدم الثقافي والاشتراكية ... سنوات



روبرتو فيرنانديس ريتامار - كاتب كوبي

قامت الثورة الكوبية قبل ٢٥ عاما ، واحزت تقدما باهرا في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وكذلك في الميدان الثقافي ايضا بالطبع ، ذلك الميدان الذي يؤثر تأثيرا متزايدا في الحياة الروحية لشعوب القارة بأسرها . وقد توجهت مجلة " قضايا السلم والاشتراكية " بعدد من الاسئلة الى الكاتب الكوبي المعروف الدكتور روبرتو فيرنانديس ريتامار ، رئيس تحرير "كاسا دي لاس اميريكاس" ، المجلة النظرية الاجتماعية والادبية ذات الانتشار الواسع في بلدان امريكا اللاتينية وحوض البحر الكاريبي .

وننشر ادناه اجابات الدكتور روبرتو فيرنانديس ريتامار .

س: ما هي المبادئ التي حكمت تطور كوبا الثقافي منذ ان اعلنت
ثورتها ثورة اشتراكية ؟

- كانت اول وثيقة هامة عالجت القيادة الثورية فيها قضية تطوير ثقافتنا وفق مبادئ النظام الجديد ، هي خطاب فيديل كاسترو في " حديثه الى المثقفين " وقد القاه بعد انتصار طليح الخنازير او بعد اعلان الثورة الكوبية ثورة اشتراكية بفترة وجيزة .

من حيث الجوهر يمكن القول بان افكار الخطاب المركزية ما زالت تحكم سياستنا الثقافية حتى هذا اليوم . والحق انه تلت ذلك وثائق اخرى كانت تطويرا لموضوعات فيديل كاسترو في هذا الصدد مثل وقائع مؤتمرات الحزب الشيوعي الكوبي او البيان الختامي للمؤتمر الوطني الأول حول التعليم والثقافة (١٩٧١) او مواد الدستور المتعلقة بهذا الموضوع .

ان مبادئ سياستنا الثقافية مبادئ تشترك فيها ، حسبما اعتقد ، كل البلدان الاشتراكية التي تتطور الفنون والاداب فيها على قاعدة شعبية متينة ، وتفتني بالايديولوجيا الماركسية - اللينينية ويؤدي ان اعود ثانية الى خطاب فيديل كاسترو الذي قال فيه : " ... كل شيء مباح في اطار الثورة ، اما ضد الثورة فليس ثمة حقوق " (١) . اعتقد ان هذا هو المبدأ الرئيسي لسياستنا الثقافية بعبارة اخرى ان للمثقفين والكتاب والفنانين الكوبيين مطلق الحرية في اختيار اشكال ووسائل التعبير ، ولكن سيكون من الحماقة ان نتوقع من بلد يبعد ٩٠ ميلا فقط من الولايات المتحدة يتعرض الى الحصار والتهديدات والاستفزازات ان يجيز حرية النشاط المضاد للثورة . فلا وجود لدرجة كهذه في كوبا ، شأنها شأن حرية البغاء او التمييز العنصري او النهب او القتل .

س : ما هي العلاقة بين التراث الثقافي الماضي والثقافة الاشتراكية في كوبا الجديدة ؟

- علاقة حميمة جدا . فنحن نرى انفسنا اتباع خوزية مارتى ولينين على حد سواء ، ونعتبر ان الحاجة الى التواصل بين تراث الماضي الخلاق الحي والثقافة الجديدة ، التي نخلقها ، تتجلى في اعمال هذين الرجلين العظميين ، بطلنا الوطني وقائد البروليتاريا العالمية .
يذكرنا هذا بما قاله لينين عن " الثقافة البروليتارية " . فلقد رفض الفكرة القائلة بان بالامكان طلقها في المختبر ، وأشار الى ان الشيوعية العلمية ظهرت الى الوجود " باستيعاب كل ما انتجه العلم السابق استيعابا تاما " . وافضى هذا الى فكرة ذات اهمية بالغة لنا : " لا نستطيع ان تصبح شيئا الا حين تثرى عقلك بمعرفة كل الكنوز التي ابدعتها الانسانية " (٢) .
ان فكرة تمثل التراث الماضي التقدمي تنطبق ايضا على خبراتنا الوطنية المتواضعة . فلقد ابرز الفكر الاجتماعي في بلادنا تقدما ملحوظا في اواخر القرن الثامن عشر وبخاصة في القرن التاسع عشر . ومثلما سبقت الثورة الفكرية في فرنسا ثورة ١٧٨٩ البرجوازية فان التغيير في نظرة ستوبتي كوبا من ذوى الاصل الاوروبي الى العالم سبق حرب السنوات العشر التحررية (٣) . وفي القرن الماضي ارسى حركة فلسفية وادبية قادها المثقفون ، الاساس لما اصبح الان ثورتنا الثقافية في ظل الاشتراكية . وبكلمة اخرى ، اننا نخلق ثقافة اشتراكية حديثة من دون التخلي عن خير ما في تراث الجدود . فنحن نرفض كل ما هو غير مقبول في هذا التراث ونتذكر مع لينين اننا يجب ان نخرج بين العناصر الاستغلالية الرجعية الموجودة في ثقافة كل امة منقسمة الى طبقات متناحرة من جهة ، وتراث الشعب الديمقراطي من الجهة الثانية .

س: ما هي الصعوبات التي واجهتموها في تنفيذ الثورة الثقافية ؟

— واجهنا صعوبات عديدة. فبدأي ذي بدء . كان ما لا يقل عن نصف السكان من الاميين وقت انتصار الثورة ، رغم الاحصائيات المتفائلة عن الفترة التي سبقت الثورة. وكثير من المسجلين على انهم متعلمون ، لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة إلا إسميا لأن الكلمة المطبوعة كانت بعيدة عن متناولهم . وكثير من أولئك الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة حقا هاجروا إما لانهم كانوا ينتمون الى البرجوازية (او ارادوا الانتماء اليها) ، او لانهم كانوا طفيليين لا رجاء في اصلاحهم .

نتيجة لذلك كان علينا ان نشن حملة لمحو الامية في طول البلاد وعرضها . كان ذلك في عام ١٩٦١ . ونحن دائما نتذكر هذا العام بانفعال عاطفي . ففيه تعلمت غالبية الشعب الكوبي القراءة والكتابة والحققت بامبريالية الولايات المتحدة هزيمة عسكرية منكرة لأول مرة في قارتنا بسحق قواتها الغازية في غضون ٧٢ ساعة . كما تميز ذلك العام المشهود بحدث آخر ذي اهمية بالنسبة لنا : اذ التقينا نحن الكتاب والفنانين الكوبيين بفيديل لأول مرة . وفي ذلك اللقاء القى الكلمة التي اتيت على ذكرها ، وفي ذلك الوقت انبثق اتحاد الكتاب وشغيلة الثقافة في كوبا .

ثمة صعوبة كبيرة اخرى برزت بسبب الحقيقة الماثلة في ان كوبا كانت خاضعة لهيمنة الاستعمار الجديد للولايات المتحدة . ويعني هذا ان بلادنا كانت في المجال الثقافي شأن المجالات الأخرى ساحة لتوسع ثقافي مدمر على يد الولايات المتحدة — انني بالتأكيد لا اقصد بذلك الثقافة التقدمية للولايات المتحدة فنحن ننظر اليها باعتزاز كبير ، بل اعني به الثقافة التجارية المبتذلة لهذا البلد . فلقد كانت الدعاية المعادية للشيوعية والاشتراكية والانسان تنهال على كوبا عبر اجهزة الاعلام معرقة الثورة الثقافية بصورة جدية . ولكن في الفترة الواقعة بين ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، او ما كان تاريخيا فترة وجيزة جدا ، اصبح شعبنا يقدر قيم الاشتراكية ويدرك الى اى حد كان مظلما بأكثر الافتراءات والاكاذيب بدائية . وقد اضطلع فيديل كاسترو بدور هام في اشاعة افكار الماركسية — اللينينية في كوبا .

اصدمت ثورتنا الثقافية بعقبة كؤود اخرى هي الحقيقة الماثلة في ان صراعا طبقيام مريرا كان يحدث في كوبا في ذلك الوقت ، وقد شمل الحقل الثقافي ايضا . بيد ان غالبية كوادرنا الثقافية لم تكن تعبر عن مصالح الشغيلة . كانت غالبيتهم من منحدر برجوازي صغير وكانوا امام خيارين لا ثالث لهما : قبول الافق الاشتراكي بصرف النظر عن اصلهم الطبقي ، او معارضته .

امتد الصراع السياسي الى شغيلة الفكر وكانت فئة المثقفين التي ورثتها كوبا قد نهضت بدور ايجابي معين في السنوات الاولى بعد قيام الثورة لكن بعض اعضائها وقف موقفا معاديا فيما بعد ولا بد من الاقرار كحقيقة من حقائق التاريخ بان مثل هؤلاء الافراد كانوا وما زالوا هم الاستثناء لان غالبية المثقفين ذوي الاصول البرجوازية الصغيرة ومنهم مؤمنون ظلوا مؤمنين ، ربطوا

منازهم بالاشتراكية، رغم انحذارهم الاجتماعي. وغني عن القول، انه بالإضافة الى هذا الجيل
القديم من المثقفين شهد الربع الاخير من القرن اثباتا ثقافيا جدد على صلة وثيقة بالثورة من
مفرد العمال والفلاحين.

=====
ن: ما هي في رأيكم الميادين الثقافية التي احرزت كوبا اعظم تقدم فيها؟
=====

في الوقت الذي يصعب فيه افراد ميدان معين بودي ان اذكر مجال التعليم في المقام الاول.
التعليم شامل في بلدنا، وهو في متناول الجميع، وساعد على تضيق الفجوة بين العمل الذهني
والعمل العضلي. ويتجلى هذا في النمو الكبير لعدد الطلبة الذي ازداد من ١٧.٠٠٠ الى
..... ٢ في غضون ٢٥ عاما.

اقول رأي لا بوصفي منظرا، فهذا ما لا ادعيه لنفسي، ولا حتى بوصفي الشاعر والكاتب اللذين
اصبتهما بحكم الضرورة السياسية والاخلاقية. سأقول كلمتي بوصفي ابا لابنتين ولدنا بعد الثورة،
وما الان متزوجتان. لقد شعرت بارتياح عميق وانا ارقب تعليم ابنتي وفقاً لافكار كارل ماركس
والكارخوزيه مارتي كذلك. وهما لم تتعلما الرياضيات والجغرافية والتاريخ والتشريح فحسب، بل
وعظما في المزارع واحيانا في المعامل. وبعبارة اخرى، ان تكونهما كاشخاص كان اكثر توازنا من
كثير شباب ما قبل الثورة.

اما في مجال الفن فاعتقد اننا خطونا خطوات كبيرة. خذ السينما، على سبيل المثال، ان
الثورة هي التي اوجدت السينما الكوبية عمليا. صحيح، اننا كنا ننتج فلما بين حين وآخر في
الناصي - غالبا ما يكون انتاجا مشتركا - لكننا لم نخلق فنا سينمائيا متميزا الا بعد عام ١٩٥٩.

بدأت صناعتنا السينمائية بالافلام التسجيلية. لا اريد ان اعقد مقارنات، لكننا جميعا نرتاد
السينما ونذكر نماذج ذات اهمية عالمية، مثل عمل دزيغا فيرتوف، السينمائي التسجيلي
الروسي (٤). اعتقد ان لدينا فيرتوفا كوبيا في شخص سانتياغو الفاريز، السينمائي ذي الموهبة
الاستثنائية الذي اعتبره من التسجيليين العظام في العالم. لكن الافلام التسجيلية ليست النوع
الوحيد في صناعتنا السينمائية التي انتجت ايضا افلاما روائية بارزة، رغم ان الافلام التسجيلية
ما زالت هي الاغزر انتاجا، حسبما ارى.

وبودي الاشارة ايضا الى ما احرز من تقدم في فن الملصقات والرسم بصفة عامة. فلقد انتشر
فنا الفن انتشارا واسعا في مجرى الثورة. ومثلما ادت الثورة المكسيكية الى ازدهار اللوحات
الكبيرة فان الجداريات والملصقات نوع فني مفضل في كوبا الثورية.
احرزنا تقدما ملحوظا في النشر وانا لنشهد انفجارا حقيقيا في مجال النشر. بينما كانت الكتب
نشر في كوبا ما قبل الثورة ايضا، كان قلائل يعرفون ان اصدار رواية كان يقترب من المستحيل

ما لم يكن المؤلف مستعدا لدفع النفقات . وهذا لم يكن بالامر الهين لان غالبية الكتاب كانوا يعيشون في ظروف متواضعة للغاية . اما اليوم فنتشر انواع شتى من الكتب التي يزيد اجمالي ما يصدر منها عن ٥٠ مليون نسخة (بالمقارنة مع اقل من مليون نسخة قبل الثورة) . وهذا يعد دالة واحد من اعظم الانجازات الثقافية .

وتزدهر الانواع الادبية التقليدية مثل الشعر والقصة القصيرة والدراسات الادبية . لكن كتاب الرواية احرزت هي الاخرى نجاحات ملحوظة في حين لم يكن ينشر الا القليل من الروايات قبل الثورة . ويعرف الجميع انه الى جانب الشاعر الكبير نيكولاس غيلين ، تملك كوبا رواثيا ذا شهرة عالمية وهو اليهو كاربيير . ولدينا العديد من الروائيين الموهوبين الاخرين . لن اعد مؤلفينا لان القائمة ستطول ، لكن بودى ان اضيف ان القصص البوليسية وقصص المغامرات احتلت موقعا متقدما في ادبنا بوصفها نوعا جديدا علينا .

من الانواع الادبية الاخرى التي اُخفيت او حُلتها الثورة كتب الاطفال والشهادات التسجيلية او المؤلفات الواقعية التي تكتب بعد الحدث ، واحبرا المسرحيات الاصلية التي تتحدث من التمثيل موضوعا لها - فهي تدب في صعودها لازدهار المسارح الشعبية . وباختصار ، شهدنا اجالا عديدة من الكتاب الذين ظهروا على المسرح الادبي قبل الثورة او في ابانها او بعدها . فلقد خلقت الثورة ادبا اصيلا لم يعهد له نظير في التاريخ الكوبي .

وعلى المنوال نفسه احرز فننا في الرقص وموسيقانا نجاحات باهرة في السنوات الاخيرة . لكن من المتعذر تغطية اللوحة الفريدة من الابداعات الادبية والفنية في جزيرة الحرية في مقابلة قصيرة يضاف الى ذلك انني لا اعتقد ان مستوى الشعب الثقافي يقتصر على المنجزات المتحققة في هذا الفن او هذا النوع الادبي او ذاك . الامر الهام اننا بدأنا هذه المقابلة بالتعليم ولن اتردد عن التأكيد بان كوبا هي الجمهورية الوحيدة في قارتنا التي طالت غالبية شعبها ناصية الثقافة بكل معنى الكلمة .

س: كيف تصفون العلاقة بين الوطني والاممي في ثقافة كوبا الاشتراكية؟

بادئ ذي بدء ، ان الثقافة الاشتراكية ثقافة وطنية واممية بطبيعتها . والمؤكد انه لا يمكن ان توجد اشتراكية تفتقر الى الخصائص الوطنية وتبني دونما اعتبار لحقائق دائمة مثل الامية . فانه لا تستطيع في الممارسة العملية ان تكون مواطنا عالميا " او كوزموبوليتيا مطلقا ، مثلما تصادف احيانا في الادب . الاشتراكي الحقيقي معني بحاجات ذلك القطاع من الانسانية الأقرب اليه - شعبه - وبنتطعات سكان " وطنه الكبير " ، الكرة الارضية . ان هذه العلاقة بين الوطني والاممي في كوبا علاقة وثيقة جدا ولها تقليد يعود الى الثلث الاول من القرن الماضي ، حين دعا خوزيه ماري هيرديا ، الشاعر الكوبي الذي كان يصدر مجلة " ايرس " في المكسيك ، مواطنيه الى تمثل الكون

الادبية للبشرية جمعاء ، او " الادب العالمي " ، كما سماه غوته بعد ذلك بسنوات قليلة . غير ان ميريدا الذي حمل راية القيم العالمية كان ايضا رائد الشعر الوطني الكوبي .

لكن العلاقة بين الوطني والاممي تبدت بلا ريب في ارقى اشكالها على يد خوزيه مارتى ، الذى قال : " ليغرس العالم في جمهورياتنا ، لكن الساق يجب ان تكون جمهورياتنا " (٥) . وكوبا الاشتراكية قبلت هذا المفهوم وساهمت فيه . فنحن نرفض ان نرى مدافعا حقيقيا عن الاشتراكية نيم يقصر نفسه على بلاده وينادى في الوقت نفسه بالمثل الاشتراكي . ويصح هذا ايضا على اولئك الذين يتوجهون الى الانسانية توجهها مجردا متجاهلين القضايا الوطنية . اننا ندرك ان حوارا مريبا يجرى في ظل الاشتراكية بين الوطني والاممي .

نحل بامتنان قوة ما نعرفه بالتجربة من امنية تتسم بها الثقافة السوفييتية وكل نواحي الحياة الاخرى في الاتحاد السوفييتي ، فمهما بلغ اعتزازنا بتراثنا ومنجرات نضالنا يبقى واضحا لنا ان ما كان لثورتنا ان تصمد بمفردها لولا الدعم الاممي للاتحاد السوفييتي وفي الوقت نفسه ابدى هذا البلد الزاخر بالاممية روحا وطنية استثنائية حين هاجمه النازيون ، وتعين عليه الدفاع عن نفسه في الحرب الوطنية العظمى . فانك لا تستطيع الدفاع عن شيء مجرد او عام من دون الدفاع عن اناء ملموسة في الوقت ذاته . وكما قال لينين ان الحقيقة دائما ملموسة نستطيع القول ان الاشتراكية ملموسة شأن الوطني والاممي .

س: كيف تؤثر الثقافة الكوبية المعاصرة في الفنون والاداب في امريكا اللاتينية ؟

- يحسن ان نتوجه بهذا السؤال الى رفاق من البلدان الاخرى للقارة للحصول على اجابة عنه . كوني مواطنا كوبيا يتحدث عن ذلك ، يوحي بالاستعلاء . كل ما بودى قوله انني اعتقد ان اعضاء برلماني في الاسرة الثقافية لأمريكا اللاتينية وحوض الكاريبي ابعد من ان ينظروا بعدم اكتر الى الثقافة الكوبية ، بل تربطهم بثورتنا او اصر متينة ومشاعر قوية بحيث اننا نعتبرهم رفاقا في صفوفنا . فاني ، على سبيل المثال ، لا استطيع ان انظر الى خوليو كورتازار الارجنطيني وغابرييل غارسا ماركي الكولومبي ومايو بينيديتي الارغواي وارنستو كاردينال النيكاراغوي ورينيه ديببيري الباتي . والعديد غيرهم من مشاهير مثقفي امريكا اللاتينية المعاصرة بوصفهم خارج الثورة الكوبية لي اصحت ايضا ملكهم .

س: الى اى مدى وبأية وسيلة تفيد كوبا من البناء الثقافي في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ومنجزات الثقافة التقدمية لشعوب القارات الاخرى ؟

— اننا نفيد من الخبرة الثقافية للعالم الاشتراكي فائدة واسعة — بل وواسعة للغاية — كلما امكنا ذلك . واستطيع القول بوصفي صديقا قديما للاتحاد السوفييتي اننا في الثقافة ، شأن المجالن الاخرى ، نتعلم من المنجزات العظيمة للاتحاد السوفييتي ومن الخبرة الغنية لهذا البلد ، وكذلك من اخطاء اصدقائنا ، تلك الاخطاء التي لا بد من الوقوع فيها في اى مشروع كبير . واعتقد ان الشيء نفسه سيحدث بل هو يحدث بالفعل ، في حالة امريكا اللاتينية التي تتمثل خبرة كوبا ، فنحن ندين للاتحاد السوفييتي بمفهوم جديد ، انساني حقا للثقافة يقوم على الاحترام المتبادل للقيم الثقافية التي تمتلكها حتى اصغر الشعوب .

لقد بين لنا المثال السوفييتي — وهذا ما يجب الانسائه — ما لخلق الابدعية لقوميات لم تكن عندها فكرة عن امر كهذا . من اهمية بالغة لثقافة امريكا اللاتينية في المستقبل . ويجب ان نتذكر ان الشعب السوفييتي يدافع ايضا عن الاعمال الفنية ذات القيمة الجمالية العالية وعن الفن الذي يخدم اعمق قضايا الانسان واشدها إلحاحا . وبهذا المعنى تفيد كوبا ، كما قلت ، من خبرة الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الشقيقة الاخرى .

نتوجه ايضا الى خبرة شعوب القارات الاخرى ، كلما امكنا ذلك . فضلا عن قرابتنا العريقة المعروفة مع الثقافة الأوروبية تحدر الاشارة الى صلاتنا الثقافية بأفريقيا . وبفضل الثورة الكوبية عقدنا صلات مباشرة مع الشعوب الافريقية واكتسبنا معرفة افضل بفنونها وادابها التي كانت مجهولة حتى هنا في حوض الكاريبي رغم ان جذور تراثنا الثقافي تمتد ايضا الى افريقيا .

س: هل اثر حصار الولايات المتحدة على كوبا في تطور ثقافتكم الوطنية بأي شكل ؟

بالطبع ، ان الموقف العدائي الذي تتخذه الولايات المتحدة من جزيرتنا ترك اثره على تقدمنا الثقافي ايضا . اننا لا نستطيع ان نمتدح الحصار لانه كان عملا وقحا واجراميا ضد دولة ذات سيادة من البداية . ولكن من الناحية الموضوعية تتمثل احدى نتائج سياسة الولايات المتحدة هذه في ان شعوب امريكا اللاتينية وحوض الكاريبي وخيرة عقولها اصبحت اكثر ادراكا من اى وقت مضى لقربانها من كوبا التي جعلتنا بدورها نشعر اننا امريكا لاتينية اكثر من ذي قبل .

وفي جو الحصار تقدم البلدان الاشتراكية معونتها للشعب الكوبي في مختلف المجالات ، ومنها الثقافة ، وتساهم في التعريف بخيرة اعمال عبقريتها الخلاقة في بلادنا . في هذه الظروف اصبحت مذبذبا الوطنية ارسخ ونحن الان اكثر كويبة واكثر امنية من اى وقت مضى . اعود فاكر انني لا اقول لك امتدادا للظروف التي خلقها الحصار ، فهو يمنعنا ، من بين اشياء اخرى ، من معرفة افضل لسجلات الثقافة الامريكية . ومثلما كانت الامبريالية الولايات المتحدة قبل الثورة مصلحة في تحويل كوبا الى بالوعة ثقافية لاشوا النماذج التي تنتجها الدعاية الهابطة تريد الان عزلنا عن القيم الثقافية الحقيقية .

س: هلا حدثتمونا بايجاز عن الجهود التي تبذلها مجلة " كاسا دي لاس اميريكاس " لتوحيد مثقفي امريكا اللاتينية التقدميين ؟

بصراحة ، من الصعب وغير اللائق ان اتحدث عن مجلة اعترز بها كل الاعتزاز فان لي شرف ادارة المجلة منذ عام ١٩٦٥ او يقرب من عشرين عاما . في الواقع ان الامر شبه بقيادة اوركسترا كبيرة آلتها المختلفة ليست مثقفي بلدان امريكا اللاتينية وحوض الكاريبي فحسب ، بل ورجال فكر وثقافة من قارات اخرى ، متخصصون في امريكا اللاتينية وكتاب ومفكرون معنيون بقضايا القارة وحتى بالفن يطرحون قضايا نظرية لها اهميتها بالنسبة لنا ، لكنها لا تمت بصلة مباشرة الى حياة السطحة

هؤلاء هم الذين يصدرن في الواقع مجلة " كاسا دي لاس اميريكاس " . وقد التفوا حول المجلة لأن الثورة الكوبية وحدت صفوفهم وكذلك لان مجلتنا الدورية منبر للمثقفين الثوريين . وانا كان للمجلة رصيد فالفضل فيه كله يعود الى الثورة الكوبية قوة الجذب الحقيقية لشعوب القارة وصعوبة مثقفها . في الواقع ان الكثير من الذين يكتبون للمجلة ويعبرون عن وفائهم لكوبا الاشتراكية ، لبيتنا "بيت الامريكيتين" يجازفون احيانا لا بخسارة فرص عملهم فحسب ، بل وحياتهم ايضا وبالتالي ، فان الفضل لا يعود الى الهيئة القيادية لان العامل الحاسم هو الحماسة الثورية الحامية . وما على قائد الاوركسترا الا ان يرفع عصاه لكي تنطلق الفرقة الرائعة صادحة .

س: ما هو تأثير وجود لغة يألفها قراء امريكا اللاتينية جميعا ؟

ان "امريكيتنا" ، كما سماها مارتى ، قارة تنطق بلغات متعددة : فالبرتغالية هي السائدة في البرازيل ، والفرنسية في هايتي وغواديلوب والمارتينيك ، والانكليزية في بعض جزر الانتيل ، فضلا عن استخدام البابيامنتو على نطاق واسع الى جانب الهولندية فيما يسمى الانتيل الهولندية . واطلقت بلدان اخرى على لغات حضارات امريكية عظيمة . ولكن مما لا ريب فيه ان مايوحدا

جميعا هو اللغة الاسبانية واللغة البرتغالية القريبة منها جدا فهما اللغتان الرئيسيتان المستخدمتان في المنطقة، وهذه يحددها حقيقة بالغة الأهمية - ان منطقتنا، من هذه الزاوية، نوع من الاستثناء لأنها رغم مساحتها الشاسعة، تنطق بلغة مشتركة تفهمها الاغلبية الساحقة من السكان. ولا بد ان اضيف ان الولايات المتحدة يقطنها عدد ضخم من ذوى الاصل الامريكي اللاتيني بحيث يمكن القول انهم يولفون جالية منفصلة ناطقة بالاسبانية. وهذا الاستخدام الواسع للغة مشتركة في المناطق المجاورة يجعل من الاسهل اشاعة الابدولوجيا الاشتراكية الثورية.

س: ماذا عن طرق ووسائل المساهمة في الطابع المتميز للثقافة الكوبية في ظل الاشتراكية؟

- ان الثقافة الكوبية مفتوحة على العالم. لكن هذا لا يعني انها تقبل بكل شيء لان بلدنا كان وسيبقى بلدا اشتراكيا ذا تقاليد راسخة وعميقة الجذور ولا يمكن تخطيها وكانت دائما تقاليد ثورية غير اننا، اذ ندافع عنها، نبدى استعدادنا، لربما اكثر من سوانا، لتبني خير ما تستطيع الثقافة ان تقدمه. ان لغتنا لا تسمى الاسبانية عرضا، فهي لم تنشأ في كوبا. والبيسول، وهي لغة وطنية كوبية، وفدت اليها من الخارج، والملابس التي نرتديها ليست من اصل كوبي وندين بالكثير من موسيقانا لافريقيا واسبانيا على حد سواء. وبالطبع، ان الماركسية - اللينينية، وهي الابدولوجيا التي تقود مسيرتنا، ظهرت اولا في مناطق اخرى. ان بلادنا اشبه بالبوقة العملاقة التي تنصر فيها التقاليد الثقافية لامم عديدة، ولذلك يجب ان نفعل كل ما في وسعنا لا للتقليل من الثروة التي ورثناها وانما لزيادتها.

بعبارة اخرى، ان العالم بأسره مفتوح لنا ونحن كل يوم نتعلم شيئا جديدا منه. اعتقد ان هذه صفة شيوعية بالغة الأهمية وجانب رئيسي من جوانب الثقافة الاشتراكية. يزعم خصونا ان هدف الاشتراكية هو حشر جميع الناس في قالب واحد وتحويلهم جميعا الى جنود من مفتح. العكس هو الصحيح. وقد قال انييال بونسي، الماركسي الارجنتيني المرموق، ان الاشتراكية تكافح النزعة الفردية لكنها تمجد الفرد. ان الاشتراكية متنوعة، انها ثروة فكرية ومعين لا ينضب او، باختصار، انها كل ما نريد لثقافتنا وبلدنا.

س: في الختام نود ان نتوجهوا، ولو بكلمات معدودات، الى قراء مجلته "قضايا السلم والاشتراكية".

- اعتقد ان من الممكن القول ان المهمة الكبرى التي تواجهنا اليوم، هي منع الحرب والحفاظ على السلام في كوكبنا. فلا ريب في ان الانسانية تعيش اصعب فترة في تاريخها. ويمكن الخطر في

الغبية المائلة في ان الامبراليه تسير نحو نهايتها المحتومة. فان ديناصورا يحتضر ليس بالمنظر السار كما اننا لا نراهم من على قمة جبل. ان حشرات الوحش خطرة، وهو يضرب الارض عشوائيا بدسه وهذه الضربات تطال جميع القارات.

لكننا لسنا متشائمين. اد يجب ان نناضل من اجل السلام والظفر به. ولدينا كل الفرص التاريخية لنفادي الكارثة. وقف الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى وذوو الضامير الجيدة كافة في العالم سد مسعا بوجه تجار الحروب. وتبذل قوى التقدم وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي، كل ما في وسعها لانقاذ البشرية وضمان استمرار التقدم الاجتماعي والثقافي بلا معوقات، واستمرار البشرية التي طال عذابها، على قوى الشر اخيرا وظفرها بحققها في السلام والسعادة.

المراجع

Castro, Palabras a los intelectuales. La Habana, 1961, p. 110

(١) لسر. المؤلفات الكاملة (باللغة الروسية). المجلد ٠٤١. ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢) اطرب الحرب (١٨٦٨ - ١٨٧٨) عن تغييرات في الادارة الاستعمارية ومن ثم (١٨٨٦) الغاء الرق في كوبا - المحرر.

(٣) درعا فيرنوف (١٨٩٥/٩٦ - ١٩٥٤) مؤسس ومطر السينما التسجيلية السوفييتية والعالمية - المحرر.

(٤) J. Martí. Obras completas, t. 6. La Habana, 1963, p. 18

قضايا السلم والاشتراكية



النصّ الرسمي للاتفاق الأردني - الفلسطيني

بعد سلسلة من اللقاءات ، جرى التوقيع في عمان يوم ١٩٨٥/٢/١١ على اتفاق للعمل المشترك بين ياسر عرفات والملك حسين ، فيما اطلق عليه فيما بعد ، الاتفاق الاردني - الفلسطيني ، وفيما يلي النص الرسمي الحرفي لهذا الاتفاق ، كما اعلنه طاهر حكمت ، وزير الثقافة والسياحة والآثار ، وزير الاعلام ، بالوكالة يوم ١٩٨٥/٢/٢٣ .

انطلاقاً من روح قرارات فاس المتفق عليها عربياً وقرارات الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين ، وتمشياً مع الشرعية الدولية وانطلاقاً من الفهم المشترك لبناء علاقة بين الشعبين الاردني والفلسطيني ، اتفقت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية على السير معاً نحو تحقيق تسوية سلمية عادلة لقضية الشرق الاوسط وانهاء الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية المحتلة بما فيها القدس وفق الاسس والمبادئ التالية :

اولاً : الارض مقابل السلام ، كما ورد في قرارات الامم المتحدة بما فيها قرارات مجلس الامن .

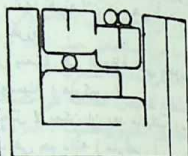
ثانياً : حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني (يمارس الفلسطينيون حقهم الثابت في تقرير المصير عندما يتمكن الاردنيون والفلسطينيون من تحقيق ذلك ضمن اطار الاتحاد الكونفدرالي العربي المنوى انشاؤه بين دولتي الاردن وفلسطين .

ثالثاً : حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حسب قرارات الامم المتحدة .

رابعاً : حل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها .

خامساً : وعلى هذا الاساس تجرى مفاوضات السلام في ظل مؤتمري دولي تحضره الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن الدولي وسائر اطراف النزاع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ضمن وفد اردني - فلسطيني مشترك .

مع المناضل الشاعر السوداني د. جيلي عبد الرحمن



ق

الخير والشعب والمساء القاهرية منذ صدورها سنة ٥٦ .. ومن بعدها انتقل الى ساحة وطنه الكبير .. في عدن والجزائر كما واصل دراساته في الاتحاد السوفياتي وحصل على الدكتوراه ١٩٧٥ وعمل استاذاً للادب والنقد العربي الحديث في كل من عدن والجزائر ..

صدر له قصائد من السودان عام ١٩٥٦ ، الزاحفون مع غيرهم عام ١٩٥٨ ، المعونة الامريكية تهدد استقلال السودان عام ١٩٥٨ ، الجواد والسيف المكسور عام ١٩٦٧ كما ترجمت اشعاره الى الروسية ، وقام بترجمة مختارات من الشعراء الروس والانرييجانيين .

جيلي عبد الرحمن غني عن التعريف . شاعر من جيل الزواد ، في الشعر والنضال معا . اسع نضاله منذ البداية ارض وادي النيل .. كان لسان وطنه .. وكانت مصر وطنه .. فالتحق بالامر ، وعرفته ساحات النضال بالكلمة القصيدة ، وفي خضم الحركة السياسية الوطنية الثورية النشطة في مصر والسودان منذ اواخر السبعينات واولال الخمسينات . واصبح من رواد الشعر الحديث والواقعية الاشتراكية في وطنه العربي ، وعرفته الصحافة المصرية كاتباً شاعراً ، مناضلاً للكلمة والثورة .. عمل في العديد من منابر المصرية المناضلة في ذلك الحين ضد الحكم السراي والاحتلال ومع ثورة يوليو منذ البداية ، فعمل في صحف روز اليوسف ، وصباح

• لكل شاعر جمهوره ولكل جمهور شاعره ، والجمهور هنا يشير الى نوع معين من مستوى التذوق والتواصل - فلن يكتب جيلى عبد الرحمن ، ولماذا أنت عازف عن النشر منذ زمن ليس بالقصير ؟

• الشطرة الثانية من السؤال غطت العجز الذي يتخذ شكل المقولة النهائية في الجزء الاول .. فليس بالضروري ان يكون لكل شاعر جمهور .. لأن الفنان يعبر في الأساس عن احتياج وضرورة جاليتين هما منبع أبداعه ، ضرورة باطنه « تعبير ماركس كما ساوضح » ، والمتلقي يستجيب لأنه يجد رغبته الجمالية في هذا التعبير ، ومن ثم هناك جمهور مفضل محتوم لكل شاعر ، أن المتذوق يجد رغبته ويشبع نهمه الروحي - حسب اللحظة النفسية فمن يراه من القدماء أو المحدثين .. ومستوى التذوق محكوم بآهاف الحاسة الجمالية وتنوع مصادرها ، وعلى سبيل المثال فأن شكسبير لا ينسخ جوته رغم اختلاف الوسائل والادوات والأساليب ، وبلوك لا يقني عن بوشكين ، ولا أنطاول بالطبع الى هذه النثرى ولكنني أوضح رأيي فقط .

ان الفنان يلتقط الجوهرى من العارض ، الباقي من الزائل ، ولذا فإن الفن يبقى - نسبيا - فليس ثمة خروج عن التاريخ ، أقول يبقى رغم تغير المجتمعات ، لان الفن

يعبر عن الروح ، الباطن ، الجوهر ، الصفات التي يحملها الانسان خلال تفاعله مع الطبيعة لأن هذا التفاعل - وليس غيره - هو مصدر الاحساس الجمالي ودرجته ، ونوعه .. اذا وبتعبير ماركس على وجه الدقة (في كراسات اقتصادية وفلسفية) فإن الانسان الثري هو الذي يحتاج رغم ثرائه الى اكتشاف انسانية هذه الحياة اكتشافا كاملا ، وهو الانسان الذي يعتبر « تحقيق ذاته تحقيا كاملا ضرورة باطنة أو حاجة لا غنى له عنها » ولم يقع ماركس بالطبع في الوجودية أو الاطلاق ، أو الفن للفن كما لوح لي احد الزملاء مرة ، لأن ماركس في تعريفه للاغتراب كان يرى ان العمل الذي يشبع حاجات خارجية ، أي يخضع لمقاييس ووصفات وضرورات قسرية .. - وما بين قوسين من تعبيرى - بمثابة العامل أزاء العمل المفروض عليه ، فهو يهرب منه وكأنه وباء ، وهذا العمل الخارج عن ذاته ومجال ابداعه

- يستطرد ماركس - هذا العمل الذي يخرج فيه الانسان من أهاب ذاته هو تضحية منه بهذه الذات ، وهو عذاب : أنه يعيش في هذا العمل وجودا غير وجوده . منطلقا من ماركس - كشاعر يسترشد بالماركسية - فأنني أرفض تعلق الجمهور ، أو الكتابة بمقاييسه ، وليس هذا

استعلاء اللهم الا اذا حقق التجاوب الكامل ضرورة باطنية وهذا ما استعبده !!

ما هي قناعاتي ومركزاتي في هذا المجال ؟
نعود الى ماركس الذي نسيناه !

١ - يتعرض ماركس (لميلتون) الذي باع قصيدته « الفردوس المفقود » بمبلغ خمس جنيهات فيقول : كان حال ميلتون هنا يشبه حال دودة القز التي تفرز الحرير من فمها ، انها تفرزه لأن هذه هي طبيعتها وهي لا تستطيع (لا أن تفرزه .

٢ - أن الشاعر يتمزق في اللحظة التي يتحول فيها الشعر عنده الى وسيلة (ماركس) .

٣ - الكاتب بالمثل لا يمكن ان يعد ما يكتبه وسيلة ان ما يكتبه هدف في حد ذاته (ماركس) .

٤ - ان الكاتب يضحي بوجوده نفسه (الجنة) بتصرف قليل (لو أقصر الامر على الهدف الذي يكتب من أجله) (ماركس) .

واذا كان الواعظ الديني يطيع المثل الذي يقول « اطع الله اكثر من اطاعة الناس » فالكاتب ينبغي ان يرضى فيما يكتب ضميره أولا ثم الناس الذي يحيط نفسه بهم ثم ما من حاجات ورغبات انسانية (ماركس) ..

وأخيرا وليس اخرا في معرض حديثه عن الصحافة يقول : أن الكاتب الذي يجعلها « اي الصحافة » وسيلة مادية . هذا الكاتب يستحق كنوع من العقاب لهذا الاسر الداخلي ، ان يكون الاسر الخارجي من نصيبه : أي يستحق ما يفرض عليه من رقابة ، أو بالأحرى يستحق وجوده لعقاب له هو نفسه .

فأين حرية الوجودية أو الفن للفن أو أية نظرية أخلاقية أخرى ازاء هذه المسؤولية التي تستفز وتستفز القرار الباطني . الحر . المسؤول لتجعله المقياس الاول لعملية الابداع ولو استشهد معارض بمقال لبنين حول الأدب الحزبي فليقرأ هذه الضمانات ، الضمانات والاحترازاات التي طرحها لتأكيد حرية الكاتب ذات المستوى الرفيع والتي تجعل الانسان الحزبي ينضم للحزب عن قناعة وحرية واختيار أولا .

وهل أرد على المقال بخطبة عن الحرية ؟ لا .. التي أدفع موجة من التفسير السريع للعلاقة بين الخاص والعام ولا أريد أن يجرنى الاستطراد الى تفصيل هام تضيق به ههنا هذه الاسئلة .. أجبت على بقية السؤال الخاص بعزوفي عن النشر . أن العزوف جزء من أزمة الديمقراطية ، فمعظم الصحف ابوابها دوتنا .. بالإضافة ضعف الحركة النقدية ، وقلة التفاعل ان لم يكن الضام بين شعراء العربية . في مجتمعات . في اطار التخلل والاحتفاظ - تتطور بانغلاق وذاتيا . ناهيك عن مشكلات



وبالتالي الفنية دور مميز في تأصيل العمل الجمالي . وانتزاعه من السطح . ومن ثم سيبقى أبين الرومي مثلا أكثر شاعرية من معاصرين كثيرين .

لقد أكد ماركس وأنجلز الأهمية القصوى للموهبة . وقالوا إنها تغطي كثيرا عن عجز الفنان نظريا .. تأسيسا على ذلك فليس كل محدث عبقريا بالضرورة إذا افترضنا أن العمل الفني الذي يقوم على الوحدة العضوية تلقائيا أو بالمهارة على امتداد التاريخ .

ولذا فإن الفنان لا يتطور باطراد في اتساق مع تطور المجتمع والا فكيف نفكر جمود الفن في منتصف القرن السابع عشر في أوروبا بالنسبة لازدهاره العاصف في عصر النهضة ؟ لقد ضرب ماركس المثال بشكسبير لتأكيد هذه الملاحظة . ولدينا مثال ساطع نستقي من العصر العباسي الذي أبدع في اندثاره وتفكته المتنبئ والمهري . بل أن عصر الاحتطاط وهب للبشرية ابن خلدون .

بالطبع أن هذا التمهيد النظري المختصر للغاية لا يؤكد شروط الابتكار والتحديث .. ولكن المضمون المتغير يستدعي شكلا ملائما بالضرورة .. وليس العكس ، مع تأكيد تأثير الشكل في المضمون وإن فصلنا بينهما تصفيا لتقريب الامر . أن قوى الانتاج هي العامل الحاسم الذي يجبر علاقات الانتاج الى التلاؤم . وعليه فإن الشكل لا التشكيل ليس هدفا في ذاته بحال . هناك وعي جمالي سائد ، أجناس أدبية بمثابة ذاكرة للفن .

هذا الوعي له مقاييس وأذواق .. والفنان الحق . يحاول بخصوصية امكانياته وتجاربه أن يتخطى الوعي الجمالي كليا ، ويضيف اليه ، ويغنيه .. بيد انه لا يستطيع ان يخلق جنسا أدبيا دون ضرورة جمالية هي في صميمها تاريخية .. والاجناس الأدبية رغم تداخلها وتميزها . شاهد على ذلك .. فالرواية ملحمة البرجوازية الصاعدة ، والقصة القصيرة نبتت مع البرجوازية المازومة ، والملحمة الاغريقية أبنة شرعية للمجتمع البطولي القديم الخارج من رحم الوحشية . والتراجيديا والكوميديا تبتتان لمجتمع أثينا الديمقراطي العبودي . ونستنتج « الليركا » أي الشعر العاطفي .

الحداثة في الشعر السوداني ذات صلة وثيقة بمراحل الشعر العربي منذ اواخر القرن التاسع عشر خاصة (الاحياء ، المهجر ، الديوان ، أبولو . التفعيلة . القصيدة المدورة .. الخ) . ولا نغني أن السودان لم يساهم بنصيب موفور في الثروة الشعرية . فحسبنا التجاني يوسف بشير (وأؤكد ان نجمه سوف يسطع أكثر بتقادم العهد وبتلا نكوز عبقرية) المسألة هي أن الشعر السوداني لم يتطور منفكلا ومنكفئا على نفسه ..

التوسل ، وتوسيل الكتاب ، والرقابة الخ . أن هذه الحفلات التي يفضي بعضها الى بعض وترتبط فيما بينها هي السبب فيما يبدو من عزلة وعزوف .

الحداثة في الشعر السوداني

كيف نفكر الحداثة في الشعر السوداني (في الشكل والمضمون ، في الموقف من العالم وفي طريقة التعبير) ، وما هي مساهمات جيلي عبد الرحمن في هذا العمل ؟ وما هي تحاربه الشعرية ؟ لا نستطيع تلخيص الحداثة في مصطلح .. فالحياة مرآة دأب بين القديم والحديث . المزدهر والمضمحل . بيد أن لكل جديد يحمل بذورا وعناصر من القديم في ردة جنلية ، يحمل امكانية التناقض بل وضرورته . فلما تغير الآن هذا قانونا .. ولكن الامر ليس بهذه البساطة في الأدب ... فاللغة تبقى . أعني اصولها . وانشاقاتها وقواعدها ، رغم التغير الكيفي الذي يحدث في بني المجتمع التحتية . فاللغة ليست لفنة او طبقة ، وإنما هي لكل الناس ، واللغة هي مادة الأدب ، وعليه فأننا نستطيع الآن استمساغة وتذوق الشعر الجاهلي على سبيل المثال .. قد تستعصى المعاني ، وقد تستعصى علينا مألوفات أو أسماء أمكنة سقطت من القاموس ... ولكن المعاني والصور والمجازات والرويا .. الخ تظل حية قارية .

لأعني هنا بحال . كما يتوهم البعض . اننا نترجم ألفا وليس مثلا في اذهاننا ونصوره .. وإنما أؤكد أن لغة وبيئته وطرائق تركيبه تسري فينا بواسطة الاداة . ومن ناحية أخرى علينا أن نميز بين ما يتغير ويجري بركة في البنى التحتية ، وانشاقها الاقتصادية ، وبين تطور الذي يسير وتائر متفاوتة في البنى الفوقية رغم اقراض التغير الكيفي والحتمي والتأثير المتبادل .

انتم أن نميز ايضا بين اشكال الوعي الاجتماعي البشري . ان الفن تعبير عن باطن الظاهرة ، يقتضي لتكن من الجزئي ، الثابت . نسبيا بالطبع . من العابر ، المهجري من العارض ، النموذجي الذي نصل من خلاله لتعطين مجسدا في الخاص المحسوس . ولذا تبقى والتصور .. وتبقى اللحظة الانسانية لا تلتفت كثيرا الى ما فرأ من تحولات خارجية . ان استيعابنا لهذه الثوابت انظرية يرشد تصوراتنا للحداثة ، التي قد يراها البعض اوضاعا وبدعة وشكلا فحسب (

الموهبة التي تعتمد بلا ريب على التجربة الانسانية

أذن فهناك تيارات تتفاوت ينبغي ان تتصارع وتتعايش وتتفاعل ، يجب ألا نلجأ الى أسلوب النمخ والمصادرة ، وان نتذكر قانون « نفي، النفي » جيدا وان ندع كل المحاولات تسير الى نهاياتها دون تصسف او افتعال وسوف يبقى في النهاية البعد الجمالي المتمثل في النص الانساني المعبر عن اعماق واشواق الانسان .

تحدثت عن مساهماتي في مجالات كثيرة في الاونة الاخيرة ردا على اسئلة وجهت الي ، وقد وجدت خلال زيارتي الاخيرة لسوريا اعترافا أعاد الثقة لنفسي واتمنى ان اسهم بديوانين على الاقل في العام القادم ، لأن النشر المبعثر لا يعطي صورة دقيقة عن نتاجي الشعري .. أحاول أن أتخطى مكناتي .. وأرجو اعفائي من بقية السؤال .

هل هي مرحلة انحطاط ؟

• هل يمر الشعر السوداني في هذه الفترة بمرحلة انحطاط وهل وصول الواقعية في الفكر السوداني والعربي كان متأخرا عن زمانها الأوروبي ، لأنها لم تعثر على الشروط الاجتماعية التي أنتجت الواقعية الأوروبية ولم تعش الثورة البورجوازية الضرورية لميلادها ، فقد ولدت هذه الثورة مجهضة فأعطت اثار قليلة ، ثم ما لبثت ان انتقلت من حلم الثورة الى انحطاط العلاقة التابعة لهذا كان مسار الواقعية في الادب السوداني وخاصة الشعر متعثرا وملتبسا ومتعدد المصادر ؟

ليس ثمة قاطرة حديدية تسير على أطر ، وتقف على خانات تسمى المراحل أو المدارس . في مجال الفكر بعامه والفن بخاصة نكد أنفسنا في البحث عن التناقضات والرواسب والاستمرارية مع ما يجد قطعا .. وهنا تؤدي قوانين الديالكتيك دورها بجدارة ان استوعبنا روحها .. قد يلعب العامل الثانوي دور الرئيسي ، والخارجي يؤثر أكثر من الداخلي .. أو قد تتوزع العوامل حسب وظيفتها التاريخية الملموسة في عملية التشكيل دون الغاء لجوهر القوانين فليس هنا ثابت ومطلق سوى الصراع والحركة والديمومة . لأضرب امثلة محسوسة متجاوزا الكلاسيكي منها كمنغوليا أو دور المنظومة الاشتراكية في حركة التحرر كما هو معروف ، مركزا على الأدب .

من المعروف ان القائلين بالثوابت من علماء الجمال يدرجون كل المدارس في ثلاث الكلاسيكية والرومانسية والواقعية بروافدها المختلفة ويرجعون أسسها النظرية الى الانعكاس بمفهومه لدى أفلاطون والمحاكاة لدى ارسطو ، والتعبيرية ، ونظرية الانعكاس المادية . ومع

ذلك فإنهم يرون لمحات هامة من مدارس ماضية في أخرى لاحقة وبالعكس . ان المدرسة لا تنفى كلها على الاطلاق .. أسننا نجد في الايلاذة نفسا عاطفيا بل ودراميا ، ونجد روبا في التراجيديات ؟ .. وماذا نلهم عن الرومانتيكية في الشعر الصوفي والغزي بل والجاهلي ؟ أليس البكاء على الاطلال نظرة رجبية تجسد في بقايا الحياة محتوى العدم ؟

لنقرأ عمر بن أبي ربيعة

ليت هذا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد
الى اخر الحوار

ولنصف هذه القصيدة .. فأين يمكن ان ننسها في سياق المدارس ؟

ان الذين يركزون على جانب واحد من التطور ويلغون به بقية الجوانب مفلسون فكريا ، انهم يضعون لافة تجزيء عن الحياة ، كاستبعاد القافية أو الموسيقى الرتيبة ، أو البناء الدرامي الخ وما أكثر ما عائبنا من مثل هذا النقد الصحفي في الخمسينات والستينات ، بينما جوهر الفن أكثر غنى وتعقيدا وأصالة .

مصطلح « الواقعية الاشتراكية » أطلقه علينا النافذ الراحل د . محمد النويهي ، أي على المدرسة السودانية بصفة خاصة .. لقد وجد التزاما وعناصر واقعية في الشعر فمزج بينهما منطقيا ، وسرى المصطلح واشتجر الناس حوله ! ماذا كنا نفهم من الاشتراكية المادية الديالكتيكية والتاريخية واسس اللبينية وعلم اللغة لستالين ، وكيف تكون شيوعيا ناجحا لليوشاوشي ، ومدخل الى علم الجمال لهزري لوفافر ، والام لجوركي وشذرات هنا وهناك .. ثم نصبنا أنفسنا علماء في أيدينا مفاتيح الغيب .. وما أبعدنا وقتن عن هيجل وماركس والتراث الأدبي والفلسفي ! انها ثورة الشباب .

ليس من الضروري في ميدان الفن ان يكون ثمة ناضجة لظروف موضوعية وذاتية تسنوي كل مقوماتها . ان الصراع يبدأ كما يقول لينين مع مجرد بروز التناقض ، بل هو كامن فيه .. والا فماذا نشر ظاهرة كونية كناظم حكمت .. انها بالتأكيد ليست ناجيا للمجتمع التركي فحسب ، بل تكونت بهذا العمل والشمولية بعدة أسباب منها العبقرية ، واللغة ، والزعم الكوني الذي انتشر من ثورة ١٩١٧ بكل أشكاله وملايساتها التاريخية متصلا بالطلبة الأدبية التركية . وفقا لنظرية « انضاج الظروف » توجب علينا ان ننظر المجتمع التركي المتخلف لكي يستوي ويضع ، ونعجز أيضا عن وضع بابلونيرودا في سياق تاريخي



اشتهرت كشاعر ملتزم زلزلته الأحداث الدامية المعروفة سيف الشعر السياسي ، واشتهر بسبب لقائه أو نشره ، وواصلت التعبير عن معاناتي الخاصة ولم يتيسر لي النشر لظروف متعددة .

اعتزمت . ان وهبت الحياة . اصدار ديوانين معظم أشعارهما لا يتصل مباشرة بالسياسة .. انها مواصلة وتثوير « للجواد والسيف المكسور » وأعني بالتثوير مفهومها جماليا .

• « الى الحبيب نجيب مرور مغتربا في وطنه » كان هذا اهداؤك في قصيدة « عتاب طير لشجرة ضائعة » ما الصلة بينك وبين الراحل نجيب مرور ؟

- تتصلال ذكرياتي العرة ، حينما اذكر هذا الفارس الأسمر ، ذا الوجه البرونزي الذي كان يفكر بعقل رجل ، ويحس بعاطفة امرأة كما يقال .

مصادم جبار ، لا يتهاون أو يتهانن أبدا ، خلق للمعارك ، والتوتر .. فهو محصلة عصره وتناقضاته .. ونجيب في البداية والنهاية في طبيعة الصف التقدمي وان حاول البعض اغراءه لتعدد مواهبه !

ان لهذا الريفي بوصلة لا تخطيء ، تتنبأ بالزلازل ، وتقرأ المستور ، لذلك كان يقع ليقوم كما يقول طه حسين .

وضعت نجيب وهو بعض أسباب نهايته المأساوية .. أنه لم يكن ديالكتيكا الا في ابداعه .. أما في الممارسة فكان ثورا هانجا .. ان حكم السادات مسؤول في المقام الأول عن مصرعه .. ودور التقدميين أن يعيدوا نشر انتاجه المتنوع ، ويكفلوا العيش الكريم لأبنيه : شهدي وفريد ، وقد سماهما تبركا بالشهيدين الشيوعيين المعروفين .

عن اليسار العربي

والى هذه النظرية الميكانيكية لأن شيلي متخلفة بهذه المقاييس !

انني أفض التروتمسكية ، وأرفضها نظريا .. ولكنني أحب روح الجدل المرتكز على التناقض والذي يفسر الواقع في علاقاته المتشابهة دون انتظار « لفرج » نظرية مسطرة ومحنتة .. ان النظرية مرشد والواقع يبرعها ومصدرها .

ما هو العيب في تعدد المصادر ؟ ألا ترون أن أراجون يبتز عن مايكوفسكي ' وما أتعسنا ان كان مصدرنا

واحد لفظ ! مرة أخرى : الفكر والفن ديالكتيتين فلنستبعد لتضاعفهما للرياضيات حتى لا تلوي عنق الحقائق .

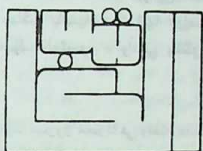
في النهاية لا تعني هذه الاطالة انني لا أجد تغيرا نوعيا ولا أراه ، ففطرة كهذه تعني الجمود واضفاء القامة والاطلاق على انتاج بعينه يشكل نموذجا دائما .. أبدا انني استوعب انجلس في تفسيره المتعدد للثابت لعبقريه الاغريق ، وماركس ومن قبله هيجل في الحديث عن طفولة هذا الشعب ، وكيف أن فنه لا يزال لباسا حتى الآن ، ومع ذلك فإن ماركس قد وضع الديالوجيا الاغريقية في مكانها التاريخي ، فلا ترهات الأماصنة للاستمتاع ايضا .

عده آلاف من السنين مرت علينا منذ كان الاغريق والراعاة ، ونحن ننسخ ونصائر ونلغي .. وقضاة مثل غا الطراز ماذا بإمكانهم ان يقولوا عما تبقى من التراث الدائم بعد خمسين ألف سنة ؟

الشعر والسياسة

« الشعر جبلي عبد الرحمن وخاصة بعد صدور الديك والسيف المكسور » ، ان الطابع الغالب لشعره سياسي . فم نفسر لنا هذا ، هل هي دور النشر ؟ أم الظروف السياسية ؟

الكتابة المحايدة في مجموعة " المعطف القديم " لصبيحي الشحروري



بقلم : سامي كيلاني

بإدارة لمجموعة قصصية، يضع الكاتب والناقد صبحي الشحروري وثيقة أدبية هامة بين يدي القارئ والدارس، فنتاج الشحروري القصصي ظل مبعثراً بين صفحات المجلات التي كتب فيها الى حين اصدار هذه المجموعة، واذكر انني قرأت احدى هذه القصص (سلة التين) في احد اعداد " الافق الجديد " واعجبت ببساطة الفكرة وقدرتها على اظهار عمق ارتباط بطلها ببيئة القروية الفلاحية وبسلاسة عرض القصة، ولذلك تلهفت لقراءة هذه المجموعة، وزاد الاهتمام بقراءة كل ما فيها من قصص، ما كتبه القاص بأن مجموعته قد كتبت في سني الستينات، فادب تلك الفترة قريب الى قلوبنا قرب الاب الى ابنائه، ويشكل انتاج الجيل الذي اصبح يعرف بـ " جيل الافق الجديد " عينة صادقة تعكس مميزات ادب تلك الفترة، وهنا، في الارض المحتلة، كلما ذكر اسم صبحي الشحروري ذكر معه جيل الافق الجديد. من خلال هذا التصور وعلى هذه الارضية بدأت بقراءة المجموعة، لكنني وجدت نفسي - وللأسف - اخرج بنتيجة تناقض هذا التصور كلما توغلت في قراءة المجموعة، وجدت نفسي امام شخصية تتكرر في معظم القصص، ولم اجد بين ثناياها ما يعكس مميزات ادب تلك الفترة، وحتى تلك القصص التي كتبت بعد عام ٦٧ فاننا لا نجد بين سطورها ما يعكس مميزات ادبنا تحت الاحتلال، وترددت في الرسو على الاستنتاج الذي توصلت اليه، خاصة وانني امام اسم ادبي معروف كناقد وقاص استعرض بالنقد على صفحات الدوريات المحلية انتاج الكثير من كتاب الجيل الذي ننتمي اليه " جيل الاحتلال " بطريقة لا تخطر من الاحباط في اغلب الاحيان، ولن ادعي الموضوعية الزائدة واقول انني اكتب عن هذه المجموعة متناسياً ما يكتبه صاحبها من نقد، بل على العكس فان محاسبة المجموعة ستنتقل بما يطرحه وخاصة قضية " لمن يجب ان ينحاز الكاتب ؟ "

ان ما يخرج به القارئ بعد اتمام قراءة المجموعة يمكن تلخيصه بكلمات موجزة : انها مذكرات معلم عاش بين السماء والارض في بلاد لم تعرف الظلم ولا الشرطة ولا السجون ولا الفساد في اجهزة الحكم ولا مخيمات اللاجئين ولا الخ من الامور التي تعج بها حياة مجتمع مثل مجتمعنا .

ان من اساسيات صدق العمل الادبي والتزامه ، قدرته على عكس الظروف التي كتبت فيها انكاسا جذليا ، وهذا الكلام هو الوجه الآخر لاعتبار الحدث كعنصر اساسي من عناصر القصة ، والحدث يتركز على الزمان والمكان ، والزمان والمكان لا يقتصران على البعد الذاتي لشخصية بينها ، بل ان لهما بعدا اوسع واشمل هو البعد التاريخي ، اما ان اقتصر بعدهما على البعد الزماني فان ذلك يعكس اعتراجا مرضيا للعمل الادبي ، وهذا الاعترا بيجلى في قصص المجموعة ، ويمكن استعراضه من خلال العناوين الفرعية التالية :-

حول دور المثقف

تكرر في جميع القصص شخصية المعلم المثقف ، حتى تبدو هذه الفصص وكأنها فصول من رواية تربط بينها خيط رفيع ، وهذا امر طبيعي اذ ان الكاتب قد مارس مهنة التعليم ولا يزال كما اعتقد ، وهذا امر يزيد من قدرة الكاتب على الامساك بخيوط كل حدث وحدث في القصص ولكنه في الوقت ذاته يريد مسوء وليته في كل ما يطرح ، ولا يعني تكرار الحديث عن شخصية محددة بالضرورة غياب غيرها ، فمن خلال الحديث عن معلم يمكننا تصوير الوضع القائم اذا كان هذا المعلم عنصر يتفاعل مع كل عناصر المجتمع المحيطة به ... اليس من الممكن ان يندثر هذا المعلم لأنه درس تلاميذه شيئا معاكسا لمشبئة السلطة ؟ ألا يمكن ان يفكر بنقابة تصون حقوقه وتفوق زملائه فتقمعه السلطة او تقمع زميلا له ؟ الا يمكن ان يكون موضع استهجان في نصف غير تقليدي خرج به عن المألوف ؟ الم يعيش الفقر وقساوته على وجوه تلاميذه ان لم يسه سبب ما يسه به ؟ الم يحدث ان استمع لقصة من احد تلاميذه عن اسرة التلميذ التي حلت بها ما ساء من انواع ؟ اسئلة كثيرة ولا نهائية يمكن ان تقفز الى الذهن يستطيع معلم ان يجيب عليها من خلال عمله اليومي ناهيك عن حياته اليومية خارج اسوار المدرسة حيث سيسمع في تلك الفترة عن الشرطة والفرسان ومطاردة الوطنيين واللاجئين وكأس الحليب والمؤن والبطاقة و " السجسه " ... كل ذلك ممكن وطبيعي وظاهر في النسبة العظمى من قصص كتاب تلك الفترة ، اما المثقف هنا في هذه المجموعة القصصية فهو مأزوم يتخيل ان يتفخ في رما د كما يفعل المعلم في قصة " الحملة " ، هذا المعلم الواسع الثقافة المتحوصل في اعترا به لانه لا يثق بالذبح حوله من تلاميذ ومعلمين ، وحتى المحاولات التي يقوم بها في اطار واجبه الوظيفي كمعلم فهي لن تنتج في النهاية كما يعتقد (في المدرسة سا ظل بهلوانا كما كنت منذ سنوات ، كلماتي الجادة لن تأخذ طريقها الى قلب احد ... سأشعل للعيون الغريبة المتعلقة بي حريقا ، ساصي لهم فوايس

متألقة تنظفي في آخر الحصة) * لماذا تنظفي الفوانيس في آخر الحصة ؟ لأنها تصدر من قلب واجف متوجس يعيش اندحاره - ص ٢٨) هذا المثقف المغترب عن تلاميذه وزملائه لأنه يعرف أكثر منهم (أنا تافه احفظ الاسماء وعبارات غريبة لا افقه لها معنى - ص ٢٧) ، انه يقف مكتوم اليدين ، اثناء حملة المطر التي تكاد تسحب المدرسة ، غائبا في ذاتيته (وفجأة انفرست اصابعه في طراوة لدنه ، وتغرى كتف ملتب وانفجرت شفاه ملمومة متوجعة وعطر الجو دفء لذيد اشاع لي خدرا غير حواجز الحذر ، ياالله كيف انسيته جارتي الحسناء المجاورة .. وتطلعت فانا المعلمون قد صنعوا سدا منيعا عند باب المدرسة - ص ٣١) اذن هؤلاء هم المعلمون الذين لا تأخذ كلماته طريقها الى قلوبهم ، ربما يعجزون عن فهم كلماته ، لكنهم على كل حال صنعوا السدينما هو غارق في عالم جارتها الحسناء اللاجئة ، من الواجب ان نشير الى اجزاء ايجابية في صورة هذا المعلم ظهرت في هذه القصة ، لكنها لم تكن الفاعلة ، (لاتخافوا يا صغاري الاعزاء فلن يصيبكم مكروه من اي لون - ص ٣٠) ، (اين المعلمون كيف تسمحون بذلك - ص ٣١) .

اما في قصة " المعطف القديم " والتي تحمل المجموعة اسمها ، فرغم مأساة ابي العبد التي يمكن الدخول فيها عميقا ، نجد القصة تتمحور حول معطف الاستاذ الذي يمر عليه فراقه ويضطره ذلك ان يدخل بيت ابي العبد (أأبتدره بالسلام انا الذي لم اوجد الحديث اليه مباشرة منذ سنوات ؟ أأذهب الى حجره وانا لم ادخله منذ اصبحت رجلا حتى ولا في الاعياد والمناسبات - ص ١٦) ، لماذا كل هذا الصراع الداخلي ، هل دخول بيت ابي العبد صعب على النفس الى هذا الحد ، هل ذكريات المعطف تستحق مثل هذه المجازفة (١) في المقابل ، يمكن ان نفهم ان يثور مثل هذا الصراع اذا قرر الشخص زيارة بيت انسان جشع ظالم يكرهه حتى العظم من اجل ان يبتز شيئا للصالح العام . اما المأساة التي يجسدها ابو العبد والتي هي في التحليل الاخير من صنع مجتمع طبقي ظالم ، فلا تجر الكاتب للدخول فيها او البحث عن اسبابها الحقيقية او حتى التضامن معها ، كل همه ان يحصل على ذلك المعطف الذي تبرع به في لحظة نخوة مندفعة لابي العبد يوم عرسه ، وهذا امر طبيعي فالمعلم ابن لصاحب ديوان يحتل فيه ابو العبد مكانا تشاركه فيه الاحذية (في ديوان ابي الصغير ... كان دائما اول القادمين .. كان يتنازل عن مكانه لأول قادم ايا كان مركزه وسنه ... كان الظالم ينتهي به الى قاع البيت المكتظ بأحذية خشنه ضخمة من كل الاشكال - ص ١٢) ، وفي هذه القصة ايضا تظهر اجزاء ايجابية لكنها ليست فاعلة ، يدفع المعلم ما يجيبه من نقود لابي العبد وهو على فراش الموت ويفتقده كمعلم رئيسي من معالم القرية حين كان يطوف بأزقة القرية . نفس الاعتبار نراه في " تمارين في كتابة سيرة ذاتية " ، فالكتابة مطابقة للعنوان بانها ذاتية وربما ذاتية جدا ، خاصة اذا نظرنا الى تاريخ كتابتها (٢١/٦/٧٦) ، والانتقام السلبي لمتاعب وهموم مهنة التعليم (لقد صنعت هذا بنفسي . هنا لا اقوم لاحد الا بارادتي . ولا اتحرك بمجرد

* ص ٢٧ ، الترقيم حسب : صبحي شحروري ، المعطف القديم ، منشورات البيار ، القديس .

ورقة متهورة بامضاء . هنا يا تيني الناس دون ان اذهب لاحد - ص ٧٠ . و " هنا " تشير الى مكتبة
خامسة .

وتبرز من بين ثنايا القصص مشاعر التبرم من مهنة التعليم ، فهو يكرر موقفه من عملية التعليم بشكل مباشر في قصتين متباعدتين في المجموعة وربما متباعدتين في تاريخي الكتابة : قصة " الحملة " وقصة " زاكى باع عود " ، ففي قصته " الحملة " يصف الجرس (الجرس قدرى الذى اودع النقائص سينهي يومى بتلكوء كئيب . اسوق بعضي كل الاسراب الادمية التي تعمر المدرسة . . ص ٢٨) ، هذا الجرس الذى كانت حتى المناهج الرسمية تمجد دوره وكنا نحفظ ذلك النشيد الذى عنوانه " ماذا يقول الجرس ؟ " (يقول يا اولادى - يا امل البلاد ، هيا الى الدروس - مصلحة النفوس) . ويظهر هذا التبرم من مهنة التعليم بشكل واضح في قصة " معلم وتحية " (بعد حين يهب الهواء الشرقي محملا برائحة الروث الكريهة . . . وهو يفضلها على ذلك الخليط المتناوج من الروائح التي تنبعث من بين مقاعد الدرس - ص ٤٧) ، ولا ينقذه من هذا التبرم جمع التلاميذ او وجوههم البريئة الواعدة او محبته لهم او ثقته بأنه . يبنينهم لصناعة المستقبل او اى شيء من هذا . . . ما ينقذه ويجعل اساريه تنفرج مجرد كلمة مؤدية مرتبة كتبها تلميذ لا بد ان لا يصدر تلك الروائح ، ذو جسم صغير نحيل وبشرة بيضاء صافية وقسمات بريئة متناسقة ، ابن زميل سابق له ، كان يراه في بيت هذا الزميل ، ولانه ابن معلم استطاع ان يكون مؤدبا وكتب على كتابه ، الذى استلمه من المدرسة واعاده ، عبارة " سلم يا كتابي على من يأخذك " (يا سلام وصل السلام يا سيد فاروق ، وهب واقفا والكتاب في يده ، ولكنه ما لبث ان طرحه جانبا لينطلق صوته مجلجلا مدويا رغم كآبة الجدران وخيل اليه وما يزال ان المهنة التي يمارسها لذيذة مثمرة - ص ٥٣) ، انها ومضة نور رائعة في مكانها وزمانها من القصة ، لكنها ، وللأسف ، تستند الى اساس فردى ، لا تستمد قوتها من المجموع ، بل من عينة لا يمكن الافتراض ان اختياراتها كان عشوائية ، فاروق ابن المعلم ، ابن الشريحة الاجتماعية التي ينتمي اليها الكاتب .

حول مواضيع القصة القصيرة في تلك الفترة :

مجموعة " الخبز المر " * للشهيد ماجد ابو شرار هي من القصص القصيرة التي كتبت في نفس الفترة التي كتبت فيها قصص " المعطف القديم " ، والكاتبان ينتميان لنفس الجيل من كتاب القصة القصيرة الفلسطينية ، وان القاء نظرة سريعة على قصص " الخبز المر " يظهر لنا المجالات التي كان يطرقها كتاب تلك الفترة ، ولا احسب ان الامر سيختلف لو استبدلنا " الخبز المر " بمجموعة لمحمود شقير او يحيى يخلف او نمر سرحان او اى من كتاب تلك الفترة . تتحدث خمس قصص (من اصل ١٢) عن عينات لاجئة محرومة ، أسراً وأفراداً ، وتتحدث اربع قصص عن عينات مسحوقة ، مضطهدة ، بطل يضحي من اجل رفاقه ، والثلاثة الباقية تتحدث عن هموم ذاتية لشباب يتمزقهم

* ماجد ابو شرار ، الخبز المر ، منشورات الاسوار ، عكا ، ب . ص ٥٠ .

الضياع والازمات النفسية. ان هذا التوزع لمواضيع القصص يجعل " الخبز المر " عينة صادقة لأدب تلك الفترة التي توزعت الكتابة الواقعية وبين تقليد القصص الاجنبية التي كانت تترجم في تلك الفترة ومن بينها قصص الكتابة الوجودية، وفي مركز الكتابة الواقعية كانت الكتابة عن اللاجئين وأحوالهم المعيشية الصعبة وحنينهم الى وطنهم الذي طردوا منه .

ان موضوعا مثل موضوع اللاجئين يحتل موقعا هامشيا جدا في قصص " المعطف القديم "، فاللجوء ظهر في صور ابنة جاره اللاجئ (ص ٢٧) وفي صورة بيت اخواله (ص ٨٤) وفي صورة سائق السيارة في قصة " الزامور " (ص ٣٨) . وبالإضافة الى الموقع الهامشي للموضوع، فان اللاجئين الذين اختارهم الكاتب في قصصه ليسوا من لاجئي المخيمات، ليسوا من تلك الفئة الأكثر انحفا بين اللاجئين، هذا لا يعني بالطبع اننا نستثني اللاجئين الذين لا يعيشون في المخيمات من المأساة الوطنية، انهم يمثلون جزءاً منها، فالتدمير الذي لحق بالبرجوازية الناشئة آنذاك هو جزء من تدمير الشخصية الوطنية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، لكنهم ليسوا التجسيد الأكثر عمقا لهذه المأساة حتى نكتفي بالحديث عنهم .

اما الاسرافقة، والتي يمكن ان تنعكس بشكل غني من خلال اينائها، تلاميذ المدارس التي يعلم فيها المعلم الذي تظهر صورته في اغلب القصص، هذه الاسراف لا تظهر الا بصور محزونة أو مشوهة اسرة المعلم في " سلة التين "، اسرة ابي العبد في " المعطف القديم " .

حول البناء الفني للقصص :

التصوير الواقعي، هو الطريق الذي سلكته القصص في تصوير الاحداث والاشخاص، ويعتري هذا التصوير الواقعي مسحة من الكتابة الوجودية في بعض القصص. ولذلك نرى اللغة التي عكست هذه الصور تراوح بين التقريرية والشاعرية في شكلها الخارجي .

اما اسلوب القصص فقد كان سردياً، ولكنه ليس سرداً مملأ بطيء الحركة، بل هو سرد متماسك من ناحية كثافة الحدث، والمفردات والتراكيب اللغوية اختيرت بحيث تلائم تماسك السرد. كما ان السرد تم اغناؤه بالتفاصيل، وهذه التفاصيل الدقيقة خدمت في تعميق الفكرة التي طرحها القصة لكنها كانت مجرد ثقل ترزح تحته الاحداث عندما كانت مجرد تفاصيل هامشية من مذكرات يومية غير مركزة في اتجاه معين كما في " تمارين في كتابة سيرة ذاتية " .

ان نجاح هذه القصص من ناحية بنائها الفني امر واضح، وعلينا ان نتعلم منه، فشخصية المعلم التي تكررت في كل قصص المجموعة اصبحت واضحة الاعماق ولم يبق الكاتب على سطح الحدث في معالجتها . وميزة كهذه كان من الممكن ان توظف وتثمر كثيرا لو كانت مواضيع القصص أكثر التزاما بالقضايا العامة .

بقي ان نشير الى ان هذه الدراسة لمجموعة " المعطف القديم " قد حاولت جهداً الالتزام بما جاء في بداية مجموعته، وخاصة الحديث حول " ان الظروف السياسية والاجتماعية تحولت

أغاني الخضيف أو .. خض السقا



م
التراث
الشبي

بقلم : عمر العطاونة

من خلال هذا العمل المتواضع سنلقي الضوء على جانب من جوانب تراثنا الفلسطيني، جانب له أهميته كبقية الجوانب الأخرى، إلا وهو أغاني " الخضيف " تلك هي الأغاني المليئة بالحبوبة والنشاط وحب الطبيعة والتي لا تخلو من الحزن لصعوبة الحياة التي عاشها الإنسان الفلسطيني وما زال يعيشها ... هذه الأغاني التي ما زالت الحانها تطن في الأذان من شفاء أمهاتنا قبل أن نخوض في الحديث عن الأغاني في هذا الموضوع لا بد لنا أن نعرف ما هي متطلبات هذه العملية ؟

أولاً : السقا، أو الشكوة حسب ما يسمى في بعض المناطق من بلادنا، وحاولت جاهدا معرفة سبب هذه التسمية (الشكوة) لكن باءت الجهود بالفشل ، ... وهو عبارة عن وعاء يتم صنعه من جلد الماعز بعد وضع الملح عليه وإزالة الشعر ووضع " الدباغ " أي الصباغ الذي يؤخذ من قشور سيقان وجذور الصنوبر أو البلوط، وهو يشبه قربة الماء التي كانت تصنع أيضا من جلود المواشي.

ثانياً : الرواكيب، وهو جمع راكوب، وهي ثلاثة أغصان من أغصان الأشجار تكون منجّرة خصيماً لهذه العملية حيث تلتقي رؤوس هذه الأغصان العلوية مع بعضها البعض وتكون بشكل خيمة.

ثالثاً : الحليب المخمر أو الرايب إضافة إلى العنصر البشري .

إن إتيان هذه العملية جاء عن طريق احتراف أهلنا مهنة الرعي واقتناء المواشي إلى جانب الزراعة اللتين تشكلان عماد حياتهم الاقتصادية

والآن تعالوا معنا لنسمع سوية ما كن يرددنه امهاتنا وجداتنا في خلال رحلاتهن المستمرة في هذا المضمار حيث تلك الالحان الهادئة ...

دق عكازه وبارك لي فيكي
من طيب العرعى ومن روس الشجر
من طيب العرعى ومن كرم الله
من طيب العرعى ومن روس الجبال

ياربدي مر النبي عليك
من وين جيت اليوم يا سمن البقر
من وين جيت اليوم يا خير الله
من وين جيت اليوم يا سمن النعاج

ان هذا الغناء يطلق عليه اسم الترويد ... وتتابع المرأة الفلسطينية قولها خلال عملها
رافقة مشاعرها نحو اغنامها وراعي هذه الاغنام والذي يكون زوجها او احد ابنائها

بحب (.....) وهو على العين يسقيك
بحب (.....) يسقيك يا ليل
بحب (...) على البير يسقيك

بحكن يا غنم وبحب راعيكن
بحكن يا غنم بحكن يا ليل
بحب (..) يتنقل حواليك

توحش غنمنا وترعب قلب راعينا
نوكل غنمنا وترعب قلب راعينا

يا دب لا تعوى ولا ترعب مراعيننا
يا دب لا تقيل مقابلنا

كما وتصور المرأة الفلسطينية الكرم العربي والذي يتسم به شعبنا كغيره من الشعوب
التربية

ولا غشى غطاها من الفار
مطلع جرار السمن وجران المحسن

جرار السمن ما عنقن عندي
خليلي ست ابو (.....) خليلي

كما وتصور البخل في هذه الرحلات قائله ...

طلع على الطاق سمن ابو (فلان)
تطلع على الطاق عنراو (...)

حسن ولا ينداق سمن الخيل
منى على رجليها عز الخيل

وفي خلال اي رحلة من هذه الرحلات التي تقوم بها المرأة الفلسطينية تقوم بتصوير الكثير من
اشبه الماش، حيث تصور (رجالها) زوجها كان ام ابنها وهيته ومنزلته الاجتماعية داخل
المجتمع الذي يعيش فيه حيث تقول

ما عليهن طيم كن قال ابو (..)

لسي الخلا برعمن غنم ابو (...)

في الخلا جراس غنم ابو (٠٠٠)
يا بّي (٠٠) يا شقة من الليّة
يا بّي (٠٠٠) يا شقة من ذراعي
دار ابو (فلان) على العرفين تتمحتر

ما عليهن باس كن فال ابو (٠٠)
من هيتك يسرح الطرش بلا رعية (١)
من هيتك يسرح الطرش بلا راعي
لن عطشت الخيل يسقيها ولد جاهل

وحتى المهرة وصفتها المرأة الفلسطينية قائلة ..

لاحت مهرته يا بنت لاحت
عدت مهرته يا بنت عدت

يا ريحة عرقها مسك لو فاحس
يا ريحة عرقها مسك لو عدر

كما وتذكر ان المراه كانت دائما عوناً للرجل في معظم اعماله فهي ترعى الغنم مثلما يقوم هو
بهذا العمل فنقول ...

حي للعم يحي يا صصة يا اسمراية
والعم فوطرس واعليس المراح
والعم فوطرس واعليس الصفوف
يا حمام يا حمام وس البسة نام

سوّي للعم مرع فظاب وشلالة مة (٢)
وراهن هالنبية تجر السواح
وراهن هالنبية تجر الصباح
تحت ظل القطوف فوق ريش النعام

كما تفخر المرأة الفلسطينية برجالها كبرها من نساء العالم تقول في ذلك

محلي (٠٠٠) لو طلع من عند امه
محلي (٠٠٠٠) لو طلع من عند اخته
(٠٠٠) على الباردة ايده اليمين خياره
(٠٠) على البلمة بالسيف والزردية
وردنا على السارة بصرب حجارا
سفت (٠٠) على العين بتوصي
شفت (٠) على اليسر يصلي

لمعت سيوفه ورشق الدم على كف
لمعت سيوفه ورشق الدم على شته (٢)
يا فرحتك يا امه عازم شباب الحارة
يا فرحتك يا اخته (٠٠) ابن سرة (٤)
الله يجير (٠٠٠) يا حامي الجار
يا بريقه جديد وخاتمته فسه
يا بريقه نحاس وخاتمته عسلي

كذلك تتابع المرأة الفلسطينية رحلتها الغنائية اثناء عملها قائلة ...

قاعد رسول الله على سجادته
يا فاطمة الزهراء فولي لايوك محم
يا ابتي ولد عمي فقير

بكما بارك الله في القمح والشعير

فاتح كتاب الحق وبشفع لأنت
يا فاطمة الزهراء ابن عمك حاطك
بارك الله في الفقير وابن الفقير

قال البسيه يا بنتي على الطويل
قال البسيه يا بنتي على الجسم النحيل

فَرَى رسول الله على شبر حرير
فَرَى رسول الله على ثوب الحرير
لا تكاد هذه الرحلات ان تخلو من الغزل العذري فطالما صورت الكثير في هذه الرحلات فلا بد لها من الاستمتاع بشيء من الغزل فتقول

كحلقة عنقه بلباقة
تحت ظل الريحان
والقدح دايبر ملبان
قال طالع لي غزال
قال على الفرة ربال
قال شبع من رويس الجبال
قال مشروب مئة زلال
ما احلاه من باليل
بيعدوا هـ باليل

فت الراعي على السماقة
طحت انا والحب شطح
عمل القهوة قرنفل
تللو قاضي صلاتك
تللو شو وصفة غزالك
تللو شو قيلولو غزالك
تللو شو مشروبه غزالك
ما احلى عيون (٠٠٠) بالكحل
هول عيون (٠٠٠٠)

كما وتحشد همم غيرها في عملية خض السقا او ربما تكون تحدث نفسها قائلة :
خفي سفاكي يا بنت يا مدلل
والنبي يعباك يا بنت يا مدلل

فذا وتقوم بوصف المصالحة (المراضاة) قائلة

نص الغنم مخلوبة
تني اراضي المحبوبة

دوبه يا عيني دوبه
حليهن بدياتي

اضافة الى هذا كله فالمرأة الفلسطينية فقدت الكثير من رجالها اثر الحروب المتعاقبة خلال سيرته النضالية الطويلة لنيل حقوقه المشروعة ، بتحقيق طموحاته وامانيه الوطنية المتمثلة واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني .

فراها تستغل هذه الرحلة لكي تذرف الدموع الحبيسة وتنفس عن هذا الالم المكبوت في الصدور فنسمعها تقول .

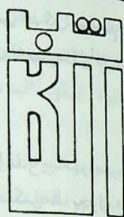
عاود يا (٠٠٠) عموك صوف
عاود يا (٠٠٠) عموك عسكر (٥)
يا (٠٠٠) طلع ما رجعت على
ولا على في العمر حرفان
يا طوق (٠٠٠) واكسر من صه
يا طوق (٠٠٠) واكسر كلاه

لاطلع على الخلا واسايل الملفوف
لاطلع على الخلا واسايل الزعر
وارعس يا غنم يلي فعا الصيرى
واللك رمان ما ظفتنا يا الغالى
سارود في العرقوب سمعنا حسو
سارود في العرقوب سمعنا هـ

المراجع .

- (١) الطرش - قطع الغنم
- (٢) قطاب : نوع من النباتات
- (٣) بشتة - حرامه
- (٤) البلمية - الفرس نوع من الحمير ويطلق على الفرس الحمراء لتشابه اللونين .
- (٥) أسايل - أسأل

مأساة شاكر وشكرية في مسرحية عندما يبعث الموتى



بقلم : محمد صبيح

بكل تأكيد فالصدق هو العمود الفقري للعمل الفني ، فالاعمال الخالدة من موسيقى وادب مسرح ورسم ونحت ، استمدت خلودها في الدرجة الاولى والاخيرة من صدقها ، فأدب الصنعة والبركة والمحسنات اللفظية لم يعمر طويلا ، كما ان التماثيل التي صنعت لعلم البديع ، كانت نانيل تلج سرعان ما اذابتها اشعة الشمس لتتحول الى مياه تختلط بالتراب والنتيجة ... وحل ، ولكن هذا الوحل ايضا سرعان ما تبخرت مياهه ، ليبقى التراب ترابا والتماثيل بخار ماء في هواء المسمومة ، اما الصدق فلقد نحتت تماثيله من الصخر الصلب لتزيده السنون وتغير الفصول جمالا وتلقي اضاء تفسيرية جديدة على ابداعاته ، فالاعمال الخالدة مثل (اوديب) لسوفكليس و (الام) لجوركي و (القاعدة والاستثناء) لبرخت ، تزداد خلودا كل يوم ، ففي كل قراءة لهذه الاعمال يكتشف المرء جديدا ، اذ ان هذه الاعمال اخرجت من الاعماق ، فبقيت متوهجة متقدة ، لان وفودها الصدق وعمق التجربة الانسانية العملاقة والالتحام بالأم الجماهير .

وفي المسرح كما في كل الفنون ، كانت الواقعية الاشتراكية هي الحل الامثل لمشكلة توافق الشكل والمضمون والتحامهما ، وابدا لم تجد الواقعية الاشتراكية من خيال الفنان ، بل لعلها اكثر المدارس اطلاقا لحرية الخيال وحثا على التحليق والابداع ، وتكمن عظمة الواقعية الاشتراكية ، بأنها فن الطبقة الصاعدة ، فن الطبقة الكبرى ، فن الطبقة العاملة ، فهي ابداء واضحة نصب اعينها دور هذه الطبقة وحتمية قيادتها التاريخية ، فهي الطبقة التي تسطر التاريخ وهي القيادة المستقبلية لهذا العالم .

والواقعية الاشتراكية في الفن ، لا تكتفي بتصوير الواقع وتبسيط الاضاء عليه ، فهي لم تقبل

لنفسها ان تكون آلة تصوير فوتوغرافية بخسة الثمن ، بل انها تصور ما يجب ان يكون عليه الواقع . اضافة الى انها تتلمس النقاط الاكثر حساسية في هذا الواقع ، لتكون نظرتها صائبة متبصرة ، فدراسة الظواهر الاجتماعية وفهم حركة التاريخ وادراك المتناقضات القابعة في حركة المجتمع والتعامل مع كل ذلك بصدق واع ، هو السمة المميزة لهذه الواقعية ، كما انه السمة المميزة لكل الاعمال الراحدة في وجدان الجماهير .

والمرشح الفلسطيني في كل اعماله لم يخرج ابدا عن هذه القاعدة ، فهو مسرح الجماهير . يلتحم بها ، يتعلم منها ، يتحسس مشاكلها ، لتكون اعماله مرآة تعكس ما يجول في خلد هذه الجماهير وما يشغلها ، ففي اعماله السابقة جميعا ، كان مواكبا لما يدور في الساحة الفلسطينية ، ليكون المسرح الاول الذي يعبر عن ازمة الصحافة في مسرحية (الرقاصين) ، وليكون المحتفل الاول بانتصار الارادة الفلسطينية والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني في مسرحية (مجمع القضايات) ، وليكون كذلك طرفا في نضال عمالي قوي خاضته نقابة عمال الفنادق ونقابة شركة الكهرباء في مسرحية (حفلة ارتجال من اجل العمال) .

وفي هذه المرة ، وفي مسرحيته الجديدة (عندما يبعث الموتى) ، يجسد المسرح الفلسطيني رفض الجماهير لكل المبادرات الاستسلامية ليحارب والجماهير نهج التقزم والمساومة على الحقوق لتكون المسرحية تعبيرا صادقا عما يختلج في صدور الجماهير من رفض للموت والعنف والرجس والمساومة على الحقوق ، لقد حافظ المسرح الفلسطيني على نهجه في هذه المسرحية ، فاحس بما يختلج في نفوس الجماهير ، معلما من معاناتها ، مجسدا هذه المعاناة في عمل خلاق ، فافراؤز الواقع لتتحرك آلات التصوير راسمة المستقبل ، المستقبل المشرق الذي ينتظر شعبنا كما ينتظر كل الشعوب ، ولكن هذا المستقبل او الواقع المشرق ، لا يأتي عبثا ، بل ان طريقه مغروسة بالنضال الدؤوب للقوى العاملة ، نضال دؤوب وقوي من هذه القوى في سبيل مستقبلها .

والمسرحية منذ بدايتها تضعنا امام صراع قوى ، عنيف ، لا فرصة لعرض الشخصيات ، لا وقت للتمهيد ، بل تتصاعد الاضاءة على حدث ، والحدث هنا حياتي نصطدم به يوميا ، في العمل ، في البيت ، في الشارع ، وهو مأساة ايضا ، مأساة نتلمسها في كل مواجهه حياتية ، فمنذ بداية المسرحية لا يكون هناك اى مجال للاسترخاء ، فامامنا (شاكر) ، ملاحق من قوى تهدف تصفيته ، والتصفيه هنا جسدية ، والقوى مسلحة بعصي تهدف القضاء على (شاكر) المتباعد امام هذه القوى ، يحاول الهرب ولكن لا منفذ ، ويدور الصراع بين العنف العجوز والمقاومة القتلة . العنف ممثل بالأن الكهل الذي يدعو شاكر للهرب ، والمقاومة الممثلة في فتاة غضة العود هي احت شاكر ، فالاحت تحدث شاكر على المجابهة مبينة استحالة الهرب ، فالموت يكمن في الهرب ، يكمن في اللامجاوبة فالهرب لا يستطيع التوقف ، وان توقف للحظة فهو هالك لا محالة ، وحتى لو تمتع بالنفس الطويل وبالاقدام السريعة فالى اين سيهرب . . . ، الفتاة المقاومة تبين ان الهروب سينتهي بالهناج

وبالموت ولكن العجوز او الاب ، او الامتهان ، او التقزم كل المترادفات او المعاني المشابهة لذلك بحث شاكر على الهرب ، فالموت في المجابهة ولا خلاص الا بالهرب ، والحقيقة ان العجوز والفناء هما صراع النقيضين داخل شاكر ... وينتصر النقيض الاستسلامي ليهرب شاكر ويحاصر ، وينتهي الشهيد بانهيال العصي على شاكر ليتلفاها مهادنا لا مقاتلا ، ويبقى شاكر يتلقى العصي حتى يلفظ انفاه الاخيرة ، فيكون الموت .. موت شاكر ...

لقد انتصرت الروح الهروبية واستطاعت اقناع شاكر بالهرب ، ولكن اي انتصار هذا ، انتصار يحمل الهزيمة في داخله ، فشاكر لم يسلم نتيجة لهروبه كما وعده الاستسلام العجوز ، بل ان الموت كان النتيجة الوحيدة لهذا الهروب ، اذاً فهروب شاكر وموته كان انتصارا لمنطق المواجهه ، كان انتصارا لمنطق الفناء المقاومة ، وتكمن مأساة شاكر في التربية التي تلقاها ، ورغم ان المسرحية لم تسلط الضوء على الطبيعة التربوية لشاكر ، الا انها كانت واضحة من خلال تبلور شخصية الاب في الاحداث التي اعقبت هذا الشهيد ، فلقد اثار مقتل شاكر الحنق من قبل اخوته وزرع فيهم روحا عدامية للاخذ بالتأثر ، والتأثر هنا ايجابي ، هو قتال مشروع ضد قوى التسلط والهيمنة ، ولكن الاستسلام العجوز ايضا ينتصر في كبح جماح قوة الانتقام المقدسة التي زرعت في افئدة المجموعة ، وقد اظهرت المسرحية دور الاب العجوز او الاستسلام المساوم في هذا الشهيد ، اظهرت دوره كمنوم منطبي ، يستلب الارادة القتالية للمجموعة بحركات الشعوذة وبالأقوال المكررة المقيته ، فمنطق الاستسلام ان المجموعة اهم من الفرد ويقتل شاكر لا بقتلنا كلنا ، اي ان العجوز هنا قد استعمل كلمات ثورية ك (المجموعة اهم من الفرد) ليزرع روحا انهزامية ، فنوم المجموعة هنا وقبولها بالبقاء ردا على مقتل شاكر هو الروح الامتدادية لشاكر والتي ادت الى مقتله ، وهي نفس الروح التي ستودي بحياة المجموعه .

والعاسة الثانية في هذه المسرحية هي مأساة (شكرية) ، التي تمردت على الظلم الذي تعانيه بوسيا من قبل زوجها ، لقد تمردت شكرية على الامتهان النفسي والامتهان الجسدي ، رفضت ان تداس بالأرجل ، رفضت الاستهتار واللامبالاة بمرضاها ، بقدرتها ، رفضت العبودية ، فزوجها يعاملها كعبدة لا كرامة لها ولا كيان ولا يناديها الا بابنة الكلب ، ليتراكم رفضها وحنقها وشعورها بالمهانة دائما اياها للصراخ في وجه هذا الزوج بان ممارساته ظلم لا تستطيع ان تتقبله وليس لديها القدرة على الاستمرار في التحمل ، فتكون النتيجة طردها من البيت ككلبة جرباء ، ليستقبلها العجوز الامتهان بكل صلافة محملا اياها الذنب كل الذنب ، سالب اياها الحق في الاحتجاج على الظلم ، مشرا اياها بان ما صنعتها جريمة رهيبه وإثم ما بعده إثم ، فالتمرد على الزوج قد يعني الطلاق ، الذي يعني الاساءة الى سمعتها وسمعته وسمعة العائلة ، عدا عن الناحية الاقتصادية في الموضوع ، فيسيطر العجوز الى اعالتها ، اي انها ستلقى في وجهه وتكون عبئا عليه ، لتشعر شكرية بانها كيان غايل لا يحق له الاحتجاج او السعي للكرامة الانسانية ، تدفع شكرية الى استنكار احتجاجها والعودة مسلوية لأبسط مقومات انسانيته معتذرة عن جريمة الاحتجاج .

ولكن هل يكفي الاعتذار ، وهل قبول الانسان للتنازل يرضي الطرف الآخر ، كلا ، فالتنازل يعقبه تنازل ، يعقبه تولد شعور بالقوة لدى الطرف الآخر ، شعور لا يرضيه الا الاجهاز النهائي على الطرف المقابل ، فتزداد عنجهية الزوج ويطالبها بالتسرية عن رفاقه في السكر والعريضة ، يطلب منها هذا الزوج ان ترقص لمجموعته السكير الماحنة مهددا اياها بالطلاق ان هي رفضت ، فتتورد روحها مرة اخرى على ذلك ، ولكن نتيجة التمرد معروفة ، ازدياد عنجهية الزوج بحيث لا يقنئ بالرقص المجرد بل يجب ان يكون الرقص على جنازة الشقيق شاكراً ، وتدفع شكرية من قبل الاستسلام العجوز والزوج المستبد للرقص للسكران والمخمورين على اغنية (شاكراً مات .. مات .. ما خلف ولا بنى) . وبذلك تكون النتيجة التي سعى اليها الزوج المستبد بالاجهاز على شكرية اجهازا كاملا قد تحققت ، ويتراكم شعور شكرية بالهوان وبالتقزم .. تشعر ان انسانيتها وآلامها قد تحولت الى رقصة تنشي القوى المستبدة .. احست انها قد فقدت كل مقومات انسانيتها وكيانها ، وان هذا الكيان قد تلاشى كلياً ، فجسدها فرجة للاغراب وآلامها غناء للمخمورين ، ويتصاعد هذا الشعور بالتقزم ليطنى على كيان شكرية ، وعندما لا يبقى في كيانها الا الهوان والتقزم ، ترفض شكرية هذا الكيان ، ترفض وجودها برمته ، فترفع خنجرها وتهوى به على صدرها ، ليرقص السكران من حول الجسمان .

ومأساة شكرية بدأت بقبولها تسلط زوجها ووفاة الاستسلام العجوز ، وسارت شكرية حثيثاً بطريق النهاية القدرية عندما وافقت على اعلان براءتها من تمرد لها .. مأساة شكرية الكبرى في عدم ادراكها ان التنازل منحدر شديد لا يمكن للانسان ان يتدحرج به إلا للقاء ، لا يمكن ان يقد وسط الطريق .. فاما التدحرج الى القعر ... او

وأوه هذه هي الثورة ، الثورة على الوالد العجوز ، والزوج الاجوف المتسلط ، ثورة تلاء كيانها لا بالهوان بل بالقوة والشباب والمقاومة ، ولقد اتاحت الفرصة لشكرية لتصحيح المسار وعدم الوقوع في الحفرة ، بأن لا ترضخ لتهديد الطلاق وترفض الرقص المخزى ، لقد كان بوسعها عمل ذلك بل تسلحت بروح المجابهة ، ولقد كان بوسعها ايضا وحتى بعد رقصها ان تثور على الوضع وتمنع الموجودين وتهدم كل جدران الذل لتداعب نسمات الحرية شعرها الندي ، ولكنها آثرت الانتحار لتتوج استسلامها باستسلام اكبر ، لتتوج هروبها وهروب شاكراً بالهروب الاكبر ، لقد كان رفض شكرية سليبا وهروبيا .

ومأساة شكرية لا تختلف عن مأساة شاكراً ، بل هي امتداد لها ، اذ تقع مأساة الاثنين في المجابهة ، في الهروب ، لقد هرب شاكراً مع ملاحقية فقتل وهربت شكرية من الذل والهوان فانتهرت او (قُتلت) ، فالموت هو الحتمية القدرية للهروب ، فمأساة شاكراً وشكرية اذاً في عدم ادراكها لذلك ، مأساتهما انهما لم يقاتلا في سبيل الحياة .

ولكن هل تنتهي المسرحية بموت شاكراً وانتحار شكرية ؟ كلا ، فالموت سرطان لا يتوقف الا بالاجهاز

على كل مظاهر الحياة، فيبدأ الموت بالزحف للبقية، يبدأ بأصابع القدمين، يسرى كالنار في الهشيم ببقية الجسم، فيلحق شكرى بشكرى يتبعهما شكر الله لتحضن شكرية شاكره، ..
وتصبح المجموعة امواتا والبيت رايات بيض، رايات هزيمة بيضاء، تتجمد الحياة ويخيم الموت بكونه، وكم هو رهيب هذا السكون، كم هو رهيب صمت الموت الذي لا يبدده سوى لحن نشار ينشر البدن، ليرقص العجوز منشيا على هذا اللحن، كم هي عملاقة هذه الفكرة.. سكون المقابر، تنظمه، موسيقى منفرة، ليتحول العجوز الى شاب قوى العود، يرقص .. واين؟ فلا يرقص الا في المقابر .. لا ترقص الانهزامية الا على الجثث ولا ينتشي الخنوع الا بين الاموات.

اذا فنهاية المسرحية انتصار للخنوع والامتثال، نهاية المسرحية رقص طروب على الجثث، وشباب نضر للاستسلام العجوز، وهي نهاية غير مستساغة البتة، فالرقص تعبير عن الفرح والسعادة وهو نقيض للهزيمة وللرؤوس المتكسرة النظرات، كما ان مسار التاريخ في حركته يتناقض كليا مع ذلك، فالانتصار لن يكون ابدا حليفا للخنوع والرضوخ والهروب... وينطلق الصوت شامخا كقمم الجبال، قوى كأموج البحر، يفيض بالشباب والنضارة والسحر .. اجل .. من الموت تنطلق الحياة

ويجن العجوز فلا يريد ان يسمع صوتا، اذ انه لا ينمو ولا يقات الا على صمت المقابر، ولكن للمقابر ايضا صوتها، فتتزايد قوة الصوت وتبدأ المجموعة بالخروج من القبور مستعينة بقوى الطبيعة لتتمكن من الوقوف، فالطبيعة حليف ابدى لقوى الحياة، والطبيعة معطاءة ابدا، اذ هي ام الحياة، فبقوة الحياة تستعين المجموعة، وبقوة الموت ايضا، وتبدأ المجموعة بالوقوف ليتهاوى عجز الهزيمة، فلا مكان للهزيمة والانتصار في آن واحد، فحياة الانتصار هي موت للهزيمة، وبحاول العجوز المقاومة ولكن المجموعة تستنجد بالقوة الكامنة في الجذر الذي شق الصخر وبشمس الصيف الحارقة وبقوة الحقد على الذل والعار الذي تسربت به شكرية... ويكون البعث .. بعث القبور .. وتكون الحياة للقوى الشابة والموت للهوان وروح اللا مجابهة ..

وتلقي المجموعة بملابسها البيضاء على العجوز لتكون هذه الملابس كفنا للعجوز، لقد بدأت المجموعة بالمسيرة تاركة في قبورها كل الخنوع والذل والمساومة والمهادنة والتقوقع، فلا حياة بدون الموت، لا حياة للمجموعة الا بالتجديد .. تجديد اللون .. تجديد النفسية .. والتجديد لا يأتي الا بالميلاد والموت .. ميلاد روح المجابهة والتصدي، وموت التردد والخوف والهروب، لقد بنيت المقابر ماثلة ولكنها لم تعد تحوى الشباب، بل اصبحت قبورا لكل رموز العفن والسلبية.

لقد احسست بانني ولدت من جديد لدى مشاهدتي لهذه المسرحية، فقوه الميلاد والتجديد التي انطلقت من رحم المقابر، اطلقت آلاف المشاعر في ذاتي، احسست انني واحد من المجموعة التي ولدت من جديد، وادركت ان الميلاد لا يتأتى الا بالدوس على الروح السلبية القابعة في داخلنا، لا يتأتى الا بموت الهروب وسحق التقوقع والالتحام بالجماهير ..

الرجل عن الرجل



عطا الله قطوش

مساء الحطب

مساء البنفسج في صدر يافا

مساء العرب

قالها ... والدموع مآذني ...

ومسالكه في الضباب

ثم اردف يحيى :

معلقة سجلتها على عينه بندقية

بيروت تعلمها ...

وخطاه

وروح المواويل في النبطية

xxxxxxxxxx

اذن يا ابي تستمر البقية :

١ - شتاء على حقلنا

٢ - وزنود أبيّة

.....

واردف يحيى

ولكن لماذا نباح الرمال على الحقل ؟

لماذا المسامير تصرخ فينا ؟

لماذا المواخير ... والعنجهية ؟

.....



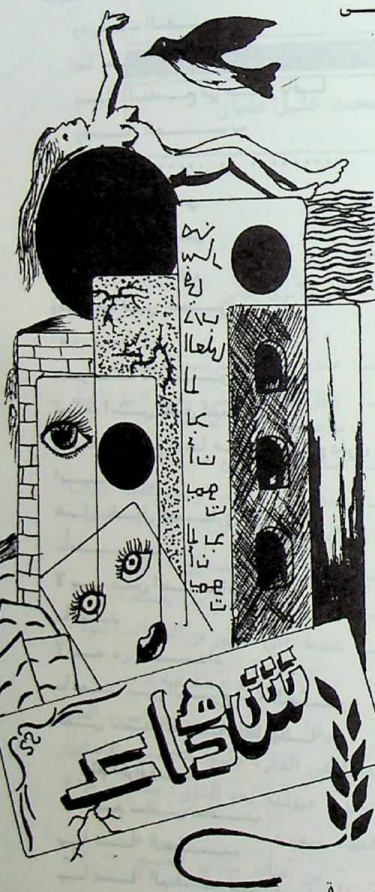
واردف يحيى
كم تَكُونُ البـوادي ؟
كم زادنا البرق نبضا ؟
لماذا يميل الخليج على كأس فودكا ؟
لماذا يميل المحيط بليدا ؟
وترقص بيروت في عريها المستقيم كحزنك
أبي

يرحف الميتون لانقاذ خندق
واحيا مغمورة المتنبى .. وجبران .. موتى
فنس هو حي ... يموت
ومن هو ميت يهز السماء لتمطر نرجس
.....

واردف يحيى
ماء الخطب
ماء البنفسج في صدر يافا
ماء العرب

xxxxxxxx

أبي
كل ما ضمني غاب عني
كل ما شذني في صباى المطوق
يكسرني ساعدى
في جنوني المسافر نحو الجنوب
الشمال حارب
واواني طرب
رأيتي الطريق جريحا
تقالت : من السيد المضطرب
قلت : عبيدك
قلت : وكيف بلغت الهوية .. والابجدية
قلت : فما زلت احرس نوق القبيلة
وجعزني تستعد لآحيا عيد العصافير
المبلل بالذعر ... والقهر ... والبربرية



ومساء العرب

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وما زال يحيى

يموت ويحيى

بغربته وخراثطه

ويشدُّ الزناد

بلاد .. تشيعه

وتبايعه كل يوم بلاد



.....

وجاء الخليفة ملء حروف التمني

يصيح كريح على وجه شبا كنا المنزوى

كدت لا اعرف الاغنية

كدت لا اهتدى لشفاه المغني

كدت انسى المعرى .. وشكل المعرة ..

وعاشق ولادة الاندلس

نسيت مداخل اسمي ... مخارجه

ودرست الشغب

يا مساء الحطب

ومساء البنفسج في صدر يافا

ومساء العرب

.....

ابني ...

طاردتني العناوين

قاتلة كالديون

ومبتورة في العيون

آه

مفتوحة كالسجون

كيف ابني لعاري كنيسة ؟

وكيف اضيع كما ضاع مفتاح داري ؟ !!!

ابني

هل يطول حصاري ؟

سأمتد

لا بد من امتداد

سأحتد

لا بد من اجتداد

سأسعى من الجرح ... للجرح

حتى تمد العروبة اعصابها

ثم اطرافها

ثم تسعى صخب

يا مساء الحطب

يا مساء البنفسج في صدر يافا

إلى أين يعود



بقلم : الاسير محمد خليل عليان

الاهداء

الى الطفلين ثائر ورائد وكل اطفال الأسرى الذين ينتظرون العـــــودة.

- نخلقوا حولها على شكل دائرة، اقتربوا
- منها ، اضيقت الدائرة، حاصروها ، مدوا
- ايديهم الصغيرة - شدوا اذيال ثوبها ،
- قالوا
- متى سيعود والدنا ؟!
- هي قالت :
- والدكم سيعود ..
- هم قالوا :
- متى سيعود ، انتظرنا طويلا ، ولم يعد
- قالت :
- سيعود - عندما يحين الوقت ...
- قالوا :
- متى يحين الوقت ؟!
- عندما تشرق الشمس .
- اشرقت الشمس وغابت ، ثم اشرقت وغابت
- مئات المرات ولم يعد ...
- عندما يهطل المطر سيعود ...
- هطل المطر وانقطع ، وهطل المطر وانقطع
- مئات المرات ولم يعد .
- عندما ينبت الزرع .
- نبت الزرع وحصد ، ونبت وحصد عشرات
- المرات ولم يعد .
- عندما ينور الليمون .
- نور الليمون يا امي ولم يعد ...
- عندما تاتي الطيور من الشرق .. سيعود .
- xxxxxxxxxxxxxxx
- تفرقوا من حولها ، ركضوا صوب التلة
- بعيدا عن الدار، جلسوا متحاذين متلاصقين،
- اتجهت عيونهم نحو الشرق، ينتظرون عودة
- الطيور .
- " من هناك ستاتي الطيور .. قال
- الكبير ...

اسنانه، التصق بأخيه الأكبر .

- عد الى البيت ، وارتدى المعطف ..
- لا لن اذهب ، سانتظر معكم عودة والذي
- خلع الكبير معطفه ، القاه على كنفتي
- الاصفر ، وعيناه لا تتحولان عن الشرق ...
- كيف هي طيور الشرق ؟ قال الاصفر ..

قبالة التلة ينتصب الجبل العالي ..
الجبل العالي مغطى بالصخور اللامعة تحت
اشعة الشمس المائلة نحو الغروب .

- " كالطيور التي عندنا " ، قال الصغير ..
- وراء الجبل يلوح الافق البعيد ازرق كالبحر .
- " طيورنا صغيرة ، لاتحمل بساطا " قال
- الاصفر .

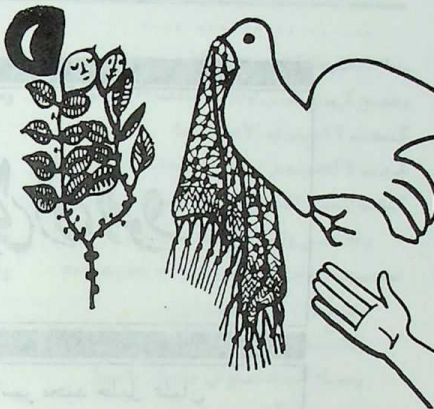
الافق البعيد ، الازرق كالبحر ، بدا لهم
وهم يرنون اليه بعيونهم الصغيرة ملتقاة بفتحة
الجبل العالي ..

- " كل الطيور كطيورنا " .. قال الصغير ..
- هبت نسمة اخرى باردة ، انكمش الاصفر ،
- احتضنه الكبير شعر بشيء من الدفء
- " ليست كل الطيور كطيورنا " .

في الافق البعيد ، الازرق كالبحر، المنطق
بقمة الجبل ، بضع غيمات بيضاء ... تتجول
في السماء ، ترسم اشكالا مختلفة .

- " طيورنا صغيرة ، اظفارها طرية ، ريشها
- ناعم " .. قال الاصفر .
- " وطيور الشرق كذلك " ..
- " لا.. طيور الشرق اظفارها قوية ، مفارها
- فاس وحاد ، ريشها طويل تحمل بساطا
- عليه سيتربع والذي .. " قال الكبير
- التصق الاصفر بأخيه الأكبر ، اشعة الشمس

الباهتة تنكسر على ظهورهم .
- " ستأتي ونعرف من هو اصدق " ... قال



- " تحمل بمناقيرها بساطا جميلا " قال
- الصغير ...

- " عليه يجلس والذي .. " قال الاصفر
- " انظروا حدا نحو الشرق " ، قال الكبير
- " الشمس تغيب ، قريبا سنجيب " ، قال
- الصغير .

- " وسجل الظلام " ، قال الاصفر .
- ستأتي الطيور قبل الظلام .
- " وادا لم تأت قبل الظلام ؟ " - قال
- الصغير .

- " انا اخاف ، سعود للبيت " قال الاصفر
- " لا ، ستأتي ، انا اعرف ، ستأتي " قال
- الكبير

- من قال ؟ .. قال الاصفر .
- " امي .. امي قالت " قال الكبير .
- " امي تكذب ، دائما تكذب " .. قال الاصفر
- " اسكت . امي لا تكذب .. امي لا تعرف "
- قال الصغير ...

هبت من الشرق نسمة باردة ، تطايرت
خصلات شعرهم .. ارتعد الأصفر .. اصطكت

الازرق شكل حمان يركل بقائمتيه الخلفيتين
غيمة اخرى تحاول الالتصاق بها .

xxxxxxxxxxxx

داعب رأس الاصفر - تسللت اصابعه
عبر خصلات شعره الاسود الناعم ، عدل من
جلسته - تنهد .. قال :

- كان والدى شابا جميلا .. شاربه اسود
كثيف .. قوى ...

ضحك الاصفر ، وضع يده على فمه ليذارى
ضحكته ..

- لماذا تضحك ؟

قال الصغير

- غير صحيح .

- غير صحيح ؟ استغرب الكبير ...

- نعم .. غير صحيح .. شارب والدى ابيض

- انت لم تر والدى الا في السجن .. من

خلف الشبك .. قال الكبير ...

رفع الاصفر رأسه ، تطلع في وجه الكبير ،

فتح عينييه السوداوين على وسعهما ، سأل :

- طيب .. وكيف كان شاربه اسودا ؟

- انت غبي .. قال الصغير .

- كان اسودا . ومع السنين صار ابيض ..

عندما تكبر انت .. سيتحول شعرك هذا

الى ابيض .. قال الكبير ...

- وستكون مثل الحاجة عيشة .. شعرها

ابيض كالقطن واسنانها مخلوطة .

- لا ستكون اسناني مثل اسنان ابي بيضاء

قال الاصفر .

ضحك الكبير ، مسك رأس الاصفر بكفه .

قال :

- اسنان ابي اصطاعية ، كانت اسنانه جميلة

الصغير ..
هو اصدق منك .. قال الاصفر - " طيور
الشرق لا بد اقوى .. " .

مد الصغير يده ، امسك بيده انف الاصفر :

- ساكر انفك ان لم تسكت ...

دفع الاصفر رأسه في حضن الكبير وضحك

ومارود يدير رأسه نحو الشرق ، غيمة بيضاء في

الافق - اتخذت شكل خروف صغير



- " احكي لنا قصة " .. قال الاصفر للكبير

- " ليس لدينا وقت .. ستأتي الطيور .. "

قال الكبير ...

- ستأخرين تأتي الا مع حلول الظلام ،

وربما لا تأتي " .. قال الاصفر

- " سننتظر الى ان تأتي ... وليحك كل

ما قصة " .. قال الصغير ...

صفق الاصفر ... ورفرف بيديه .. فرح

قال الكبير :

- ابدا انت ..

تناقصت الصخور المستلقية تحت اشعة

الشمس ، ولم تلامس الاشعة الا صخور قمة

الجبيل . وأخذت غيمة اخرى تسبح في الفضاء



- في السماء؟
- نعم ، فوق تلك الغيمة .. انظر إليها ..
- لا .. لو كنت هناك لسقطت على الأرض ..
- كنت اذهب معه كل يوم الى البستان ..
- اجلس تحت تلك الشجرة
- اى شجرة ؟
- سأل الاصغر .
- هناك في طرف البستان .. شجرة لوز
- ماذا كنت تعمل هناك ؟
- انا تأكل لوزا ؟
- البستان بمحاذاة الجبل العالي ، ينتصب وسطه بيت كبير ، تحيطه اشجار اللوز وكروم العنب .
- لم اكن آكل لوزا .. كان عندنا لوزة كبيرة قُطعت عندما نسف اليهود بيتنا
- كنت آكل منها لوزا اخضرًا ...
- جفل الأصغر .. قال بأسئ:
- لو كان عندنا لوزة الآن لربط بها ارجوحة
- لم اربط بها ارجوحة ، كنت اجلس تحتها مع ابي وامي عندما يعودان من المل
- لو ربطت ارجوحة احسن .
- كانت امي تحكي لنا عن الشاطر حسن
- وانا كنت احب ان اسمعها تحكي ...
- انا احب امي .. وانتما ؟
- ونحن . قال الصغير ...
- وهي تحبنا كثيرا .. قال الأصغر
- وتحب والدي .. ولن تتزوج غيره
- والدي قال لها تزوجي وهي رفضت ، قال الكبير ...
- ابي لا يقول ذلك - قال الاصغر بنبهة
- حادة
- ابي لا يوافق ان تتزوج امي .. هو يحبها ..
- قال الصغير .
- " انا سمعته يقول لها ذلك .. هو قال
- انت شابة تزوجي ان شئت لان سنوات

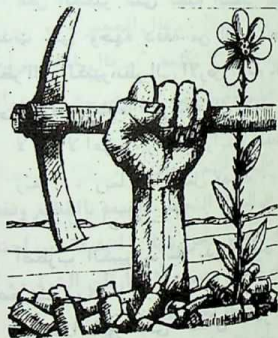
- لكنها تساقطت في السجن ، انا رأيته وهو دون اسنان .
- لا .. غير صحيح .. سأقول له عندما تزوره .
- دعه يكمل قصته .. قال الصغير ..
- في السماء كانت الغيمات تتحد وتتفرق ، تقترب من بعضها وتبتعد ، وعلى شجرة مجاورة كان عصفور دوري يمارع فراشة يبغي التقاطها ، انتبه الاصغر .. ضحك وهمس ..
- لن يلتقطها ؟
- يلتقط من ؟ قال الصغير .
- الفراشة ..
- اية فراشة
- انظر هناك ...
- كان والدي شايا .. قويا - يعمل في بستان المختار وكنت انت لم تولد بعد
- واين كنت انما ؟
- لا اعرف .. لم تكن مولودا قبل سبع سنوات .
- سأسأل والدي عندما ازوره .
- تساله عن ماذا ؟ قال الصغير ..
- اين كنت انا عندما كان يعمل في بستان المختار قبل سبع سنوات ...
- كنت في السماء . قال الصغير ..

جني ستطول " ، قال الكبير ، " وماذا
فالت ؟ " قال الاصغر .

فالت سابق في البيت مع الاولاد .. الى
ان تعود ... بكت يومها طويلا وسمعتها
تقول للحاجة عيشة ، انها تحب والدي
كثيرا .. ولن تتزوج ...

اكل قنك - ماذا حدث ؟ قال الصغير
كنت اجلس هناك .. تحت شجرة اللوز ،
العب مع قطة ، صغيرة شقراء ، عيناها
زرقاوان ...

" قطة الحاجة عيشة ؟ " قال الاصغر ..
كان ابي يشمر عن ذراعيه القويتين
ويضرب الأرض بالفأس .
" ذراعا ابي .. ليستا قويتين " .. قال
الاصغر ...



كيف عرفت ؟ كان يرفعني عن الارض
كالريشة ويلقي بي الى اعلى ، فاطير
كالمصفور ويتلفني كالكرة
لو كانت ذراعا ابي قويتين لانتزع شبك
الزراعة .. وهرب ..
" انت غبي .. الم تر الشبك مثبتاً في
الاسمنت " .. قال الصغير ..
لماذا لا يضرب الحراس بيديه اذا كانتا

قويتين ...

- " لانهم مسلحون ببنادق يطلقون عليه
النار .. فيموت " .. قال الصغير ...

- " لا .. لا اريد ان يموت .. اريده ان
يعيش ، ان يعود الينا ولعب معه " قال
الاصغر ..

- كنت ظهر يوم العب مع القطة تحت ظل
شجرة اللوز ، وابي بعيد ، عني يعزق الارض
كان (عبده) ابن المختار يركب دراجته
ويسير نحوي وعندما وصلتني اصطدمت
دراجته بالقطة وسال الدم من راسها ..
مسكينة ! ماتت ؟ قال الاصغر .

- لم تمت .. جرحت في راسها فقط ..
حزنت انا وبكيت .. قلت له انت اعمى
قال لي : " اخرس " كنت صغيرا ..
عمري خمس سنوات وهو اكبر مني ...
نزل عن الدراجة وضربني على راسي ..
وقعت على الارض ، صرخت .. ولعنت
والده ...

- مثلما لعنته امي ؟ قال الصغير ..
متى لعنته امي .. لم اسمع ان امي لعنته
.. فهو لم يضربها " .. قال الكبير
لا .. لعنته وصفعته على وجهه ...
" كيف هذا ؟ قل لي " .. قال الكبير
عبثت نسمة ريح بشعر الصغير ، تناثر
وسقطت خضلة على جبينه العريض - هز رأسه
اعلاها الى مكانها .. ابتسم ، بانث اسنانه
صغيرة ، بيضاء .. فرك راحتيه ..

- اقول لكم .. اخذتني امي اليه كي
يدخلني المدرسة ..
اذكر ذلك .. لكن كيف صفعته .. قال
الكبير ...
- اخذتني امي الى بيته ، اعطته ورقة وصورة



قال الكبير بالحاح اكثر ..

عض الصغير على شفته السفلى بقوة -
صعدت الى وجهه دفقة من الدم، تحاشى
النظر الى الكبير، نظر الى الارض، رسم بابه
على التراب خطوطا متعرجة، قال بتلعثم ..
لا .. لا اعر .. رف .. رأيتها تصفعه ..
ربما .. ربما .. اكمل فصتك .. ماذا
حدث بعد ان لعنت ابو عبده ؟
اضرب الكبير - شد بذراعه على كتف
الاصغر ..

حطت الطيور على اغصان اشجار اللوز
علا صوت زقزقتها وكانت الغيمات في السماء
قد تجمعت، واستحال بياضها رماديا واتخذت
شكلا واحدا - الاغيمة صغيرة تمددت كخروف
صغير ابتعد عن القطيع .. تلملم الصغير في
مكانه ، حاول ان يدفن اذنيه في ياقة معطلة
يتقي لسعة نسمة باردة .. التصق بالاصغر
احاط كتفه بذراعه ..

- وعندما لعنت عبده ... ماذا فعل ؟
- انا هربت الى والدى - قلت له ان عبده

لي وسأل امي عن والدى ..

قالت له انه بصحة جيدة .. وانها تزوره

كل اسبوعين ..

- وبعد ذلك .. كيف لعنته وصفعته .. قال

الكبير بالحاح ..

- طلب من ام عبده ان تذهب لتجهز

الشاى لامي، وعندما خرجت من الغرفة

اقترب من امي، وجلس بقربها .. وقال

لي :

- اخرج والعب مع عبده ..

- وخرجت ؟ قال الكبير ..

- " لا .. لم اخرج .. امسك امي بيدي

واجلسني بجانبها " .. قال الصغير ..

- " انظرا هناك .. جاءت الطيور ... "

قال الاصغر ..

حملقت عيونهم في الافق البعيد ..

دققوا النظر، كان سرب من الطيور يطير صوب

التلثة :

- " اين البساط " ؟ قال الاصغر وهو يقف

على قدميه ..

- " لا اراه .. قال الصغير ..

اقترب سرب الطيور نحوهم، طرقت

مسامعهم زقزقة العصافير ورفيف الاجنحة ..

- " لا تحمل بساطا " .. همس الصغير ..

كانما يحدث نفسه ...

- " انها طيورنا " .. قال الاصغر ..

لن تأتي طيور الشرق الليلة ...

جلس وسط اخويه .. عدل المعطف على

كتفيه .. شهق ...

- لن يأتي والدى الليلة .. هيا نعود الى

امي ...

- " ربما تأتي ، لننتظر " ، قال الصغير ..

- " قل .. كيف لعنت امي وصفعت المختار

توترت ذراعاه المحيطة بكتفي الاصفر....
- ماذا فعل والدي؟

- دفنت رأسي بين كفي، بكيت، سعته يشتم المختار بصوت عالٍ... رأيت من طرف عيني كيف رفع المختار عن الأرض كما يرفع لوح خشب والقاه على الأرض وانهاled عليه بالضرب.

فرح الاصفر، صفق بكفيه، ضحك بصوت عالٍ.

- وعبداه؟

- عبده هرب وهو يصرخ من الخوف..

- "عبده جبان، دائماً يهرب، يوم الاثنين ظل مختبئاً في الصف، وحين جاء الجيش حمل حقيته وهرب" قال الصغير
- "وانت الم تهرب؟" قال الاصفر...

- انا. قال الصغير كنت اختبئ وراء خزان الماء ضربت حجراً اصاب جندياً بصدرة لم اهرب، فكرت بأبي، لم انزل الا بعد ان تفرقت المظاهرة.

لقى الاصفر رأسه على كتف الكبير..
تنهد..

- يومها، ظلت امني تبكي طوال اليوم هي والحاجة عيشة وام العبد... و... نسيت، كان معها نساء كثيرات... سألت امني، قالت ان والدي لا يأكل في السجن... قلت لها لن أكل الا عندما يأكل والدي...

"لكنك اكلت"... قال الصغير..
التفت اليه الاصفر، قال بحدّة:

- والله لم أكل الا قطعة خبز مع زعتر...
- وامي... لم تأكل ايضاً... خشيت ان تموت... قال الكبير...
- "عبده كان يأكل في الصف مثل الثور"

ضربني... وجرح القطة... هداني ابي واجلسني تحت شجرة، وراح يضرب الأرض بالأس...

"والقطة"؟ سأل الاصفر...
- لا اعرف اين اختبأت - كانت جريحة وسال من راسها دم كثير...

- "ربما ماتت"... قال الصغير...
بعد قليل جاء المختار وعبداه، خفتُ منهما والتصقت بأبي، قال المختار لوالدي

ابنك شتم عبده، وانا قلت لك الف مرة لا اريد رؤيته في البستان، قال والدي:

عبده ضربه على رأسه وهذا لا يجوز، قال عبده: انا لم اضربه، هو شتمني - كذب عبده وصدّقه المختار.

- "عبده يكذب دائماً، انا لا احبه ولا اتكلم معه"... قال الصغير...

- "لماذا لا تكلمه"... قال الاصفر...

- قبل ايام شتمني... وضربته حجراً...
- بماذا شتمك؟

- قال لي انتم شحاذون...
في السماء التحقت الغيمة بالقطيع وفقدت انة الشمس حرارتها الخفيفة... احتضن الكبير الاصفر وعيناه لا تفارقان الشرق... كان الاصفر ملتصقاً بجسدي اخويه...

- ماذا قال والدي؟

- قال: ابني لا يكذب، ابنك هو الذي ضربه، غضب المختار وامسك بيدي وجري من خلف والدي...

رفع الاصفر رأسه، عض على شفتيه السفلى... ارتجفت يداه الملتقتان على ركبتيه... جري اليه واوقفني على الأرض وركلني بقدمه...

فقر الاصفر فاه... تملل الصغير في مكانه

- وأنا ايضا .. عندما اعود من زيارته ..
 بلع الاصفر غصة صعدت الى حلقه ، غشيت
 عينيه سحابة من الدموع ، ارتعشت شفاهه ...
 تدحرجت دمعتان على خده ، سقطتا على
 كتف الكبير - شهق ...

- " لا تك .. ابي قال لنا لا تنكرا ..
 سيعود " .. قال الكبير ...
 - " امي لا تبكي امامه ولا اماما ، امير
 عليها في الليل وهي تجلس وبكي " ..
 قال الصغير ...

ارتفع صدر الاصفر ، انخفض ، توترت
 خداه ، امتلأت عيناه بالدموع ، غابت الشمس
 .. لم يعد .. لن تأتي .. الطيور .. متى
 متى يعود ؟

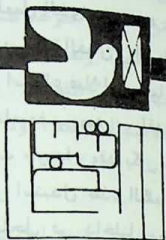
علت زقزقة عصافير الدوري ، تطايرت في
 السماء ، حلقت فوق رؤء وسهم .. داعبت سنا
 قوية رؤء وس اشجار اللوز ، تطلعون نحو الان
 البعيد ، لم يشاهدوا سوى الغيمات الرمادية ،
 ارتعش الأصفر ، انكمش اكثر ، احاط
 الصغير والكبير بذراعيهما .. نهضوا ..
 - " اذا لم تأت اليوم .. ستاتي غدا ..
 هيا نعود الى البيت .. غدا سنجلسها
 .. ونحكي قصة اخرى .. " قال الكبير
 - " سنحكي .. ونحكي الى ان يعود " ..

قال الصغير
 تعانقوا .. وساروا صوب البيت بينما خيم
 الظلام على قمة الجبل البعيد ..



قال الصغير ..
 - " ثم ماذا حدث بعد ان ضرب والدي
 المختار ؟ " قال الاصفر ...
 - لا اعرف ، قالت لي امي انه طرده من
 العمل ووشى عليه عند الشرطة .. وجدت
 الشرطة سلاخا في بيتنا ، واعتقل والدي
 وقالوا عنه في البلد انه فدا ئي ...
 - ولم يعد بعدها الى البيت ؟ قال
 الاصفر ..
 - لم يعد ..
 - ليته يعود .. كم اتمنى ان يعود اليوم
 مع الطيور ...
 - انا احلم به كل ليلة " .. قال الصغير ..

رسائل و ردود



يكتبها : محمد البمراوي

قلنا اكثر من مرة ان الشعر في الاساس فكرة مكثفة يطلقها الشاعر خلال اسلوب فني جميل الى عقل القارئ واحاسيسه ويملاء بها نفسه . على اى حال ، فان لصديقنا صاحب القصيدة قدرة مقبولة على استعمال الكلمة ، وندعوه الى ان يحسن استعمال الصورة ، وان يجعل حصيلته من الصور معمارا كاملا لقصيدته نأمل ان نلتقي مع الصديق وقد يكون لنا حديث طويل معه حول الشعر من ناحية وحول تطوير اسلوبه في الكتابة من ناحية اخرى .

● وصديق اخر يكتب لنا تحت عنوان " أنتصار " :
" في الظلمة الصاخبة
وفي غمرة امتصاص الرحيق
تمتزع الارادة بالايامن
لتكون انسانا
شامخا ثائرا
تمرخ في وجه السجان
في الجدران

● " بكت النجمة .. لكنني ما زلت اضحك "
عنوان لقصيدة ارسلها اليها احد الاصدقاء
بفول في بدايتها :
" يحترق جسمي
وتهب النسمات
لماذا ... ؟
لكي تنعش روحي
كلما هبت النسمات
يزداد جسد الواهن
احتراقا ... اشتعالا
يقتر من الموت
انني نجمة
نجمة صغيرة
نجمة تحترق "

وننضي الكلمات على هذا الشكل من النقل دون هدف واضح محدد او فكرة تؤدى اليها .. حتى ان الصور ذاتها تنطفيء مباشرة ولا تسمع لها مثل هذه الكتابة اللاهثة ان ندخل الى عقل القارئ .

في الركلات والعصي

اني احبها ..

انني لم افهم ما المقصود " بغمرة امتصاص الرحيق " وأجد ان التداعيات الكلامية قادت حركة "القصيدة" اذا جاز لنا التعبير ، والقصيدة كما هو واضح من بدايتها تحاول ان تصوّر تغلب السجين على كل الاثار التدميرية للسجن ، فعندما يقترب (الموت) ينفذ السجين بطانيته ويراهها من خلال النافذة وردة حمراء . تحمل العلم الاحمر فيغمض عينيه مرتاحا ، يحس انه شاهد من التاريخ . نلاحظ هنا ان الفكرة رائعة، ولكن الاسلوب الشعري المتردى جعل من هذه الفكرة " قصيدة " لا تصلح للشعر لافتقارها الى مقومات البناء الفني . لا نريد ان نقول كما يقول محررو الصفحات الادبية اقرأ كثيرا وتعلم العروض وما الى ذلك من نصائح مدرسية، ولكننا نطالب الكاتب بأن "يتعب" على عمله وان يراجع حتى يقتنع به وان يحس بالصدق فيه .

● ويكتب صديق لنا من رام الله قصيدة بعنوان " والدرب طويل ١١ اصفر ١٠ اصفر " ويبدأ قصيدته :

" تعال نعب الكأس وراء الكأس

ونرمي الهمّ وراء الظهر

تعال ...

سلبونا الدم

(وفتت) اخيرا

رحلت الحلم حلم الحلم

حلما حلم

(وفتت)

ورحت اعبّ كؤوس السمّ ... الخ .

اهم شروط الابداع الفني ان يجد المطلق نفسه في العمل الذي بين يديه ، أي ان تعمل الى وجدانه رسالة الفنان . واني لاسأل الشاعر هنا ، هل استطاع فعلا ان يصلنا بشحنة غضب وأن يجعلنا نغضب معه .. لقد جعل شاعرا من الكلمات بارودا ، وقد يكون هذا جميلا لان الشاعر استبدل هذه الكلمات المججلة بأفكار تجلجل في داخلنا ... ربما ارناع شاعرنا الى الواقع الهادر لكلماته، ولكنني أسأل الصديق ، وآنا اعرف عنه الموضوعية الكاملة، هل يكفي ان نهذر بالكلام ام اننا في الفن كما في الحياة، يجب ان نرمد الاشياء التي تبقى والتي تشكل بالفعل اضافة لادبنا وتاريخنا ووجدان شعبنا . قال الناقد الروسي العظيم بلينسكي " انك ان وجدت أفكار العصر، فستجد الشكل ايضا " وتحياتي للصديق .

● ومرة اخرى تكتب لنا الصديقة " بنت الاحزان " خواطر بعنوان " ما ذنبي " كنا نود ان نورد بعضا من فقراتها ولكننا فضلنا ان لا نسير مع الصديقة في طريق الشكوى والحزن ، ان التشكي ايتها الصديقة لا يجعل من الانسان بطلا ، والاستسلام للحزن لا يغير الواقع ، كما نتمنى ان توءدى المستقبل في كتاباتك ، والمستقبل ولا شك في ذلك ، هو الافضل ، ونتمنى ان نجد اوراقك القادمة تحمل توفيق " بنت المستقبل " مثلاً .

● صديق من غزة يكتب لنا قصيدة جيدة بعنوان " ويظل الصوت فلسطيني " لم نتمكن من نشرها لظروف خارجة عن ارادتنا .

جدا يتكلم عن الظواهر الفسيولوجية التي تحدثها المخدرات، والمقال أشبه بمادة مدرسية قصيرة جدا . حبذا لو تناول الكاتب ظاهرة المخدرات وتتبع كل ما يتعلق بها في الحياة اليومية وأجرى المقابلات مع المختصين والاطباء، وتحدث الى المدمنين وتناول الظاهرة في تاريخها المحلي وقدم بعض الأرقام والاحصاءات عنها .

نأمل ان يستمر الصديق في الكتابة، وان ينطلق عن رؤية اجتماعية تستهدف التغيير، وان يثق بأن الناس قادرون فعلا على صنع ذلك التغيير .

● بين يدي عدد من القصائد للشاعرة ايمان مصاروة من الناصرة. كم سعدت وانا اقرا القصائد التي حملت لي بشرى انطلاقا شاعرة جديدة في حياتنا . سننشر بعض هذه القصائد او كلها في اعدادنا القادمة . وتحية للفجر الطالع دوما من الناصرة .

● وصديق يرسل لنا ثلاث قصائد بعنوان " رسالة مفتوحة " و " صرخة فلسطيني " و " الممت الرهيب " ونعتذر عن عدم ايراد بعض مقاطعها لان " القصائد " مكتوبة بلغة الخطابة اللاهثة المتقطعة، ولا تحمل نفسا نغريا .

● ومن غرة ايضا يكتب لنا صديق خاطرة بعنوان " الغيرة .. شيطان الجاهل " ومقالا بعنوان الآثار المترتبة على ادمان الخمر والخدرات .

والحديث عن الغيرة والحسد وما الى ذلك من امور وما يتبعها من مواظ ، واتهام الآخرين بأنهم حاقدون ، كل ذلك ، يؤدى الى عدم تفاعل الفرد مع مجتمعه، وعدم ثمرته على التأثير الواعي في الآخرين . ولا ننقد ان مجلة " الكاتب " ستفتح صفحاتها لشر مثل هذه الآراء .

اما مقال " المخدرات " فقد جاء مقتضا





الثقافية التي دأب اتحاد
الكتاب الفلسطينيين في
المناطق المحتلة على اقامتها
منذ بداية العام الحالي .

مجموعة من الندوات
بمناسبة يوم الارض

اتحاد الكتاب الفلسطينيين
"يوم الشعر المحلي"

عقدت في الجليل
مجموعة من النشاطات على
شرف يوم الارض، حيث شارك
عدد من الشعراء والنقاد
والكتاب في هذه النشاطات
مؤكدين على اهمية الادب في
نضال الشعب الفلسطيني من
اجل المحافظة على ارضه
وتحقيق طموحاته الوطنية
والقومية، حيث شارك كل من
سميح القاسم واسعد الاسعد
وحنا ابراهيم وفتحي فوراني
في ندوة بهذه المناسبة في
نادى الاخوة بحيفا وذلك يوم
الاحد ١٩٨٥/٣/٢٤ . كما
شارك محمد البطراوى واسعد
الاسعد وسلمان ناطور في ندوة
عن الصحافة والادب
الفلسطيني في ظل الاحتلال
في نادى الجبهة الديمقراطية
للسلام والمساواة ونادى الغد
في مغلبيا وكانت عرافة الحفل
للقاص سام خوري، وذلك
يوم السبت ١٩٨٥/٣/٩ وفي
سخنين وبدعوة من جبهة

بدعوة من اتحاد الكتاب
الفلسطينيين عقدت في مجمع
النقابات المهنية بالقدس ندوة
حول الشعر المحلي، شارك
فيها العديد من الشعراء
والكتاب والنقاد، بالإضافة الى
عدد من المهتمين بالشعر
المحلي. وقد قرأ عدد من
الشعراء قصائدهم ثم تلا ذلك
استعراض نقدي لاهم
الملاحظات على القصائد التي
قرئت وهوؤلاء الشعراء هم :
خليل توما ، اسعد الاسعد ،
عدنان الصباح ، عطالله قطوش
يوسف حامد ، سميح فرج، محمد
شريم وتحدث في الندوة كل من
صبيح الشحرورى ومحمد
البطراوى، د.د. فتحية، نصرو،
خالد البطراوى، وآخرون، ثم
رد بعض الشعراء على ما ورد
من ملاحظات على قصائدهم،
الجدير بالذكر ان هذا النشاط
يأتي ضمن مجموعة من النشاطات

سخنين الديمقراطية عقدت
ندوة عن الادب الفلسطيني
ومعاناة الادياء في المناطق
المحتلة وارتباط الادب
الفلسطيني بالحياة اليومية
لجماهير المناطق المحتلة
شارك فيها القاص محمد علي
طه، والشاعر اسعد الاسعد.

"ايام المطر" تجرف التحلل
والتآكل والفساد فيتراجع
القحط

"ايام المطر" عنوان
المجموعة الثانية للكتاب
المصري التقدمي اساميل
العادل، صدرت مؤخرًا عن
دار شهدي للنشر في القاهرة،
وكان قد صدر للعادل قبل أربع
سنوات مجموعتان الأولى
العام الخامس"، بالإضافة الى
عمله المسرحي بعنوان "حدث
في اكتوبر عام ١٩٧٣".
وتحت عنوان "ايام
المطر" تجرف التحلل والتآكل
والفساد، فيتراجع القحط"
انشأ محمود عبد الوهاب مقالاً
في جريدة الاهالي، في
عددتها الصادر يوم ١٩٨٥/٣/٦
قال فيه:

كانت " العام الخامس

جوانحنا كالجنة تننفس موتها وتحللها جين تحتشد - في المشهد الحادى عشر - بكل مواهبنا وامكاناتنا وخبراتنا كي نؤدى دورا فاذا بنا نرغم على البقاء بين الكورس والكومبارس (لماذا استسلم الكاتب لغواية النفس الأماره حين كتب نهاية هذه القصة)؟ ويتساءل الكاتب اى قوة طرد هائلة تدفع المصرى الان (قصة الحلم) بعيدا عن وطنه سعي وراء الاف الدناشير حتى لو تجرع هناك كل يوم الوان الاحساس بالهوان والمغار والضعة، حتى لو عاش مخنة الاغتراب مرضا يتخلل الاعضاء والاعصاب او التياغا وحنينا تندفع بهما السيارة على الطريق ولا تتوقف حتى ترتطم بالصخور .

وهل تحولنا الى كم من الافراد المتجاوزين يلهث كل منا وراء طموحه الفردى الى حد اعتزاز الرجل الغريب الضاحك " بذكرى مضى عليها ثلاثون عاما كان فيها راوى القصة زميل الدراسة الثانوية ولاعب الكرة قد قاوم آلام اصابته ونزل الملعب كي يخول هزيمة مدرسته في نهائى دورى المدارس الى فوز ؟

وتنتهي تساؤلات الكاتب

وبالتراث الحضارى للحدود وبآمال التحقق بكل مواهبنا الكامنة . اذا كان الانتماء هو مجموع هذه الروابط فهي اعلی ما ينبغى الذود عنه ضد عوامل التحلل والتآكل والفساد . لماذا اذن يدوس الاهل - في الجهات الاصلية - بأقدامهم الغليظة على انسجة ارتباط الابن بأمه . من حق الأرملة الشابة ان تتزوج حتى لو ضاعفت بذلك يتم اليتيم ولكن الا يمكننا انجاز ذلك بمشروط الجراحة بدلا من سكينه الذبح .؟

وماذا يتبقى من مشاعر الاخوة - في قصة الحوار العائلي - والاخ الاعزب يتلصص على مخدع اخته الشابة ويفتعل من الاسباب ما يحول-لسنوات عديدة - دون زواجها حتى لا ينقطع عنه دخلها من خياطة الملابس ؟

الا يتضاءل انتماؤنا الوطنى اذا تضاءلت قدرتنا على التحقق الذاتى وتردى الاحساس بالحياة - في قصة الليلة الاخيرة من شهر طوبة - الى مستوى مجرد التجدد البيولوجى عبر الابناء .

ان امالنا الموءودة واهلامنا المحبطة تظل بين

الموتة اسماعيل العادل عودة بالقصة المصرية المصورة من الازقة الضيقة الى المربع المربعة او من قصة يك على حل رموزها الدارس ويك الناقد الى غموضها غوى التحليل الى قصة يافا القارئ المتعلم فيفهم يامل القراءة دون عناء .

الت " العام الخامس " عودة الى وضوح التكوين وسلاسة البرد وتدفق الحكى وتنوع اليه لكن حرصها على التماس مع القارئ العام لم ينع بها الى التعليم المباشر التلقين او الوعظ فجمعت نظم نصها بين البساطة والبس .. بين انضباط العقل والاشور وبين مفردات الحياة اليومية واصداء الافات السياسية والاجتماعية الى ماذا تضيف الى عالمه منته القصة " ايام طمر ؟ "

بعض القارئ خلف المجموعة الجديدة هم الطح وسوءاله الموءرق كان الانتماء للوطن يتجاوز الطمان الاحترام التقليدى المروستى السلام الوطنى مجموع العلاقات التي خط بالاسرة والعائلة . . والشارع والاقليم

الفترة التي كتبت فيها القصة ونشرت في الجرائد قبل تجمع في كتاب. الأحداث. زمانا لتذهب الى فلسطين عن طريق تداعيات و" محاور مريرة خاصة" او الى امريكا مثلاً لتجربة احدي الشخصيات كما في قصة " امريكا (اوربا) او الى بيروت كما في " المتحف البشري".

■ عيونك سكة القطار

صدر في سلسلة القصة الوطنية ديوان جديد للشاعر محمود الطويل بعنوان " عيونك سكة القطار" ويتسع عشرة قصيدة بالأسلوب المصرية وقد سبق للشاعر اصدار ديوانين " لا يدرك" و" مصر يا وطني".

■ عملان جديان لـ"الخطيب"

الكاتب براء الخفيا سيصدر له قريباً رواية وصورة قصصية، الرواية: "قداس لـ"

معالجة مسار الادب العربي. وتطوره وقد صدر مؤخراً " الصراع بين مختلف القيادات الفكرية في الحياة الادبية بمصر" كما وتجرى ترجمة مجموعة من الاعمال الادبية والقصصية الى الروسية منها " اللاز" للاديب الجزائري الطاهر وطار كذلك روايتي " عباد الشمس، والصار" لسحر خليفة، ومنتخبات من شعر لمحمود درويش.

■ الاغتراب كتاب جديد لاقنان القاسم

عن الدار العربية للكتاب في تونس صدر كتاب " الاغتراب " للكاتب الفلسطيني ائنان القاسم . " الاغتراب" انتاج بين القصة والرواية، فالراوي يسرد حكايات تعتمد على تجربة الكاتب المباشرة تشكل هذه الحكايات " المستقلة" حلقات مترابطة حيث يتنامى فيها خط درامي واضح

اما الاحداث فهي تدور في باريس في الفترة ما بين ١٩٧٤ و١٩٧٦ مثلما يحدد الكاتب وذلك في مقدمة كتابه، وهي

بسوء ال يقطر حزنا ومرارة يحوم حول احداث روايته القصيرة "ايام المطر" هل انقرض هذا الجنس من المصريين الذين كانوا يعانون - مثلنا - من الفقر والغلاء، لكن الاهتمام بالقضايا الوطنية كان بعدا اصيلا من ابعاد وجودهم ينعكس في الاشتراك في المظاهرات والانضمام الى كتائب الكفاح المسلح بمدن القناة بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ وينعكس في تنظيم الاضرابات والاستجابة لدعوة مقاطعة البضائع الاجنبية ويتصافر في نسج الحوار العائلي حول الهموم اليومية المعتادة . هل كان هؤلاء المصريون هم حقا اباؤا واجداد هذا الجيل المعاصر المهاجر دائما داخل الذات او خارج الحدود . اما من نهاية لهذا العزوف الجماعي عن الاهتمام بقضايا الوطن . اما من علامة تنبئ عن اندحار ايام القحط واقتراب ايام المطر ؟.

■ الادب العربي بالروسية

موسكو: مجموعة من الدراسات التاريخية والتقدمية والاعمال الادبية العربية تصدر في موسكو بانتظام تهدف الى

القيت كلمات في الحفل حيث نضال المرأة وعبرت عن الامل في ان تستطيع المرأة الفلسطينية ان تنهض بمسؤولياتها الطبيعية رغم المعوقات العامة والخاصة التي تعانيتها . ودعت الكلمات المرأة الفلسطينية الى الانخراط في الاتحادات والجمعيات والنقابات جنباً الى جنب مع اخيها الرجل .

وفي نهاية الاحتفال وزعت الشهادات التقديرية على بعض الملمات المكرمات .

■ اصدرت لجنة المرأة العاملة الفلسطينية بنابلس عضو اتحاد لجان المرأة - العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة نشرة بمناسبة الثامن من اذار يوم المرأة العالمي . تتضمن مواضيع عامة حول نشأة الاتحاد وفروعه وكذلك نظرة موجزة عن المرأة عبر التاريخ في سطور، وكذلك عدة مواضيع وريبوراج عن نشاطات لجان المرأة العاملة

بالاضافة الى قرارات الامم المتحدة حول الغاء كافة اشكال التمييز ضد المرأة .

وتضمن العدد ايضا لمحة احصائية عن القرى الفلسطينية التي هدمت منذ عام ١٩٤٨ ، وقصيدة للشاعر ابو سلمى في ذكرى اول شهيدة فلسطينية رجاء ابو عماش .

مجموعتان شعريتان جديدتان . الاولى بعنوان " اغنيات حب على نهر الليطاني ، عن دار الاداب " وتحتوى قصائد كتبها الشاعر بين ١٩٨١ و ١٩٨٤ ، والثانية عن " دار آسيا للطباعة والنشر " بعنوان " قصائد الحب والنوم " ، وقد كتبت في العام ١٩٨٣ .

■ نشيد الحياة

رواية جديدة ليحيي يخلف

صدر للكاتب الفلسطيني يحيي يخلف رواية جديدة اسمها " نشيد الحياة " يصور فيها حياة الفلسطينيين في اثناء وبعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢ . وكان قد صدر ليخلف " نجران تحت الصفر " وتلك المرأة الوردية " و " تفاح المجانين " و " نورما ورجل الثلج " .

■ لجنة المعلمين تكرم المرأة

- اقامت اللجنة الوائية لمعلمي المدارس الحكومية في رام الله حفلا تكريميا للمعلمة الفلسطينية بمناسبة الثامن من اذار يوم المرأة العالمي، حيث

صدر والمجموعة " حارة النساء " صدر للخطيب من قبل مجموعته القصصية أنهم يأتون من الخلف؟ عن دار ابن رشد بي بيروت .

■ اطروحات جمالية

صدر في دمشق للكاتب محمد الجندي كتاب جديد يحمل اسم " اطروحات جمالية " تناول فيه الكاتب مسألة تغلغل الاتح الجمالي في المجتمعات في شكل فيلم او اغنية او اغان او ديكورات او ازياء او زينة موسيقي .

ويقول الجندي ان كل ذلك يمكن ان يولد تيارات غنية احيانا وخطرة احيانا وتولد عبثا على ميزانية عاطفة وحتى على ميزانيات المول واقتصادها . اذ لم يعد الاتح الجمالي جماليا بحتا بل صار حاملا لاهداف اقتصادية - سياسية ودعائية سياسية واعلانية - تجارية اقتصادية وبأساليب نظرية وغير منظورة .

مجموعتان شعريتان لشوقي بزي

صدرت للشاعر شوقي بزي

الطليعة

أباجورات

رضي محمود حاسن

شبابيك • أبواب • فتريات • قريشات



غزة - الشجاعية - شارع بغداد - قرب مدرسة مطين

الناسين قلعه الحصينة
وكالة أبوشاويش للتأمين

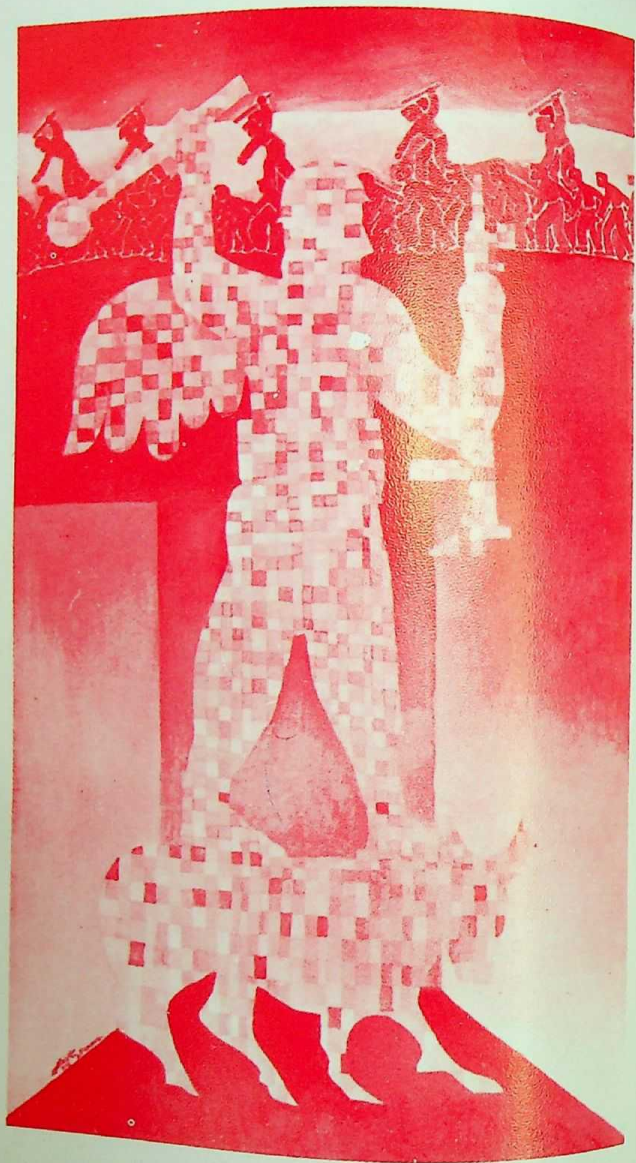
جميع أنواع التأمينات

مريه ، سرقة ، حياة . حوادث شخصية
محب ، سيارات ، عمال

رام الله / البيرة شارع القدس الرئيسي

ص.ب ٩٨٨

تلفون ٩٥٣٣٤٣
٩٥٤٨٥١



لوحة للفنان الفلسطيني سليمان منصور - من المعرض المشترك للفنانين الفلسطينيين
والاسرائيليين الذي انعقد تحت شعار " ضد الاحتلال ومن اجل حرية الفنان " .



لوحة للفنان الفلسطيني نبيل عناني - من المعرض المشترك للفنانين الفلسطينيين والاسرائيليين الذي انعقد تحت شعار " ضد الاحتلال ومن اجل حرية الفنان "

AL-KATEB

for human culture
and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel. 856931

الكاتب 60
للثقافة الإنسانية والتقدم